

واشندوم

طبع في مصر

واشندوم

رواية

حسن عبيد عيسى



2019

الطبعة الأولى - عن النخبة للطباعة والنشر والتوزيع

1441 - 2019

رقم الإيداع: 17926 / 2019

الترقيم الدولي: 9 - 379 - 838 - 977 - 978

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 61 لسنة 2016

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

6 شارع رجاء عبدالرسول، المتفرع من شارع وادي النيل



أمام سور نادى الزمالك - الجيزة - مصر - 01288688875

E-mail: alnokhoba@gmail.com

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

فہرست

9	 الفصل الأول: ليلة الصرير
47	 الفصل الثاني: ليلة الصدمة والترويع
145	 الفصل الثالث: ليلة الطمث
197	 الفصل الرابع: ليلة الصلب
265	 الفصل الخامس: ليلة الحرية

ليلة الصبر

دار سكن السيد سلمان نوري الفراتي ليست كبقية الدور في حي مكروري المخصص لسكن الضباط في مدينة الحلة، من حيث التصميم على الأقل، فهي واقعة على الشارع العام ذي الأهمية الخاصة، كونه يربط محافظات الجنوب بمدينة كربلاء.

إنها تشبه قلعة من قلاع بلاد الشام في القرون الوسطى، وهي القلاع التي كما إستهوت الطالب الإنكليزي لورنس فجاء إلى المنطقة في مطلع القرن العشرين لدراستها وإعداد دراسة أكاديمية عنها، إستهوت سلمان نوري المشغوف حباً بالتاريخ والجغرافية وعلم النفس والفنون التشكيلية، ماجعل تلك المعارف تتراحم في عقله مع إختصاصه المهني، الفن العسكري الذي تميز فيه، فعكف مع صديق له ذي إبداع في مجال الهندسة المعمارية ليصمما معاً أنموذجاً مصغراً لواحدة من تلك القلاع يراعى فيه راحة العائلة التي ستشغله داراً لسكنها. وكانت القاعة

الواسعة أكثر مرافقها حظاً في الإهتمام، إذ قرر أن تكون غرفة للمكتبة الفخمة.

ثلاثة أشخاص عدد أفراد العائلة التي إحتلت تلك الدار الواسعة أول مرة وهم: سلمان نوري الذي كان وقتذاك يقود فوج مشاة متميز من أفواج الجيش في جبهة الحرب مع إيران، وأمه الحاجة سَعْدَةُ الثمانينية التي قضت ثلثي عمرها فقيرة، وتسكن غرفة تصدعت جدرانها، قبل ان تنتقل الى بيت مستأجر في حي بابل الذي تفصح دوره عن ثراء أهله، وذلك بعد أن صار إبنها سلمان ضابطاً في الجيش سنة 1966.

لذا فهي لم تسطع صبراً على سكن قصر منيف كهذا لأكثر من أسبوع واحد. فكان موتها أشبه بفأل نحس على الدار الجديدة وساكنيها.

العنصر الآخر من سكان هذه الدار، زوجته پروين فتاح الكردية الشقراء التي بُهر سلمان بجمالها ونعمات إيقاع خطواتها العذبة وهو يراها أول مرة في حي بابل، فرشحها لمشاركته الحلو والمر ودفعها إلى دروب التحصيل العلمي العالي ليحقق بها بعضاً من طموحاته الشخصية العسية على التنفيذ، فنالت بفضل حماسه ومساعدته شهادة الماجستير في تاريخ العراق المعاصر عن

رسالتها الموسومة (الطموحات السياسية للفريق بكر صدقي) وكانت وقت حلولهم في هذه الدار تعكف على إعداد أطروحة الدكتوراه في الاختصاص ذاته بعنوان (طبيعة ومهام أفواج جيش اليثي) التي خرجت فيها على ما كانت قد تمسكت به في رسالة الماجستير، فقد قللت في الأطروحة من مشاعرها الكردية المتعصبة التي كانت ملموسة في رسالتها.

لم يقف الأمر عند حد تذويب عنصريتها وانما أفتعها بالتخلي عن قناعات إجتماعية كانت راسخة في ذاتها بسبب جذورها العائلية الإقطاعية، فالكثير من أفراد عائلتها عملوا في تلك الأفواج بصفة ضباط وجنود، ولم تعد تستح فيما بعد من تسميتهم بالمرتزقة، وربما عملاء الانكليز أيضاً.. لعل العامل الأهم في حصول تلك التغيرات الفكرية يكمن في سر إعداد تلك الأطروحة، فالأطروحة من صياغة وإعداد وكتابة زوجها الضابط المثقف ذي الشعور الوطني الطاغي، كان الفرق بين الجهادين الباحثين واضحاً، فرسالة الماجستير التي أعدتها پروين حصلت على تقدير جيد بسبب صغر حجم مساهمة سلمان في أعدادها، بينما حظيت أطروحة الدكتوراه التي أعدها سلمان بالكامل بتقدير امتياز مع توصية بطبعها على

نفقة جامعة بغداد لأهميتها ولحاجة الباحثين إلى ماورد فيها من أفكار.

تلك الدار كانت عاملاً مساعداً على كسر رتابة حياة العائلة التي إستمرت حتى ذلك الحين عشر سنوات عجاف خالية من ثمار البهجة والسعادة فقد حملت پروين منذ بداية حلولهم في فنائها، لتهدى زوجها المتعطش لرؤية حشد كبير من الاطفال يشيعون الفوضى والارباك في البيت أولى الثمار، انها أولى بنتيهما لبنى التي ولدت بعد حصول امها على شهادة الدكتوراه بأقل من شهر، وبعد سكنهم في هذه الدار بتسعة اشهر واسبوعين..لبنى التي ملأت حيزاً من القلعة أشاعت طوال عام مرحاً أسعد والديها، انمازت بشعر كستنائي ناعم يغري الوالدين على مسحه بحنان. وقبل ان ينقضي عام على ولادتها علا صراخ أخويها التوأم عمار ولينة. اتسمت الطفلتان بالهدوء والدعة والمرح، ولكن الفتى كان مصدر الصخب والضوضاء الممتعين في الدار.

ومن بين الأحداث الخطيرة التي شهدتها هذه الدار هي طرد سلمان من الجيش بسبب حبه اللا محدود لزوجته التي صبر عليها طويلا وهي كشجرة الصفصاف لا تثمر شيئاً غير الحب والحنان والشبق والإغراء العفوي.

ثم شهدت الدار نفسها عودة الأمل والطموح للعائلة عندما أعيد الاعتبار والرتبة لسلمان ومعه زيادة نجمة إضافية على الكتف. فلقد لفتت جهوده البحثية رأس السلطة الذي أمر بتصنيفه متقاعدًا وليس مطروداً وأمر بترقيته وهو في التقاعد لرتبة أعلى صار معها عميداً ثم أمر بنقله إلى دائرة المحاربين ل يتمتع بامتيازات الضباط المستمرين بالخدمة . توافق ذلك مع استعداد پروين لمناقشة رسالة الدكتوراه فكانت الفرحة مضاعفة.

عندما تقرر فتح كلية التربية في الحلة نقلت پروين خدماتها الى الكلية الجديدة لتكون من أوائل أساتذة الكلية التي عدت نواة لجامعة جديدة عرفت باسم جامعة بابل. أما سلمان فقد إستمر في حماسه البحثية ذاتها، يؤلف ويرسل مؤلفاته الفكرية والتاريخية والعسكرية للنشر، فمؤلفاته مطلوبة من قبل المثقفين ودور النشر اللبنانية والاردنية بعد أن تقلص مجال النشر في العراق في عقد التسعينات من القرن المنصرم. وظل مواظباً على حضور الندوات والمؤتمرات الاكاديمية المختلفة باحثاً أو مستمعاً..

ثمة نتائج له لم يعد يحفل بها، كتبها في حقبة ما قبل الاحتلال، منها روايتان إحداهما متدنية ذات مضمون عسكري جاف عنوانها

يوميات ضابط حدث كان يريد من وراء تأليفها كسب رضا القيادة العسكرية العليا، ونجح في مسعاه.. والثانية حاكى في صياغتها رغبات القيادة السياسية وقتذاك، سماها (خنادق خمس نجوم)، تناول فيها حياة مجموعة من المعارضين السياسيين مدنيين وعسكريين الذين صوّروهم يعيشون بثناء وبذخ في فنادق راقية في الخارج بحجة مقارعة النظام الحاكم، ما جعلها نتاجاً مقبولاً من قبل وزارة الثقافة فتبنت طبعها ونشرها. لم يخف فيما بعد شعوره بالندم على تأليف تينك الروائيتين اللتين سببتا إحراجاً كبيراً له فيما بعد إذ غمزّه أحد الأدباء بأنه من (أزلام النظام الساقط) وذلك خلال المؤتمر الانتخابي الأخير للإتحاد العام للأدباء والكتاب كونه ضابط سابق في الجيش وكان يكتب على وفق رغبات السلطة. وضمن ذلك الجهد الحثيث كان عوناً لزوجته في كتابة أبحاث الترقية العلمية التي رُقِّيت بموجبها حتى تبوّأت كرسي الأستاذية في تاريخ العراق المعاصر.

ولم ييخل في جهده حتى على أبنائه، فكان عوناً لهم في دراستهم، لذا كانوا متفوقين على أقرانهم، فلبنى التي حازت على الماجستير في هندسة الحاسبات بفضل دأبه ومتابعته لها، كان يعكف على ملازمتها في مذاكرتها فاكسب منها كثيراً،

وبالمقابل، كان دافعاً لها على على المواظبة والتفوق، حتى غادرت أسرتها إلى عش الزوجية، حيث ظل يحثها على التقديم لدراسة الدكتوراه.

كان مبدئياً متمسكاً بأفكاره مخلصاً لها، فهو صاحب فلسفة تربوية حصيفة، لذا كان يرفض استخدام مفردة عائلة ويستعيز عنها بالأسرة، لأن العائلة بمفاهيمه الخاصة تدل على الإعالة والتطفل، بينما رأى في مصطلح الأسرة قيمة إعتبارية كريمة، فانتقاؤه الدقيق للمصطلحات أثر كثيراً في احاديث الأسرة، وإنعكس على خطابها الاجتماعي والأكاديمي، فكانت پروين تصحح أطاريح الدكتوراه ورسائل الماجستير التي تشرف عليها، وتغير مصطلح العائلة إلى أسرة حيثما ورد، ولا تقبل بإستخدام هذا المصطلح إلا مع العائلة المالكة لسبيين، الأول هو إن ذلك على وفق فهمها يندرج ضمن الخطأ الشائع الذي يقال انه أفضل من الصحيح الضائع، والثاني إنها كانت تقول في محاضراتها دائماً إن النظام الملكي يفرض على البلد طفيليين يبددون الثروات العامة بدون حساب، وكذلك كانت تفعل مع المصطلحات الاخرى التي زرع سلمان معانيها الخاصة به في عقلها وعقول ابنائها.

هذه الأسرة عاشت منسجمة متناغمة تشع سعادة وهناءً، سلوكها يعلم الجيران والأقارب كيف يؤلفوا أسراً سعيدة، فيما كانت تضحية الأب العظمى تجاه زوجته الحبيبة مثالا يحتذى به الاولاد، وكانت شخصيته قد الهمت الجميع صفات الوفاء والتضحية والثقة والمثابرة.

- أين التقيتما وتعارفتما أنت وأبي؟

سأل عمار أمه ذات يوم غابر، فقالت:

- في صيف 1967 وكان أبوك قد تخرج من الكلية العسكرية قبل سنة. كان يسكن مع المرحومة والدته داراً مؤجرة في حي بابل الراقي.. لَمَحَنِي وقد كنت فتاة ذات بشرة بيضاء وشعر أشقر بطبيعته وعينين ترسلان بريقاً أزرق جذاباً، لقد كنت جميلة بما تعني كلمة جميلة من معنى..

فقاطعها:

- ومازلت كذلك.

- كن مؤدبا يا ولد أنا أملك ولست زميلتك.

وضحكا ضحكة حميمية تقطر سعادة ساعدت پروين على إجترار حوادث مخزونة في قعر الذاكرة، ولكنها توقفت لترد على ملاحظة ابنها:

- الشعر الأشقر صار أشياء لولا الأصباغ الكيماوية، والعينان
ضمرتا وتحول لونهما من الأزرق إلى الرمادي، والبشرة النضرة
تجعدت و....

فقاطعها الإبن المدلل:

- والحبيب مازال متيماً ولهاناً لا يقاوم الإغراء والأشواق..
والابتسامة المغرية التي لا تجيدها كل فتيات كلية الهندسة
ويتمنين لو تعطينهم دروساً في رسمها.

- لا تكن سخيفاً هذا كان في زمان مضى..

وتطلعت إلى السقف كتلميذ في قاعة الإمتحان، وسرعان
ما امتلأ فمها بالكلمات واللعباب والإبتسام التلقائي الذي كثيراً
ما خلق لها مشاكل مع الكثيرين ومن بينهم بعض طلابها، إذ طالما
توهم البعض أنها تتصنع الغنج. وبدأ الكلام ينساب بهدوء:

- كان عمري سبعة عشر عاماً، وكنت قد أكملت الدراسة
الثانوية، التي كانت خمسة صفوف وليس ستة كما هي اليوم،
وقدمت أوراقى للقبول في كلية الآداب بجامعة بغداد، قادمة من
السليمانية إلى الحلة لأقيم في بيت أختي التي كان زوجها ضابط
شرطة في المدينة برتبة مقدم، كنت أذهب إلى بغداد يومياً من

أجل إنجاز معاملات شهادة الجنسية وعدم المحكومية وغيرها من مستلزمات القبول في الجامعة، وفي إحدى المرات التي كنت عائدة خلالها من بغداد ظهرا، كان أبوك بملابسه العسكرية التي تحمل رتبة ملازم يجلس إلى جانبي في سيارة الاجرة، ولم يدر بيني وبينه أي كلام، ولكنه فوجئ بنزولي معه في المكان نفسه، ثم التفت ليراني أتبعه، لم يستطع أخفاء دهشته بهذه الغريبة التي تدخل الزقاق الذي يسكن فيه، وتريث قبل أن يدخل البيت ليعرف الى أي بيت سأدخل.

وفي عصر اليوم نفسه، حصل على المعلومات التي كان يريدّها من الشرطي الذي يخدم في بيت أختي..

فقاطعها عمار باسماء:

- وبعد أسبوع تقدم للخطبة؟

- لا، لم ينتظر أسبوعا، في اليوم التالي وبينما كنت في بغداد جاءت جدتك المرحومة الحاجة سعدة لتستقري رأي خالتك نرمين، فأخبرتها أنني أرغب بإكمال دراستي، وفي مساء ذاك اليوم عادت وكانت تقوم برحلات مكوكية بين الدارين لتقول، إن الدراسة لا تشكل مانعا، وبذا اتفقنا على أن يجري عقد

القران بعد الحصول على موافقة وزارة الدفاع، على أن يتم الزواج عندما أنتقل إلى السنة الرابعة من الكلية، وهذا ما حصل، وتعيشون وتسلمون.

- إذن أين المشكلة التي كانت جدتي أفتاب سببها؟

- أمي كانت في إيران، فبعد وفاة والدي قبل ذلك التاريخ بعشر سنوات، حاول جدي أن يجبرها على الزواج من عمي صلاح المدمن على الخمر ومعاشرة بنات الهوى، فرأت أن تضحي بكل شيء وتهرب لتستقر عند أختها فاطمة في مريوان ثم حَصَلَتْ على الجنسية الإيرانية بطريقة خاصة. لقد كان مكوثها في دولة أجنبية وحصولها على جنسيتها أمراً يحول دون زواجنا، لأنني في هذه الحالة أعتبر ابنة لأجنبية، وهو غير مسموح به اطلاقاً في حالة زواج أليك بصفته ضابطاً في الجيش، لذا إتفقت أختي نرمين وزوجها فرهاد على إخباره إنها في إيران لأسباب صحية وبشكل مؤقت وقدا له تقريرين عن إصابتها باكتئاب مزمن وضيق في التنفس ما يتطلب تغير بيئتها فانتقلت للراحة والإستجمام في إيران. كتب أبوك تلك المعلومة في الطلب الذي رفعه لوزارة الدفاع ومعها التقريران الطيبان. وفي إجازته التالية جاء حاملاً معه الموافقة على الزواج، فارتبطنا شرعاً وقانوناً.

- الجائزة ثمينة تستحق المجازفة..

قال الابن المشاكس.

- إن كنتُ وقتها جائزة فقد صرْتُ الآن عاجزة.

حوارات كزققة العصافير وتغريد البلابل، وأسلوب هانىء في المعيشة رسمه أب عسكري محنك صارم الوجه والمظهر طيب القلب والجوهر لا يعرف القسوة حتى في أشد حالات المخالفات العسكرية التي كان جنوده يرتكبونها، فكان ينظر إلى الأمور ببساطة، يمزج في عمله العسكري بدراسته لعلم النفس والتاريخ وتراجم وسير القادة العظام عبر هذا التاريخ الذي عشقه وتعمق في دراسته مضيفاً إلى ذلك تعمقه في فهم القيم الاجتماعية والتعاليم الدينية، فكيف سيقود هذه المجموعة الصغيرة المنسجمة المؤلفة من زوجة وولد وبنتين؟

قبل سنتين إحتل الأميركان بلاد السوداين كما يسميها سلمان نوري دائماً ويقصد بهما الزراعة والنفط. ومنذ ذلك الوقت كان يلوذ بآلاف الأسماء التي أحبها وعشرات الملايين من الأوراق من نتائجها الفكرية يدفن روحه بين ثناياها حيث تتزاحم في غرفة

مكتبته التي تشعبت وتبرعمت وتجدرت فغزت غرفة المعيشة وتسلفت جدرانها بتؤدة، لم يستفز توسع المكتبة سيدة الدار التي لاحظت إنها تخسر كثيراً من مواقع البيت لصالح الكتب.

في غابة الورق هذه كان يقضي أكثر وقته، فهو يبكر بعد حمّام الصباح عندما لا يضطره تدافع الأفكار إلى السهر فيفتح يومه يقرأ ويكتب وينتظر إستيقاظ الآخرين ليدعوه الى الفطور، وبعد أن تذهب پروين إلى كليتها يصحبها عمار طالب الهندسة فرع المعمار في المرحلة الخامسة في الجامعة نفسها، وتكون لينة قد سبقتهم في الخروج لبعدها كليتها، فهي في السنة الأخيرة من كلية الطب بجامعة الكوفة، يعود إلى أوراقه وكتبه وندمائهم العظام حتى تعود الزوجة فيتناول الغداء، ثم يستلقي ساعة بعد الغداء ليواصل عمله حتى وقت العشاء الذي لا يعنيه أمره، فهو زاهد في تلك الوجبة، ولكنه يشارك الأولاد شرب الشاي وتناول بعض الفاكهة، ثم يعود إلى مكتبته ولا يغادرها إلا وقد نام الجميع فيتسلل إلى مخدعه.. كانت الزوجة كثيراً ما تقضي أمسياتها معه بين الكتب.

منذ 2003 صار إيقاظه لبروين ليلاً، أمراً نادراً لا يتعدى المرة في الأسبوع، وقد يمر أسبوعان دون أن يوقظها ممازحاً ليفضحهما صرير السرير معلناً عن بدء لحظات حميمية.

كانا يظنان أن صرير السرير المعمر غير قابل للترجمة من قبل الآخرين. فيما كان عمار يعاني من ذلك الصرير الفاضح.. كان دائماً ما يخامره شعور بالخجل والحياء عندما يسمع إيقاعه المنفّر، الى حد انه ناقش الأمر مع أحد أخلص أصدقائه.. فعمار الذي نما ولعه بكتب الأساطير والخرافات قارئاً كل ما تحويه مكتبة والده وصار يبحث عنها في المكتبات الاخرى ليسهم في تسمين مكتبة العائلة، كان يفهم معاني ذلك الصرير. وحتى يُبلّغ والديه انه يفهم تلك اللغة، فإنه عقب ليلة عاصفة بذلك الصوت المنرفز، روى لهما على الغداء في يوم عطلة قصة الحدأة مع النبي سليمان:

- حضرت الحدأة إلى سليمان لتشتكي زوجها الذي أنكر أولادهما وإدعى أنه لم يسفدها وهؤلاء أولاد سفاح، فقال لها سليمان أَلَدَيْكَ شهود على أنه سفدك؟ فقالت الحدأة كلا فنحن نتسافد في أعالي الجو، قال لها سليمان إذا دنا منك بعد الآن وأراد أن يسفدك فأصرخي عالياً وإستمرري بالصراخ طيلة عملية السفد لتشهد كل الطيور على أنه سفدك، ومنذ ذلك اليوم والحدأة تصرخ عالياً عندما يسفدها الفحل والطيور تسمع وتعلم بما يجري بينهما.

لم يفك الأب صاحب الذكاء المفرط الشفرة الخليعة التي لَمَّح فيها الولد الى شئ ذي خصوصية، ولكنه فرح في داخله إن ابنه صار يقرأ طوعا ويستثمر ما يحصل عليه من خلال القراءة، أما الأم فقد إبتسمت بحياء خفيف ليس لأنها فهمت الرسالة الملوغمة ولكن بسبب رؤيتها إبنها يتكلم بفحش مؤدب.

أنجز سلمان خلال النصف الثاني من عام 2003 تأليف كتاب ضخيم بعنوان الآثار المدمرة للحروب في العراق -1980 2003 زادت صفحاته على الاربعمائة، وسلمه الى صديق له فتح مؤخرأ داراً للنشر، فطبعه كأول نتاج للدار. كان طبعه مغامرة غير محسوبة النتائج، إلا انه بعد شهرين استأذنه الناشر في أن يعيد طبع الكتاب بكمية خمسة آلاف نسخة، مما شجع الناشر الهاوي على تكليفه بتأليف كتاب عن التزاحم المصالحى الأجنبى السرى فى العراق منذ نيسان 2003، وكتبى عن الأفكار العامة لخطة الدفاع العراقية ضد الهجوم الأمريكى 2003، سلم سلمان مخطوطتى الكتابين المطلوبين ضمن المهلة المقررة. لقد كانت تلك النتاجات الفكرية جواز سفر لفكره إلى دور النشر العريقة.

قرر أن يكتب رواية يتجاوز فيها المستوى المتدنى لروايته على أن يحاكي فيها رواية ذهب مع الريح الرائعة التى كتبته

مرغريت ميشل الصحفية التي قرأت بضع كتب عن الحرب الأهلية الأمريكية ولم تعش فصولها، فلماذا لا يكتب ما يوازيها إن لم نقل أفضل منها خصوصاً وإنه طرف مشارك فاعل أو شاهد واعٍ في سلسلة الحروب التي خاضها بلده، فهو يمتلك الخيال الخصب والأسلوب الرصين والقدرة على تطويع الأفكار وتحويلها إلى نصوص أخاذة فضلاً عن الوقت اللازم والتصميم العالي. بدأ يكتب الصفحات الأولى من رواية (الوجنة النازفة) إستغرق تأليفها خمسة أشهر ونصف بلياليها ونهاراتها وإستغرقت حوالي مائتين وخمسين صفحة إستوحى عنوانها من جرح زوجته بشظية من عبوة ناسفة، وعندما عرض مخطوطتها على ناشر أردني، فإنه عرضها على ناقد إردني أبدى إعجابه بها، لذا تشجع الناشر وقرر أن يطبع ثلاثة آلاف نسخة منها، مكلفاً الناقد أن يعد دراسة عنها تنشر في إحدى المجلات الثقافية.



كانت مدة كتابة تلك الرواية إستمراراً لفترة تأليف الكتابين، ومشابهة للفترة التي أقام فيها بأحد القصور الرئاسية، أحس خلالها انه كطير الحب المحبوس في قفص لا يحق له أن يتطلع إلى ما وراء الأسوار، بل لم يكن يعرف اين يقع القصر الذي

يمكنه فيه، و كان إتصاله الهاتفي بأهله مقنناً محدداً بحضور مراقب، لا يتجاوز بضع عبارات تقتصر على السلام والسؤال عن صحة ودروس الأولاد.

كان ذلك قبل خمس سنوات عندما حضر إلى داره أحد معاوني مدير أمن المحافظة في الفترة التي كان خلالها خارج الجيش ليبلغه بوجوب مراجعته إستعلامات القصر الجمهوري في الساعة السابعة من صباح يوم غد، ومن هناك، بعد أن فتشته عناصر الحماية الرئاسية بدقة، أركبوه في سيارة مظلمة، وكأن طلاء الزجاج لم يكن كافياً، إذ أسدلت ستائرها وأبهر داخلها، وبعدما طلبوا منه أن يترجل، دخل بناية فخمة، ثم قطع دهليزا طويلاً، أدخل على سكرتير رئيس الجمهورية الذي وقف محيياً وصافحه برقة لا تتلاءم مع تقاطيع وجهه الصارمة وشاربه الكث، وأشار له بالجلوس.

لم تتضمن الجلسة مستلزمات ضيافة ولم يقدم له شيئاً يشربه، وإنما بادر السكرتير إلى مفاتحته بما مطلوب منه، فقال:

- إطلع سيادته على مشاريعك الكتابية وقرر إشراكك في فريق مكلف بمهمة إجراء دراسة ذات درجة عالية من الأهمية والكتمان، وسيكون الاجتماع الأول لفريق العمل هذا اليوم،

ولأنك لم تحضر الإيجاز الذي قُدم لفريق العمل لذا أمرني أن أوجزك بنفسي.

كانت مفاجأة لا تخلو من الرعب، إذ كان يتمنى أن لا يحتاج إليه النسق الأعلى في القيادة، لكثرة ما رأى من نتائج وخيمة لحقت بزملاء له كثار تشبثوا كثيراً ليلصقوا أنفسهم وأجسادهم بأعتاب ذلك النسق، ثم فقدوا كل شيء، بل كانوا يتلقون التهاني بالسلامة لبقائهم أحياء، وعندما استُدعي لمقابلة رئيس الجمهورية قبل سنوات لم يخف الرئيس إعجابه بكتاباتة العسكرية والمدنية على السواء وأعاد له بعضاً من حقوقه في تلك المقابلة وأمر بمنحه سيارة. وها هو يدنو من الكرسي الأعلى ثانية، فهو الآن قاب مترين أو أدنى من ذلك الكرسي الذي جلس على مقربة منه في تلك المقابلة. وأخذ يتطلع خلصة إلى جدران غرفة السكرتير ثم يقول في نفسه:

- لا شك انه يجلس خلف هذا الجدار المقابل لي.. ثم تراجع ليتذكر: لا لا.. فالباب التي دخلت منها تقع في هذا الجدار، اذاً فالدهليز هو الذي يقع خلف هذا الجدار وليس مكتب الرئيس.

وكمن يتجسس، حاول أن ينظر خلصة إلى الجدار الكائن خلف ظهره، فنكس رأسه بحجة النظر إلى الأرض بينما كان رأسه يدور

يمنة ويسرة، وأخيرا توصل إلى أن في الجدار باباً، تلك هي اذاً الباب التي توصل إلى مكتبه الفخم، إنها الغرفة التي تتطاير منها قرارات شن الحروب وأوامر الإعدام والتهجير والإغتيال والمنح والمنع وغير ذلك كثير، لولا أن أيقظته عطسة قوية للسكرتير الذي سحب قطعتين من علبة ورق تنظيف واندفع بإتجاه تلك الباب، وعندما فتحها تبين أنها غرفة حمام، لذا قرر أن لا يتعب فكره في البحث عن تلك الغرفة المحمية بكل وسائل التقنية الحديثة والرجال المستميتين والماورائيين الذين يقرأون الأفكار التي في الجماجم ويكشفون الأسرار التي في الصدور.

عاد السكرتير بعد أن عطس مرة أخرى وسعل وتمخط وغسل وجهه ويديه ليستوي على كرسيه متطلعاً إلى ورقة أمامه وهو يقول:

- قلت لك دراسة والصحيح هو سيناريو.

شعر سلمان بإرتباك شديد لم يألفه في نفسه سابقاً، فهو ليس سينارست، فهل ان مبادرة الرئيس في تقديم مكافآت سخية لكادر مسرحية إهتم بها الوسط الثقافي وكذلك حضوره عرضاً خاصاً لمسرحية أخرى، إضافة الى ما أشيع

مؤخراً من انه ألف رواية لم يضع إسمه عليها، جعله يتصور أن كتابة سيناريوهات الأفلام والمسلسلات والمسرحيات أمر ممكن حتى لغير ذوي الاختصاص؟ ومع ذلك بدا متماسكاً ينتظر المزيد من الشرح والتفسير، فقال السكرتير مكماً دون أن يفصح عن صلب الموضوع:

- فريق العمل الذي ستعمل ضمنه مكون من الفريق الركن ناجي حمادي المستشار في رئاسة الجمهورية واللواء الركن عبد الرؤوف ناصر معاون مدير الاستخبارات العامة واللواء الركن أكرم برهان من ديوان وزارة الدفاع، والعميد الركن راشد عبد الحميد من جهاز المخابرات العامة. إنهم على وشك الاجتماع في مكان ما وسنرسلك إلى هناك..لن يسمح لكم بمغادرة مكان العمل حتى الفراغ من إنجاز السيناريو، وقد وفرنا لكم كافة المصادر والمراجع والمعلومات المطلوبة ومستلزمات الإقامة، ولكم صلاحية مفاتيح وزارات الخارجية والداخلية والدفاع والتخطيط ومديرية الأمن العامة والمخابرات العامة والاستخبارات العامة وأية جهة أخرى عن طريق ضابط إرتباط من هيئة المرافقين هو الملازم وعد قاسم. يمكنك الذهاب إلى هناك وإن رئيس وأعضاء الفريق أحيطوا علماً برغبة سيادته

باشراكك، خصوصاً وان صياغة السيناريو ستقع على عاتقك أنت بسبب حلاوة أسلوبك الادبي الذي يفصله سيادته.

تردد قبل أن يفتح فمه لأن هذا الإيجاز غير واضح، وتلجج ولكنه لاحظ أن السكرتير يتطلع إليه كمن ينتظر منه سؤالاً فبادره:

- وما هو موضوع السيناريو سيدي؟

- حقاً لقد فاتني أن أخبرك بمضمونه، فبعد بلوغ مرحلة اليأس من رفع الحصار الجائر عن شعبنا المظلوم، وبات مؤكداً إن الإدارة الأمريكية تعمل ليل نهار من أجل شن عدوان غادر على الوطن، فلا بد من التفكير بما ينبغي فعله، لذا أمر سيادته بإعداد سيناريوهين، السيناريو الأول: يتضمن قلب نظام الحكم في الأردن وإندفاع الجيش العراقي نحو فلسطين يرافق ذلك قيام إسرائيل باستخدام أسلحة دمار شامل، والسيناريو الثاني: هو إعادة مهاجمة الكويت وإحتلالها مهما تطلب ذلك من ثمن، والصمود فيها هذه المرة حتى النهاية.

صعق سلمان وتلكأ وتردد ثم أحجم عن طرح أسئلة أخرى أملاً في أن يجد ضالته عند زملائه في فريق العمل، فهو يستطيع أن يجادلهم ويحاورهم بحرية أكثر مما يتاح له هنا مع صاحب

الوجه العبوس، لا سيما وانهم زملاء مهنة وبينهم لغة مشتركة، وكان بعضهم من معارفه، فهذه الأفكار انتحارية بكل ما تعني كلمة انتحار. ثم ان من يريد أن ينتحر بمقدوره فعل ذلك ليريح نفسه والبلاد والعباد، فلماذا يجبر الناس والتاريخ والمستقبل والبيئة والبلدان المجاورة إلى مصير مدمر وقرر الإندفاع نحوه؟ كان تفكير الرجل إحتدامياً ممزوجاً بالخوف من هذه التجربة الخطيرة، فهو سيتحمل بعضاً من وزر الدمار الاخير لوطنه.

ترى كيف تقرر إشراكه في هذا العمل المغرق في السرية والكتمان وهو ضابط سبق وإن سجن وطرد من الجيش لأسباب عُدَّت سياسية، على الرغم من ان الرئيس أمر برفع الغبن عنه وأوعز بتدريس بعض أبحاثه المنشورة في المجلة العسكرية ومجلة مختارات سوقية في كليتي الحرب والدفاع الوطني، وعلى هذا الأساس فقد دعتة جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا لإلقاء سلسلة من المحاضرات كمحاضر خارجي في الكليتين المذكورتين.

حلقت في خياله أسئلة كثيرة، فمن هي الجهة التي يفترض قيامها بقلب نظام الحكم في الأردن، وكيف وما علاقة العراق بذلك، وكيف سيقطع الجيش العراقي بسياراته التي تنفث حديد

محركاتها مع غاز العادم وتمشي على إطارات ملساء مسافة ألف كيلو متر من الصحراء المكشوفة وتحت غطاء جوي متهالك؟ وما نوع أسلحة الدمار الشامل الإسرائيلية عدا الرؤوس النووية التي ربما صار عددها ثلاثمائة وماذا لدينا بالمقابل، هل سيتمكن من إزاحة الأولوية الأمريكية والبريطانية المتجحفلة هناك وخاصة في الدوحة شمال العاصمة الكويتية ليصل إلى الأماكن الحساسة فيها؟ وغيرها وغيرها كثير، كان رأسه ساحة تدافع وتصارع لأسئلة وأفكار متشائمة. سحب نفساً طويلاً مليئاً بالهواء النقي، فصدره الضيق المشحون بحسرات وآلام مخزونة منذ بداية سني الحصار، أخذ بالضيق تدريجياً. تمنى لو أن في جيبه قرصين من تلك التي تستخدم لتسكين الصداع، فرأسه يكاد ينفجر، إنه حائر تائه فقد السيطرة على زمام تفكيره ومشاعره وماعاد يفهم شيئاً من المهمة الشيطانية التي طارت من الغرفة التي تقع إلى يساره بلا شك، لتحرق ما تبقى من بناء شيدّه أبناء وطنه منذ أكثر من خمسة آلاف سنة.

رأى في إجترار أحداث التاريخ الغابر وسيلة للهروب من واقع متخّم بالخوف والهلع، وإستذكر كيف كان ملوك العراق وقتذاك يحملون أوعية البناء وآلات الحصاد، كان عندهم القتال حالة

إستثنائية ومفروضة فالسيادة كانت للسلام لذا أنشؤوا الحضارة الأم، وراح يستمتع باستحضار شواهد من ذلك الماضي تمنى وجودها في زمانه.

عند الباب، كانت السيارة المظلمة تنتظر ومحركها يدور، إتجهت السيارة بسلمان المذهول المروّع لتتوقف في مكان مجهول دون أن يدري كم قطعت من مسافة، وعندما ترجل وجد نفسه داخل مكان تحيطه أسوار شاهقة لا تسمح له بمشاهدة شئ غير السماء، كانت الشمس على يمينه وهو يدخل قصرأ فخماً حيث إستقبله عند مدخله ضابط شاب، قدم نفسه من غير تحية عسكرية، وإكتفى بمصافحته:

- ملازم وعد قاسم ضابط الارتباط من هيئة المرافقين.

قاده إلى الداخل حيث كان فريق العمل قد تكامل في البهو الرئيس، بإنتظار القادم الذي قرؤوا كثيراً من كتاباته وإن رئيس الفريق هو الذي طلب من رئيس الجمهورية الإيعاز بضم سلمان نوري إليهم بسبب بلاغة أسلوبه وتمتعه بخيال لا يملك مثله أي من أعضاء الفريق المنتقى بعناية استخباراتية عالية، فأجابه الرئيس: أحسنت.. لقد ذكرتني به كان يفترض أن يكون إسمه ضمن فريقكم.

على الطاولة الرئيسة لغرفة الإجتماعات، كان ثمة مصحف، طلب الملازم وعد من المجموعة إداء اليمين شارحاً لهم:

- لحفظ سرية العمل وعدم الإباحة به لأي كان خارج المجموعة، لا الآن ولا في أي وقت مهما إمتد بكم العمر وأن لا يعرف به حتى زوجاتكم وأبنائكم، ستقسمون على الحفاظ على سرية مهمتكم بكافة تفاصيلها.

أقسموا فرادى مردين العبارات التي كانت تتضمنها ورقة بجانب المصحف، ثم رفع الملازم المصحف ليضعه على الرف، وحرر محضراً بمراسم القسم متضمناً تعهداتهم بكتمان ما سينهمكون بعمله، والمخالف يعرض نفسه للإعدام ومصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة، ووضعوا تواقعهم على المحضر الذي ختمه الملازم بعبارة (نظم المحضر من قبلي وأشهد على صحة التواقع الواردة فيه).

صدم اعضاء فريق العمل عندما علموا ان المهلة المقررة لإنجاز العمل شهران غير قابلة للتمديد، على أن يتحدد حجم كل سيناريو بعشر صفحات فولسكاب يصار إلى إعداد تمارين تعبوية ولعب حرب على وفق ماسيرد فيهما، وستشارك كل وزارات الدولة في إداء تلك التمارين. همس سلمان باذن اللواء عبد الرؤوف معاون مدير الاستخبارات:

- وهل سنبقى هنا شهرين؟

- هذا إذا ما واصلنا الليل بالنهار.

لم يكن سلمان قد أبلغ بالمهمة لذا لم يستصحب لوازم المكوث الطويل كالملابس وأدوات الحلاقة وأدوية المعدة وإرتفاع ضغط الدم وغير ذلك. قال له أحد زملائه ما أراحه:

- الملابس متيسرة وكذلك أدوات الحلاقة، وستجد جناح نومك مجهزا بكل ما تحتاج إليه ومالم تفكر به، أما الادوية فبإمكانك أن تبلغ ملازم وعد لجلبها، ستكون عندك بعد أقل من ساعة، كلنا مررنا بهذه الحالة.

- كم مضى على وجودكم هنا؟

- أنا والفريق الركن ناجي موجودون هنا منذ ظهيرة الأمس، والاخوان الباقيان جاءا قبلك بقليل.

في سباق حثيث مع الزمن والأفكار والمعلومات ضمن عملية نقاش ربما خرج فيها أفراد الفريق عن بعض قواعد الانضباط العسكري بسبب خطورة المهمة وتضارب الأفكار والمفاهيم أنجز العمل خلال خمسين يوما، وقرروا على أن ينفرد به سلمان ليعيد صياغته بأسلوب شيق وممتع بمهلة لا تتجاوز مدة الأيام

العشرة الباقية من الشهرين، ما أتاح له فرصة إدخال بعض الأفكار التي رفضت خلال المناقشات الحامية، وبعد ما أنجز الصياغة في اليوم الثامن، شرع يقرأ النصين على زملائه الذين لم ينتبهوا إلى الأفكار التي أضافها والتي كان بعضهم يعارضها فيما سبق.

في اليوم الستين إستقل فريق العمل ومعهم الملازم وعد حافلة صغيرة مظلمة. كان الملازم يحمل أوراق سيناريوهي الرعب. أمروا بالترجل بعد خمسين دقيقة من المسير لاحظوا أن السيارة داخل رحبة مغلقة مسقفة لا تدرك أبصارهم ما بخارجها، دلفوا من أحد أبوابها إلى بناء منيف، أودعوا محتويات جيوبهم وحتى ساعاتهم وخواتمهم، موظفاً هناك. وفي إحدى الغرف خضعوا لفحص اللوزتين وقياس ضغط الدم ودرجة الحرارة لكل منهم وكان الطبيب يسجل المعلومات في إستمارة خاصة مثبت عليها الإسم والعمر.

أمرهم الطبيب بخلع ملابسهم، فالتفت بعضهم نحو بعض بدهشة الكبار المثقلين بتجارب الحياة، هز الطبيب رأسه مشجعاً لهذه النخبة من كبار الضباط على أن يروه أجسادهم المترهلة وكروشهم المتههلة. بدأ أكبرهم سناً ورتبة والذي عمل قائداً لأحد الفيالق طيلة أربع سنوات قبل أن ينقل إلى منصب مستشار

في رئاسة الجمهورية بخلع بزته العسكرية وأخذ يعلق قطعها الواحدة تلو الأخرى على شماعة في الزاوية فتشجع الآخرون، كان سلمان، الوحيد بينهم الذي يرتدي الملابس المدنية مستغرباً من عملية فحص المستشار كأى شخص آخر، ثم وقفوا جميعاً لا يغطي عري أجسادهم غير اللباس الداخلي والجوارب.

عندما إنتهى الطبيب من فحص الجميع فحصاً طبياً دقيقاً أمر أكبرهم رتبة بالتوجه خلف الستارة حيث سرير للفحص، وتكرر العمل مع الآخرين إلى أن وصل الدور إلى سلمان فدخل الحيز الخفي. فاجأه الطبيب الشاب عندما أمره بالتعري:

- إخلع لباسك والجوارب!!

-!!

- اخلع من فضلك!!

إرتبك وإضطرب وإرتعشت وجنتاه وإحمر واصفر واخضر، وتمنى لو لم يحضر ولكن لات ساعة مندم، فهو لم يعامل هكذا عندما قابل الرئيس على انفراد في المرة الأولى فلماذا يُذل ويُهان بهذه الطريقة المجحفة واللاغية للكرامة الإنسانية. حصل معه مثل هذا عندما خضع لفحص القبول بالكلية العسكرية قبل قرابة

أربعين عاماً، فهو وقتها كان شاباً لا يملك القسط الوافر من الوقار والحياء الذي إكتسبه فيما بعد. فضّل أن يخلع الجوارب أولاً، كان الطبيب يراقبه بصبر وأدب ظاهرين، وضع فردة جوارب على السرير والأخرى سقطت على الأرض، نساها في غمرة إنشغاله في كيفية خلع اللباس الداخلي. لولا الحياء لبكى، خلع اللباس وأبقاه بيده كأنه لا يريد أن يشعر أن اللباس بعيد عنه، أمره الطبيب أن يدور حول نفسه:

- ما هذا الأثر على فخذك الأيسر؟

- شظية أصبت بها في الحرب مع إيران.

شعر بالقشعريرة والتأمل تسريان في كل جلده عندما جس الطبيب الجرح بأصبعه ثم عصره بثلاثة أصابع ربما ليتأكد من أنه لا يخفي شيئاً.

- ما هذا الذي في كتفك؟

- طلقة قنّاص..

وفعل الطبيب مثل فعله مع الجرح الأول.

- إفتح فخذك على أوسع ما تستطيع.. وبعد أن فتحهما أمره الطبيب أن يجلس القرفصاء مع إبقاء فخذه متباعدتين، جلس وكأنه يتغوط.. خصيته متدلّيتان تكادان تلامسان البلاط، ثم أمره

بالنهبوض، ربما كان ذلك الفحص للتأكد من نه لا يخفي دبوسا
أو مسمارا بين إلتيه، ولم تكن خصيتاه مستثنتين من الفحص
النظري للطبيب الذي لم يلمسهما، ثم أمره بلبس اللباس.

خرج من الحاجز ليرتدي ملابس خجلا مما حصل معه،
وعندما شرع بلبس الحذاء كانت بيده فردة جوارب واحدة، عاد
إلى الحاجز لبحث عن الفردة الأخرى فوجدها تحت السرير.
أراد الطبيب أن يتأكد أن النظارات التي يحملونها طبية، وبينما كان
يفحصها واحدة واحدة سألهم:

- هل إن استصحابكم النظارات ضروري؟

فأجابه الفريق ناجي:

- ياإبني نحن لجنة مكلفة بإجراء دراسة وسنقرأ عشرات
الأوراق على سيادته، فكيف نقرأ بدون نظارات ونحن بالسن
التي ترى؟

غطسوا أياديهم في إناء يحوي سائلاً حليياً، تبين انه مادة معقمة،
ومرروا على شخص يقف أمام باب موصدة، يمسك بيده عداداً
للإشعاع، طلب من كل منهم أن ييسط يديه فمرر الجهاز عليهما
وعلى عموم الجسم من كل الجهات، وحاول أن يعترض على

حملهم النظارات، لكنه مرر عليها جهاز المسح الإشعاعي على مضض وسمح لهم باجتياز الباب الذي يقود إلى الرحبة المغلقة، فأمامهم رحلة أخرى.

أحسوا بتغيير الحافلة التي أقلتهم إلى هذا المكان. وما أن ركبوها، حتى إنطلقت بهم. كان يعاني من إنكسار داخلي كبير، فما جرى له لن ينسى.

في نقطة يجهل الجميع مكانها على الخارطة سوى السائق المكلف بإيصالهم إليها والملازم الذي بجانبه ترجلوا من الحافلة، لم يكن مع أي منهم ساعة ليعرفوا كم من الوقت استغرقت الرحلة العمياء، إلا إنه ليس أقل من ساعة. ركزوا بنظرهم الى الأمام كما أمروا، الا ان سلمان المغامر الشغوف بالاستطلاع راح يسترق النظر يمينه ويسرة، تلح عليه دواخله بالتعرف على المكان، ولكن لا مجال، فلم ير من المعالم العالية أي شيء، وعندما حانت منه التفاتة إلى الوراء، فوجئ بأن شاطئ دجلة لا يبعد منه سوى بضعة أمتار وقد نما على ضفته القصب والبردي بشكل كثيف جداً حتى بدت الضفة وكأنها غابة مهجورة لا تسمح بمعرفة طبيعة الضفة الثانية، ثم راجع عقله ليقول: ومن يضمن أن هذا هو دجلة؟ فليس هناك أية وسيلة للتحقق، خصوصاً وان الطريق إلى هنا إستغرق أكثر من ساعة.

أدخلوا المبنى الذي مؤه حتى بدا من الخارج كحقل تربية الدواجن مؤلفاً من عدد من المسقفات الطويلة، حاول استعادة ثقته بنفسه، على الرغم من انه محفوف بالهواجس والأوهام والتراجعات والإنكسار، فجلس مع زملائه في قاعة واسعة تتسع لمئات الأشخاص، كان قد شاهدها في التلفزيون. كان الصمت سيد الموقف، وما ان نهض الفريق ناجي مستفسراً من الملازم عن مكان دورة المياه، حتى لحق به زميلان، بينما إكتفى سلمان برشفة واحدة من قدح الماء الذي أمامه، دونما إكثار مخافة أن يطول اللقاء مع الرئيس فيشعر بالحاجة إلى التبول، ثم حسم أمره فتوجه إلى دورة المياه في مؤخرة القاعة.

حضر ضابط برتبة رائد ليوجزهم بآداب المثل أمام الرئيس ورجاهم أن يلاحظوا عدة امور، منها: عدم جواز التكلم إلا إذا طلب الرئيس ذلك من أحدهم. لا يسمح بالكلام بأمر لا علاقة لها بالموضوع الذي حضروا من أجله إطلاقاً. يمنع منعاً باتاً طرح أمور شخصية. يمنع التكلم فيما بين أعضاء الفريق ويكون الكلام موجهاً إلى الرئيس شريطة أن يطلب منهم الكلام. الإختصار الشديد والإيجاز المفيد عند الطرح. لا يسمح بالكلام مع الرئيس بأسلوب السؤال. عندما يرغب الرئيس بالكلام فعلى المتكلم التوقف عن

الكلام فوراً، على أن لا يعاود الكلام إلا إذا أمره الرئيس بذلك. إذا تقاطعت أفكار أي من أعضاء الفريق مع طروحات الرئيس فليدع أفكاره جانباً ويعمل بما يأمر به الرئيس. ثم أبلغهم أنهم سيجدون نسخة من دراستهم أمام كل واحد منهم وبجانبها قلم مع دفتر ملاحظات. وعليهم ان يدونوا كل ماسيقوله الرئيس.

عاد الصمت الى القاعة دقائق قبل أن يطلب منهم الرائد النهوض والتوجه إلى باب تقع إلى يسارهم، فدخلوا بهواً متواضعاً دلفوا منه إلى غرفة مكتب وبعد اجتيازها وجدوا أنفسهم في غرفة إجتماعات كانوا قد رأواها كثيراً في نشرات الأخبار التلفزيونية.

إستقروا على الكراسي المرصوفة في القاعة، و جلس الملازم على كرسي قرب الجدار فيما وقف الرائد قرب باب خلفية مفتوحة وهو يراقب ما وراءها، مكث الجميع على تلك الحالة كالخشب المسندة طيلة نصف ساعة، وفجأة صرخ الرائد مطلقاً سَيْلاً سريعاً ومتواصلاً من كلمات قليلة، معلناً عن وصول الرئيس.

نهض الجميع دون الإلتباه إلى أن دفع الكراسي المفاجئ أحدث جلبة تواصلت مع صراخ الرائد ثم دخل الرئيس وخلفه

السكرتير ومرافق برتبة عقيد، وكان السكرتير يحمل عدداً كبيراً من الملفات ذات اللون الوردي، أدى الجميع التحية العسكرية بإستثناء سلمان الذي وقف منتصباً كالتمثال، سلم عليهم الرئيس دون أن يصفح أيّاً منهم، ثم جلس وجلس السكرتير، فأمرهم بالجلوس.

التفت الرئيس نحو الفريق ناجي مماًزحاً:

- ناجي..أتعبناكم أنت وإخوانك بهذا العمل.

حاول الفريق أن يهئ كلمات للرد على هذه المجاملة غير المتوقعة ولكن المفاجأة كانت أكبر من قدرته على الاحتواء فقال مرتبكاً مبتسماً متسرعاً متلعثماً:

- سيدي نحن في خدمتكم، حفظكم الله وأطال الله في عمركم الكريم.

- بارك الله فيكم فالوطن ينتظر منكم المزيد، كلنا خدام لهذا الوطن.

طلب الرئيس إطلاعه على نتائج العمل، فأوعز الفريق ناجي إلى سلمان بالمباشرة بقراءة نص السيناريو الأول.أشار السكرتير إلى سلمان بالتوجه إلى المنصة، وشرع يقرأ أوراق ملف السيناريو

الأول وكان الرئيس مستمعاً جيداً يصغي لكل عبارة باهتمام، بل لكل حرف. إستمر يقرأ والرئيس يوقفه ليعقب أو يستفسر أو يأمر بالتغير، ثم أمره بالتوقف للإستراحة، ولم تكن قراءة أوراق السيناريو الأول قد أكملت.

غادر القاعة بعد أن جمع السكرتير كل الأوراق التي أمامه على أن يعود بعد ربع ساعة. حاول الفريق ناجي الإستدلال على دورة المياه وما أن أرشده الملازم إليها حتى تبعه زملاؤه.. فالتوتر الذي ما زال قائماً قد يملأ المثنات، فعلى الرغم من أن القسم الأكبر من السيناريو قد مر بسلام، فإن سيناريو ونصف لا يعلم إلا الله تعالى ما إذا كان الرئيس سيوافق المجموعة على ما رسموه فيهما أم لا.

أسرع الجميع إلى مقاعدهم ولما تنقضي غير بضع دقائق من الإستراحة، بينما عاد سلمان ليقف خلف المنصة إلى أن يستكمل الرئيس إستراحته.. وفي نهاية الدقيقة الثامنة عشرة صرخ الرائد عند الباب معلناً عن وصول الرئيس. دُفعت الكراسي بشدة إلى الخلف ونهض الجميع وصاح قائد المجموعة بأعلى صوته:

- إحترم..

فأدى الجميع التحية . نظر الرئيس إلى سلمان المسمّر خلف المنصة:

- تفضل سلمان أكمل .

وبعدما أنجز الرجل قراءة السيناريو الأول، وعلى الرغم من كثرة مداخلات الرئيس أثناء القراءة، إلا أنه بدأ يعلق على السيناريو لمدة ثلاثة أرباع الساعة طالباً تعديله على وفق الملاحظات التي أبادها، كانت الساعة الواحدة والنصف عندما أشار الرئيس إلى السكرتير أن يهتم بغداء فريق العمل، وسيلتقيهم بالساعة السادسة مساءً لمناقشة السيناريو الثاني.

عادوا إلى القاعة الكبرى يطلقون التهنيدات كل على طريقته الخاصة وحسب حجم القلق والمخاوف التي كانت تتفاعل في صدره، كان سلمان يشعر بالجوع ويتمنى أن يدعا إلى المائدة فهو يجوع كثيراً ويشعر بالنعاس الشديد في حالات التوتر والإنزعاج، وهو على تلك الحال منذ أمس.

بعد الإنتهاء من تناول الغداء عكفت المجموعة على تعديل السيناريو على وفق التوجيهات الرئاسية، وأخذوا يتهيؤون لمناقشة السيناريو الثاني الذي فرغوا منه في الساعة الحادية عشرة من ليلة

أمس. تناول الرئيس السيکار السادس منذ بدء اللقاء فأشعله مما يعني أن اللقاء سوف لن ينتهي الآن، فشكر الرئيس المجموعة وطلب منهم إدخال التعديلات المطلوبة وتسليم الملفين مساء غد إلى السكرتير، وأخذ يكتب على دفتر أمامه، ثم إنتزع الورقة وناولها السكرتير وغادر القاعة. سلم السكرتير الورقة إلى الملازم وعد ثم تبع سيده سريعاً، فقرأ الملازم ما كتبه الرئيس بصوت مسموع من قبل الجميع:

- مليوناً دينار مع سيارة سدرک ووسام الرافدين من الدرجة الثانية لكل منكم.

لم يكن المبلغ المالي ولا السيارة مهمين لسلمان بقدر أهمية الوسام فسوف يضمن خمس درجات على معدل درجات ابنه عمار وإبنته لينة الأمر الذي سيضمن لهما دخول تينک الکلیتين اللتين تمنياهما، فسيدخل عمار كلية الهندسة ليتخصص في المعمار وربما تلتحق لينة بالكلية الطبية فمعدلها أعلى من معدل شقيقها.

وعندما أعيدوا إلى مقر إقامتهم طمأن پروين هاتفياً وإطمأن على صحتها وصحة الأولاد، لم يكن قد أخبرها بأنه سيذهب لمقابلة الرئيس لذا لم يخبرها بعودته من اللقاء ولو إنها كانت

متلهفة لمكالمته حيث لم يها تفها منذ يوم أمس، مرر لها إشارة ليست محكمة التشفير وهو يقول:

- راقبي التلفزيون مساء غد حيث سيظهر سلمان في نشرة الأخبار الرئيسة.

وبدت پروين القلقة ساذجة إذ سألته:

- وهل قابلت الرئيس؟

- كيف حال الأولاد؟

- لم تجبني على سؤالي.. هل قابلت الرئيس؟

- لا داعي لإيقاظهم ولكن لا تنسي أن تبلغهم تحياتي وقبلاتي، سأكلمك غدا، أشعر بالنعاس تصبحين على خير.

قال عباراته الأخيرة بسرعة وبشكل متواصل هادفا إلى تسريع إنهاء المكالمة مع الزوجة التي لا تفهم معنى أن يكلمها زوجها من تلفون أحد القصور الرئاسية . ثم أغلق الخط الذي مازال يحمل صوت الزوجة الوالهة.

ليلة الصدمة والنزوع

إعتاد سلمان منذ سنين، الذهاب إلى بغداد مرتين في الأسبوع، يراجع خلال رحلاته تلك بعض المؤسسات الثقافية لنشر نتاجاته في مجلاتها أو لمتابعة نشاطاتها وبرامجها الثقافية، أو لشراء الإصدارات الحديثة من الكتب والدوريات، وهو منذ قرابة سنة لم يمارس هوايته الممتعة المحببة تلك غير مرتين، ذهب خلالهما بسيارات الأجرة بسبب الإختناقات المرورية والزحام الشديد في شوارع العاصمة الذي سببته الدوريات الأميركية في تلك الشوارع من خلال الإغلاق المتكرر للطرق، لسبب ولغير سبب كما كان يقول دائماً، إضافة إلى احتمال تعرضه إلى التسليب من عصابات الجريمة المنظمة، الذين قد يستولوا على سيارته، دون إستبعاد قيامهم بقتله.

كان جاره منعم عبد الحافظ مدير المجاري في المحافظة وهو من أنصاف المثقفين، يكن اعجاباً وتقديراً عالياً لشخصية

وثقافة ونتاجات سلمان، قد عرض عليه خدمة تتمثل في إيصاله غداً إلى بغداد ليراجع المؤسسات المعنية والعودة عصرًا، رفض سلمان بادئ ذي بدء، لأن بعض العناصر المسلحة تستهدف السيارات الحكومية لتحرقها وتقتل من فيها. ضحك منعم وقال:

- وهل تظننا نجازف بحياتنا؟ إننا نذهب بسيارات أهلية مستأجرة فنبدوا لهؤلاء ولغيرهم كمسافرين عاديين. لقد سبق وان استأجرنا سيارة جارنا رجب وهو الذي سيوصلنا غدا وبودي أن تكون معنا ننتفع بعلمك ونستمتع باحاديثك أطول فترة ممكنة، فالطريق لا يقطع بسهولة الا بحديث شيق.

- من يسافر معك؟..

- استصحب عادة الأستاذ فريد، أحد مدراء الأقسام عندي في الدائرة.

واتفقا على أن يحضر السيد منعم في الساعة الخامسة والنصف صباح اليوم التالي لينطلقا. عكف سلمان على تهيئة الدراسات التي أنجزها ليوذعها الى مجلات الحكمة والمورد والاقلام، وسجل أرقام الأجزاء الناقصة من بعض دورات الكتب للبحث عنها في مكتبات شارع المتنبي، وطلب من عمار

الذي يستيقظ عادة بالساعة الرابعة لأغراض المذاكرة إيقاظه
بالساعة الخامسة.

- بدون إيقاظي من سيعدّ لك الفطور..

قالت پروين وهي تبسم، ثم التفت إلى عمار لتقول له بصيغة
الأمر:

- وأنا أيضا أيقظني بالخامسة.

ضحك الولد المشاكس المتصيّد لهفوات أمه وهز رأسه ثم عاد
ليركّز على كتابه المنهجي من غير أن يعلّق . فسحبت الأم الكتاب
بعنف وقالت ألم تسمع ما قلته لك، أنا لم أرو لك نكتة لتضحك.

- ألسِتِ معه في نفس الغرفة؟ يعني انك ستستيقظين تلقائياً
عندما أطرق الباب لأوقظ بابا أليس كذلك؟

تلكأت الأم وقد أسقط بيدها بعدما ضبطت الإثنين يتبادلان
الغمزات والإبتسام:

- إفترض أنني لم أستيقظ!

حسم سلمان الحوار غير المتكافئ وقال لها:

- وهل تتصورين إنني سأهناً بفطور يقدم لي من يدين غير
هاتين اليدين الجميلتين الطيبتين..

ثم وضع يده على منكبها متوجهين إلى المخدع. خرج عمار إلى الحديقة في محاولة للإبتعاد عن صرير السرير، فطالما استفزه سماع صراخه حتى أن صديقه وكاتم اسراره ساهر ساهم معه في البحث عن حلول للمشكلة السريرية، ولكن الحل الناجع مازال غائباً.

طرق عمار الباب ليوظ أبويه، فنهضا، إنشغل كل منهما في شأنه، دخل الأب الحمام لينشط بدنه برذاذ بارد، ثم شرع يهئ حقييته ويضع فيها أوراقاً ونظارات القراءة ومجموعة أفلام، بينما كانت هي تهئ الفطور. وما أن غير ملابسه وأكمل فطوره حتى قرعت الباب، فحمل الحقيبة وتوجه إلى الخارج حيث كان عمار يتحدث مع السيد منعم. وفي الخامسة والنصف ودقيقتين كانت السيارة قد اختفت في عطفة الطريق الذاهب إلى بغداد.

مكث عمار يراقب حشداً من الكلاب السائبة التي تزعج أهالي الحي في تجمعها قرب ساحة بيع أسطوانات الغاز السائل عبر الشارع ، وإبتسم وهو يشاهد لورا التي كانت قبل خمسة أشهر جروة صغيرة جميلة لا يتجاوز عمرها شهرين وهي تتسكع قرب باب دارهم، إذ رفض أبوه رغبته في استضافتها

بيتهم لوجود نهبي شرعي عن جَنِي الكلاب من غير مبرر، أطلق عليها عمار اسم لورا، وها هي وقد احتوشها كل هذا الحشد من الكلاب الذكور ثم نزا عليها أضخمهم، بينما راح اثنان من الكلاب يرهزان على الارض فتذكر صرير السرير المزعج.

كانت الأم قد عادت إلى فراشها لتكسب ساعة أخرى من النوم. فرأى أن يجرب بنفسه تحريك ذلك السرير الملعون، فاستلقى في الموضع الذي ينام فيه أبوه من السرير، كان الكتاب مايزال بين يديه، فوضع قدم رجله اليمنى فوق ركبته اليسرى وتعمد أن يهز رجله بأكثر مايقدر عليه من عنف، كان صرير السرير ضعيفا.. لذا تأكد له أن صرير السرير يرتفع عندما يتناغم هز الجسدين معاً، وتلك مشكلة لاحل لها إلا بزرع عدد من المسامير في انحاء متفرقة من جسد السرير الداعر فلعله يكون أكثر حياءاً. فتحت الأم عينيها الناعستين على صوت السرير المتصاعد، قالت له بصوت خفيض:

- هُز الرَّجُل بهذه الطريقة علامة على الشعور بالقلق، فما الداعي لقلقك؟ هل تخشى من درس ما مثلاً؟.

- كلا أبداً فهذه محاولة للبقاء مستيقظاً، أنا لست قلقاً على الإطلاق.

- عموماً كفى نوماً هلاً تهيات للذهاب إلى الكلية؟
- نعم، نعم سأتهياً.. وأرسل نظره صوب الساعة الجدارية.
- لا تنس أيقاظ أختك لتتناول فطورها، فهي اليوم متأخرة.

لم تعد الكلية ممتعة بنظره كما كانت، فثم طلاب منحوا إمتيازات تحت ذريعة الضرر السياسي فاحتلوا مقاعد في كليات ليسوا أهلاً لها خصوصاً في الصفوف الأولى من كليتهم. فتلك الامتيازات جعلت بعضاً منهم يستعلون على زملائهم، إذ يمنحهم القانون تميزاً بيّناً، وبذا كانوا يحاججون الآخرين. في صفه الدراسي نماذج من هذه الشرائح، ولعل المجموعة التي يسميها الطلاب مجموعة أخوان الريف والبعض يسميهم عصابة الاربعة والمؤلفة من كل من راقية ظاهر وسلمى عبد الرزاق ومعين شلال وفيصل حسوني الذين يحتلون الكراسي الأمامية في الصف ممن يتعاملون باستعلائية وفوقية مع الأساتذة والزملاء ليسوا غير أمثلة على الحقيقة التي يتجرع عمار مرارتها. راقية التي سماها الطلاب، النمرة السوداء، فتاة نحيفة طويلة سمراء مصفرة ذات جلاباب أسود وفوطة سوداء لا تكتفي بربطها

على شعرها وعنقها بل تخفي حنكها وراء طرفها الأسفل، تخفي أطرافها بقفازات سود وجوارب سود، شرسة لا تتورع عن إغاضة أفضل الأساتذة سلوكاً وأغزرهم علماً وأكثرهم حكمة وتعقلاً، وهي تنظر إلى الطلاب نظرة إستعلائية، تشعر زملاءها وكأن المجتمع مدين لها بالكثير مما يجب عليها أن تستوفيه منه. انها لم تكن كذلك في السنتين الاولى والثانية، وبدأ سلوكها يتنمر وتصير أكثر شراسة في السنة الثالثة. وبعد تغيير الاوضاع عقب الإحتلال حيث ظن الناس انها ستهرب وتختفي هي وأبوها الذي إتضح فيما بعد انه عمها. فهذا العم كان يضطلع بمسؤوليات في زمن النظام السابق، حتى ظن الجميع انه سيحاسب من قبل رجال العهد الجديد.

أما سلمى فهي أقل شراسة وتشدداً، ترتدي جلباباً رصاصياً أو بنياً وأحياناً أخضر. اسمها المتداول بين الطلاب، الوصيصة فهم يرونها أشبه بالجارية التي تأتمر باوامر راقية، جاءت نقلاً من كلية الهندسة الاولى جامعة بغداد بعد تغيير الاوضاع وبروز مخاطر حقيقية على البنات الجامعيات خاصة بنات المحافظات، ما جعل أهلها يتشبثون بكل الطرق والوسائل من أجل نقلها إلى الحلة. كانت معتدلة في حجابها وسلوكها العام، ولكنها صارت أكثر تشدداً من خلال تأثرها بزميلتها.

أطلق الطلاب لقب أبو السرجين على زميلهم معين، هو شاب ريفي يشبهه الباقون برعاة الجاموس الملطخة ملابسهم بالسرجين، ولعل رائحة غريبة منفرة تصدر من جسمه طالما ازعجت زملاءه جعلت تلك التسمية راسخة في بال كل الطلاب. عانى معين من العزلة كثيرا لنفور الطلاب منه، أما الطالبات فكن أشد نفورا منه. في فترة لاحقة لوحظ وكأنه يتكتل مع راقية لأسباب وصفها بعض زملائهم بأنها أيديولوجية.

حظي فيصل رابع المجموعة بلقب الدخاني رغم كونه لا يدخن، ولكن بسبب ما تصوره الآخرون رائحة دخان حطب تنبعث من جسمه وملابسه. زعمت إحدى الطالبات في نقاش مع زملاء آخرين: إنه يتدفأ على موقد حطبي قبل المجئ إلى الكلية. كان فيصل أكثرهم قبولا من قبل باقي الزملاء، لذا فهو يمثل مسؤول العلاقات العامة للمجموعة، ويعد عنصر الإتصال والإرتباط بينها وبين بقية الطلاب.

كان الأربعة يهيمنون على القاعة ويفرضون الآراء والسياسات. فراقية كانت تزعم انها في طليعة المتضررين من النظام السابق كونها إبنة شهيد مجاهد، مع انها لم تكن كذلك قبل سنتين، فلولا نشاطها الحزبي القوي وعملها الدؤوب كعضو مكتب سكرتارية

في الاتحاد الوطني لطلبة العراق وهو منظمة حزبية من منظمات النظام السابق لما استطاعت دخول كلية الهندسة، إذ أضيف إلى معدلها عشر درجات لهذا السبب وخمس درجات بسبب الموقع الرسمي لوالدها . تلك الاضافات جعلتها تأخذ كرسيّاً مخصصاً لغيرها في هذه القاعة.

كان أبوها طاهر عبد الواحد مدير مكتب رئيس الجامعة، وكانت تحظى بسطوة على زملائها في ذلك الوقت. عندما كانت في السنة الاولى كتبت رسالة إعجاب الى زميلها الوسيم الأشقر ذي العينين الزرقاوين عمار سلمان الفراتي، المتميز بين زملائه بأناقته وذكائه، إذ كان محط أنظار كل زميلاته. فوجئ عمار ذات يوم بوجود ظرف رسالة داخل حافظة أوراقه.. وعندما فتحه وجد فيه رسالة كتبت على ورقة من نوع مائز، فالورقة سمائية مرصعة بوردود بيض وصور قلوب بلون فستقي خفيف ذات تناسق جميل.. عليها عبارات غزل وإعجاب بخط أحمر تصرّح راقية من خلالها بإعجابها به وبأسلوب مناقشاته الرائع متمنية أن يقبلها صديقة له.. في الإستراحة التالية دس الظرف بما يحتوي داخل حافظة أوراقها، ومنذ ذلك اليوم لم تلق عليه تحية الصباح، ثم صارت أكثر نفوراً منه عندما توطدت العلاقة بينه وبين ندى،

أخذت نظراتها تجاهه تزداد تجهما، وكانت لها محاولة فاشلة أخرى مع شاعر ذو الفكاهة والنوادر اللطيفة، المتعلق بعلياء، وثالثة مع عدنان الرياضي روحاً وبدناً والذي سرعان ما التصق بنضال. بينما لم يبذل أحد من بقية زملاء جهداً للتقرب منها.

بعد التغيير الذي حصل سنة 2003، زعمت انها ابنة الشهيد ظاهر عبد الواحد الذي أعدمه النظام السابق كونه مجاهد رفض المشاركة في الحرب الجائرة التي شنها نظام كافر على الجارة الشقيقة إيران كما كانت تكرر دائماً، الأمر الذي أدخل الطلاب في دوامة، كيف يمكن تفسير ذلك؟ اليس هذا الموظف طاهر الذي في الجامعة أبوها؟.

والتفسير الذي كانت تقدمه، هو انها بنت ظاهر الذي استشهد كما تصفه، وهي في بطن أمها، وكان المشرف على تنفيذ الإعدام شقيق الدكتور حازم شريف الغانم مساعد رئيس الجامعة السابق الهارب حالياً. ولكي لا تولد يتيمة فقد أقدم عمها طاهر على الزواج من أمها حال ولادتها، لذا سجلت في دائرة السجل المدني باسم راقية طاهر..وهاهي تستعيد النقطة التي اغتصبها منها النظام الجائر لتعيد وضعها فوق حرف الطاء مصححة خطأ استمر قرابة ربع قرن. أما عمها فانه غير مشمول بقرارات

اجتثاث حزب السلطة السابقة بسبب كونه من المتضررين وانه كان مجبراً على التدرج في مراتب الحزب لإثبات عدم تأثره الظاهري باعدام شقيقه خوفاً من أن يعدم فترمى بنات الشهيد في الشارع. لم يصدّق اغلب زملائها طروحاتها تلك.

في النادي بدأت مجموعة المعارضة بتلمس معالم الطريق لبلوغ حقيقة والد زميلتهم، فالعم أبو جاسم الذي يبيع الشاي في النادي يعرف التفاصيل كما أخبر ساهر الموسوم بالخباثة من قبل زملائه:

- سأصل الى الحقيقة وسيكون العم ابو جاسم أداتي.

- عم أبا جاسم سمعت انك هربت من جبهة الحرب مع إيران وانك تنكرت بملابس نسائية ساعدتك على اجتياز السيطرات والحواجز، هل ما سمعت صحيح؟.

- نعم يا ولدي، كان لابد من الهرب، فقد كنت مسؤولاً عن إعالة أُمي المدمنة على المرض وزوجتي وأربع بنات أطفال، أسكن داراً مستأجرة، ولم يكن راتبى يزيد على التسعين ديناراً أنفق رבעه على والتدخين وأجور التنقل.

بدا للحظات وكأنه يتأمل لوحة في أعلى الجدار ليصف محتوياتها.

- كانت عقوبة الهرب من الجبهة الإعدام.. اليس كذلك؟

سأله ساهر ليحمله على مواصلة الحديث.

- نعم فعلا الإعدام، وهذا ما كان يحصل، الا اننا قررنا الهرب من الجبهة أنا والمرحوم ظاهر عبد الواحد أخو الاستاذ طاهر مدير مكتب رئيس الجامعة. القت مفارز الإنضباط العسكري القبض على ظاهر..

ثم أكمل همسا:

- أستغفر الله، يقولون ان أخاه طاهر هو الذي وشى به ليتخلص منه مستغلاً صفته الحزبية، فقد كان طامعاً بزوجة أخيه الجميلة الحامل. أولاد الحرام يقولون أشياء كثيرة يختلط فيها الكذب بالصدق، فالبعض قال ان زوجة طاهر حملت سفاحاً من اخيه طاهر، نستغفر الله من ذنبنا وذنبه.

قالها الرجل الذي تعود ان يتكلم بإحتشام كبير، وكان يتلفت يمينه ويسرة كأنه خائف من أن يسمعه طاهر الذي اختفى لبضعة أيام عقب الاحتلال، إذ ما ان إطمأن إلى أن أحداً لن يطالب بالقصاص منه ظهر على الساحة، وكان قد رتب أموره مع بعض الجماعات التي تهيمن على المدينة، لذا أعيد إلى عمله ولكن ليس مديرا

لمكتب رئيس الجامعة. اضافة الى ان أبا جاسم لم يكن يعرف أن في الكلية طالبة اسمها راقية هي ابنة ظاهر أو ظاهر.

عنها إنسحبوا نحو أماكن الجلوس يحملون أفداح الشاي، فرحين بما حصلوا عليه من معلومات، تبرعت عليها بإكمال مابدأه أبو جاسم والزملاء يصغون لحديث كان عليهم ان يسمعه منذ أمد:

- راقية جارتنا وأنا أكثر الناس معرفة بها، كنت وإياها صديقتين منذ أيام الطفولة وأكملنا المراحل الدراسية معا، إلا ان علاقتنا ساءت منذ السنة الثانية عندما علّمت ان شاكرًا الذي كانت تنوي التقرب منه، قريبي وان بيننا ود، وزاد نفورها مني بعد التغيير عندما عرفت انني أنتمي إلى الحزب الشيوعي..

- ما رأيك بما قاله أبو جاسم، هل هو صحيح؟..
سألها ساهر.

- هي في الحقيقة ضحية للواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي.. فأما تزوجت من ابن عمها ظاهر ولم تتجاوز سن الثالثة عشرة، وبدأت بالإنجاب بسن الخامسة عشر، أنجبت خمس بنات، الكبرى عالية زوجها من ابن خالتها وهي بعمر

الأطفال، ولعالية بنت تصغر راقية بسنة واحدة، ثم ان راقية ولدت يتيمة، كانت ابنة أختها كذلك، فقد سَفَر زوج عالية كونه من التبعية الإيرانية، وكان أبو راقية أعدم حديثا، لذا رفض عمها طاهر أن يستصحب الزوج المسفر زوجته إلى إيران ما أضطره لان يطلقها قبل أن يعرف ما ببطنها.. وبعد إعدام والد راقية وتسفير زوج شقيقتها أصبحوا عائلة على العم الذي كان موظفا صغيرا في المكتبة العامة في الحلة قبل ان تؤسس الجامعة، والذي أفلت من الخدمة العسكرية بسبب عوق في رجله. تزوج هذا العم أم راقية، وكان عمر أبنتها خمسة أشهر ما أثار الشكوك حول قيامه بمساعدة السلطة في أمر القاء القبض على أخيه وإعدامه.

- بعيدا عن الشكوك، ألم يكن الأمر كذلك ؟

سألها ساهر.

- لم يظهر ما يكذب هذا الرأي أو يؤيده حتى الان.

واصلت حديثها الذي اشأبت لسماعه أعناق الزملاء بعدما صمتت لبضع ثوان:

- لم تكن إمكانيات طاهر المادية تساعد على القيام بواجبه تجاه هذه العائلة الإضافية التي تزوج ربتها، لذا كانوا يتغدون وقد لا يجدون ما يأكلونه في وجبة العشاء، وعندما كنا نذهب

سوية إلى المدرسة أنا وراقية كانت أمي تحذرني من مصاحبتها من غير ان تبين لي السبب.. إضطرت أمها للعمل بصفة عاملة في معمل النسيج، ولما لم تستطع تحمل ضوضاء المكائن فقد نقلها المدير إلى وظيفة عاملة خدمة في مكتبه الخاص، حيث بدأ الناس يتهايمسون حول الجدة الشابة الجميلة أم راقية التي يهملها الحصول على المال أكثر مما تهملها طريقة الحصول عليه. المهم ان طاهراً الذي تزوج أم راقية حصل على مصدرين اضافيين من خلال تعيين زوجته الجديدة عاملة في معمل النسيج وابنة اخيه المطلقة بوظيفة عاملة خدمة في البلدية. كان يستلم راتبهما وينفق عليهما كما شاء.

- الم يكن طاهر متزوجا قبل ذلك؟

سألت نضال التي لم تسلم من عداء راقية لأسباب عاطفية أيضاً، فهي تظن أنها خطفت عدنان الذي كانت تحاول التقرب منه عقب فشلها المتكرر مع عمار وشاكر.

- كان عمها طاهر متزوجاً من ابنة خالته وهي امرأة قبيحة الشكل سليطة اللسان، كانت تقوم بدور الوسيطة بين النساء الجاهلات وبين المشعوذين، وعندما تزوج زوجها أرملة أخيه وأهملها وأولادها لم تعد تصلح للقيام بمهمة الوساطة، فالنساء

فقدن الثقة بها، فهي فشلت في ترتيب أمور بيتها فكيف تساعد الأخريات للمحافظة على كيانات بيوتهن. لقد زاد ذلك من عدوانيتها التي كانت تفرغها في أولاد التي شاركتها في زوجها وسكنها وخصوصا الصغيرة راقية التي لم تجد من يدافع عنها، فالأم والاخت الكبرى في العمل، والعم المتبني في المكتبة.. لذا كانت تطردها من البيت فتقضي أغلب وقتها تتسكع في الشارع. وعندما دخلت المدرسة كانت قد عثرت على ملجأ أمين.. لم يكن أغلب الجيران يرغبون في استضافتها اما تجنباً لإنشاء علاقات طيبة مع أمها التي تلوك سمعتها الألسن أو تحاشياً لسطوة لسان زوجة عمها.

كانت طفولتها القاسية والبائسة قد رسمت معالم شخصيتها فسرى ذلك إلى علاقاتها مع زميلاتها، خصوصاً وان ابنة عمها كانت معها في المدرسة التي كانت تزاملها فيها علياء العارفة بأسراها، لقد كانت تراقب راقية وتحاول تخريب العلاقة بينها وبين الطالبات، على الرغم من أن راقية صارت عضوة مكتب سكرتارية في الاتحاد الوطني للطلبة. أما ارتقاؤها الى مكتب السكرتارية، فإن علياء فسرت ذلك لزملائها بأن عمها كان يفضلها على ابنته سميرة التي لم تستطع ان تحصل على درجات تؤهلها

لدخول الجامعة فقبلت في معهد اعداد المعلمين، وكان يرى في راقية مايحقق طموحه، لذا ساعدها في الحصول على التدرج في صفوف الحزب، وكانت ضليعة في الخطابة وذات انشاء قوي، وهي أكثر قدرة من المرشحات الباقيات على التمسكن والتوسل، وكانت مديرة المدرسة تحاول التأثير غير المباشر على الطالبات لصالحها..لذا فازت بالأصوات المطلوبة.

طالما برّرت علياء إستمرار الصداقة بينها وبين راقية، على الرغم مما بينهما من تناقض، بأنها فتاة شريفة وليس في سمعتها مايسئ غير ما يثار حول سمعة أمها، وهي خدومة ومجاملة.. وعندما سألتها ساهر وهو يكاد يختنق بضحكته:

- راقية خدومة ومجاملة؟

- نعم كانت كذلك قبل أن تعملوا على زيادة تحطيم شخصيتها. فكلما تقَرَّبَت من أحدكم شبراً هرب منها ميلاً، وكما كانت أُمي وكل نساء الجيران يغلقن أبواب بيوتهن بوجهها، كذلك أنتم أغلقتن أبواب قلوبكم بوجهها بعد أن طرقتها باباً تلو الاخرى، فأنى توجهت تجد باباً موصداً..لذا كنت أتجاهل تحذيرات أُمي بتركها والتخلي عنها، ولو داخل المدرسة على الأقل، فهي أكثر الطالبات ثقافة.. كان عمها يأتي بالكتب الى

البيت بحكم وظيفته، فتلتهمها التهاماً، والعجيب انها كانت تقرأ كتب التاريخ والأدب حتى خلال أيام الدوام من غير أن يؤثر ذلك على مستواها الدراسي.

وفي طريقهم الى قاعة الدرس تذكرت علياء ما حصل عندما كانت في الصف الرابع العام، ففي يوم من أيام الشتاء، كما روت لزملائها وكان المرض قد منع راقية من الذهاب إلى المدرسة، فطَرَقَتْ باب زميلتها بهدف سؤالها عن المواد التي تلقينها في ذلك اليوم..ولسوء حظها فقد كانت والدة علياء هي التي فتحت الباب، فطردتها شر طردة.وفي اليوم التالي زارتها علياء سرّاً واعتذرت لها وقدمت لها ايجازاً بالدروس والواجبات البيتية.

في الكلية لم تعد راقية تحمل لعلياء شيئاً من المودة ولم تقابلها بوفاء لقد كانت تحوم حول شاكر وتطارده وتبعث له بالقصاصات والورود والوساطات، ولكنه كان يتهرب منها وكأنها ذئب مفترس ولما كان قلب شاكر مع علياء، فقد كان على علياء أن تدفع الثمن..فراقية كانت تناصب العداء لكل زميلة من زميلاتنا يميل اليها زميل رشحته للحب وفشلت معه، وكانت ندى التي تربطها بعمار علاقة متميزة واحدة من تينك الطالبات اللاتي لاقين الامرين من سلوك راقية.

- لاأظن أن ثمة فائدة ترتجى من ذهابي إلى الكلية هذا اليوم.
فأساتذة الطب هم الشريحة الأكثر إستهدافاً من قبل الإرهابيين..
ثلاثة أساتذة ممن تضمن جدول اليوم دروساً نظرية أو عملية لهم
سيغيبون عن الدوام. أحدهم خطف إبنه قبل يومين والثاني أصيب
بطلق ناري في رجله في محاولة اغتيال فاشلة، والثالث غادر قبل
ثلاثة أيام إلى الأردن، وربما سيستقر هناك أو سيهاجر إلى حيث
يشعر بالامان.

كانت الأم ترشف ما بقي في قدح الشاي فسقطت قطرات
على قميصها، فحديث لينة أذهلها.

- تعلمين ان دكتور بهيج أستاذ مادة الإنشاءات عندنا خطف
في الشهر الماضي ولم يرد عنه أي خبر.

قال عمار موجهها كلامه لأمه..ثم أكمل.

- إلّا أساتذة التاريخ، فليس لأحد منهم إسم على قوائم
المطلوبين من قبل الإرهابيين.ربما لأنهم سيطلبون منهم إعادة
كتابة التاريخ على وفق رغباتهم؟..

قال ذلك ضاحكاً.

- فال الله ولافالك..الله يسلم أمنا ويحفظها بحفظه.

قالت لينة. فيما التفتت الأم صوب ابنها:

- خلّص نفسك من الإرهاب يامهندسي الصغير ما إستطعت
قبل أن تفكر بالشرائح الاخرى، كلنا معرضون للخطر.

أنجز سلمان كل الأعمال التي خطط لانجازها وعاد إلى مرآب
علاوي الحلة ينتظر أصدقاءه. وفي الساعة الثانية إنطلقت بهم السيارة
نحو الحلة، لم يكن قد تناول غداءه كالعادة، فهو لا يتغدى إلا في
البيت.

طالما حاول السيد منعم جر محاوريه إلى موضوع الفساد،
فيجعلهم يتكلمون عن الرشاوى التي يتقاضاها قائد الشرطة
لقاء تعيين بعض من وصفهم بأنهم حثالات المجتمع في هذا
المسلك الشريف..وها هو يفتتح حديثه كما تعود أصدقاؤه
سماعه:

- أي زمان نعيش.. صار فيه ختم البيطرة يوضع على
الذبائح غير الصالحة للإستعمال البشري. وذاك مدير البلدية
الذي قفز من تحت خط الفقر إلى صف الاثرياء، وقراشو
المستشفيات الذين يتقاسمون غنائمهم مع الأطباء، والصيدالة

الذين يذبحون الفقراء بالتنسيق مع الأطباء، والتعليم المتخمر
بالفساد.. فالبلد يتآكل تحت ضغط الفساد الذي لم نجد له
مثيلاً في التاريخ..

إستمر يعدد مساوئ الزمن الحاضر، وفجأة انتقل للحديث
عن سيرته، كان سلمان برماً بهذا الحديث متأففاً، فهو يرى
الرجل ينتحل سيرة إختلقها لنفسه ليبين للناس وكأنه يدفع
رواتب موظفي دائرته من جيبه وانه يحفر الأرض بيديه بحثاً عن
أنايب الصرف الصحي التالفة التي ملأ طفحها التتن الشوارع
والبيوت.. وانه لولا جهوده وحرصه وإخلاصه للمدينة الحبيبة
على قلبه كما يصفها، لتحولت إلى مستنقع كبير يسبح الناس في
بحر نجاساته..

هذا الرجل الذي إمتلك عمارة في شارع أربعين التجاري
وبيتين في حي الطيارة ونصف معمل إسفلت على الرغم من
ان راتبه الشهري قبل سنتين لم يكن يكفي لشراء علف لنعجتين
ناهيك عن إطعام ومصاريف عائلة كبيرة كالتي يعيلها، فهو
يحدث شخصاً يعرف كل شيء عنه مواصلاً حديثه:

- أبا عمار وأنت المؤرخ الثقة، هل مر بلدنا بفترة مأساوية
كالتي نعيشها منذ عام 1990؟ هكذا يقضى المسافرون وقتهم،

فليس لنا غير القصص وأحلالها ما جاء من بطون كتب التاريخ،
فحدثنا رحم الله والديك.

- نحن بخير قياساً لما مر به العراق من مأس ونكبات بفعل
الطغات والرغبات الشخصية والطموحات غير المشروعة.. يقول
المؤرخون انه بعد القضاء على ما عرف تاريخيا بثورة الزنج جنوب
العراق.

- ثورة الزنج جنوب العراق؟.. ليست ثورة الزنج في أميركا؟
فضحك سلمان ضحكة خفيفة لم تظهر دهشته من سطحية
محاورة:

- هذه ثورة وقعت في البصرة في زمن العباسيين واستمرت
حوالي 15 سنة. فبعد إخماد تلك الثورة، مر أحد العاملين على
توثيق تلك الحقبة ورأى امرأتين تتعاركان.. سألهما عن خطبهما
فقالتا احداهما: هذه اختي وكان لي ولد صغير أوشك أن
يموت.. وكنا ننتظر موته لنأكله معاً سداً للرمق.. ولما كنت قد
ذهبت لبعض شأني ثم عدت، وجدتها قد سرّعت موته والتهمته
ولم تبق لي منه شيئاً.. نحن الآن يا أخي العزيز لم نبلغ مثل هذا
الحال ولله الحمد.. أما ما نمر به فهو مرحلة عابرة نرجوا الله ان
يسهل اجتيازنا لها ونحن بخير.

- هذه المنطقة الصناعية في عويريج يقولون ان بعض المعامل فيها صارت أوكاراً للارهابيين الذين يخطفون الناس ثم يلقون بجثثهم على حافة الطريق..

وما أن أنهى منعم كلامه حتى تجاوزتهم سيارة أوبل حمراء وأخذت تبطئ سرعتها، بينما كانت تسير بمحاذاة سيارتهم سيارة دايو برنس سوداء فيها ثلاثة مسلحين ببنادق كلاشنكوف، أمرهم المسلح الذي يجلس بجوار السائق أن يوقفوا السيارة على التراب، فإنصاع السائق للأمر من غير انتظار لأمر من السيد منعم .وعلى الرصيف الترابي توقفت سيارتهم وأمامها السيارة الحمراء التي تبين أنها تحمل ثلاثة مسلحين أيضاً.

ترجل مسلحان من السيارة السوداء أحدهما ملثم والآخر مكشوف الوجه حاسر الرأس لا تتعدى سنّه السابعة عشر من العمر: - ابرزوا هوياتكم..

قال الشاب الحاسر، فكان السائق أسرعهم إلى التنفيذ. أعاد المسلح إلى السائق هويته وشرع يدقق في هوية السيد منعم ثم أعادها اليه، وعندما عرض عليه سلمان هوية الاتحاد العام للادباء والكتاب قال له:

- تفضل عميد ركن سلمان إنزل من غير ضوضاء أو أخطاء.
فتح الباب القريبة من التبليط وترجل وكانت نظارات القراءة بيده
اليمنى، فسارع المثلث إلى ربط عيونه بمنديل ثم قذف بالنظارات
داخل السيارة وراح يكبّل يديه إلى الخلف، كان العمل سريعاً
جداً ثم سحبوه إلى السيارة السوداء.

عثر السيد منعم على بقايا شجاعة في نفسه الوجلة فترجل
وتوجه إلى الشاب الحاسر وقال له:

- إبني: هذا رجل طيب ومواطن مخلص لا علاقة له
بالاحتلال، ونحن نتعلم منه الوطنية والصدق والطيبة، زوجته
وأولاده ينتظرونه، أرجوكم هل من وسيلة لإطلاق سراحه، أنا
على أتم الاستعداد لتلبية مطالبكم متى وأين شئتم.

عندما وصل إلى هذه المرحلة من كلامه كان سلمان يستقر
في وسط المقعد الخلفي للسيارة السوداء، وسرعان ما جلس
الشابان عن يمينه وشماله، بدا له وكأن الذي مر به كابوس مزعج
يتمنى أن يستيقظ فيجد پروين تتمدد غافية إلى جنبه. إنطلقت
السيارتان بسرعة جنونية بينما بقي منعم وصاحبه خارج
سيارتهم، مذهولين لا يجدون ما يفعلوه. وبعد دقيقتين إقتربت
سيارتان للشرطة، اعترض السيد منعم السيارتين ونجا منهما

بأعجوبة، فقد قام شرطي من ركاب السيارة الثانية بالرمي فوق رأسه تخويفاً، ثم توقفت سيارتهما وأقبلوا عليه يتراکضون.

- ماعندك؟

سأله الضابط. وبصوت خفيض يكاد لا يسمع وفكر مشتب
أجاب:

- كان معنا في هذه السيارة عميد ركن سلمان نوري من أهل
الحلة خطفه مسلحون هنا قبل ثلاث دقائق وملكوا هذا الطريق
الترابي، أرجوكم الحقوا بهم.. أنقذوه فهو رجل طيب ومحبوب
ليس له أذى على أحد مطلقاً.

عاد الضابط إلى سيارته على عجل فانطلقت السيارتان بسرعة
فائقة، وبدلاً من أن يلحقوا الخاطفين فإنهم وصلوا طريقهم كأن
شيئاً لم يكن. عاد منعم إلى حيرته لا يدري ماذا يفعل، كان ينقل
ناظره بين وجهي رفيقه مستجدياً منهما حلاً، قال لهما انه تمنى
لو أن المسلحين خطفوه مع سلمان فكيف سيبلغ عائلته أن أباهم
سوف لن يعود، وربما ستعثر الشرطة على جثته من غير رأس؟

احترم فريد مشاعر مديره وعبر عن إكباره لهذا الموقف،
ولو أنه كان يتمنى أن يقرر منعم إنهاء هذا الفصل البائس ويأمر

السائق القلق المتوتر بمواصلة السير الذي كان يحمد الله على نجاته وإفلات سيارته التي هي مصدر رزقه الوحيد، من مطامع المسلحين، وظل يداعب برجليه المتوترتين الدواسات وينقر بأصابعه المرتعشة على عجلة القيادة محاولاً التشبث بما بقي في ذاته الخائفة الفرحة المتذبذبة من صبر على تفريط منعم بالوقت وفرص النجاة المتاحة.

صمت رفيقا الرحلة، بل كانت تعابير وجهيهما تماهي عبوس وجه منعم وكآبته المتصاعدة وحزنه المستشري ومنظره البائس، بدا شارد الذهن لم يخف رغبته في المكوث هنا بانتظار عودة صاحبه. فتقدم منه فريد بأدب شديد واحترام جم ومراعاة لكل الذي يراه ويحس به:

- أبا علاء.. ألا ترى إن الانتظار أمر غير مجد، وإن سرعة عودتنا أفضل من تضييع الوقت علنا نستطيع فعل شئ أكثر جدوى عندما نصل الحلة؟

- ماذا سأقول للسيدة أم عمار؟.. ثم ماذا بوسعنا أن نفعل؟ لقد ضاع الرجل وأنا السبب في كل ما حصل، فلولا رغبتي في أن أقدم له خدمة والحاحي عليه لإستصحابه إلى بغداد ما كان الذي حصل قد حصل.. وعقب دقيقتين دخل السيارة ربما ليستريح، فهو لم يأمر السائق بالحركة، الا أنه ضغط برجله على دواسة الوقود وغير

اتجاه عصا التبديل وانطلق بأقصى سرعة، التفت إلى السيد منعم
فرأى دمعتين تنزلان بخجل على خديه المجلدين بشعر أشيب وهو
يرنو نحو الطريق الترابي الذي يؤدي إلى المجهول.

كانت پروين ومعها إبتها لينة و أم زينب وهي امرأة عجوز
عهدوا اليها أعمال التنظيف ترقبان عودة رب الأسرة ليتناولوا
غداءهم، نهضت مسرعة لتفتح الباب للطارق، تُكلِّلها دهشة، إذ
أن زوجها يحمل مفتاح البيت معه فعلام يطرق الباب؟. تفاقت
الدهشة وهي ترى رفاق رحلة زوجها يصطفون أمامها صفّاً واحداً
وليس بينهم من تنتظره، ولا إرادياً أرسلت بصرها نحو السيارة ثم
راحت تبحث عن سلمان على الرصيف وفي القريب والبعيد من
أماكن غير محددة. سألت الواقفين المرتبكين شيئاً دون ان تنتظر
جواباً، لاحظ الرجال الثلاثة ارتباكها:

- أين سلمان؟

لم يقو منعم على الكلام، فقد أجاب بزم شفثيه الياستين، ثم
طفرت من بين شفثيه كلمة واحدة:

- سلمان.

وسرعان ما بدا الوجه الطفولي مبلاً بكل شيء.. بالدموع والمخاط واللعب، لقد فقدت السيدة سيطرتها على فعاليات جسمها. بدا الأسى على رجب الذي قرر أن يتولى شرح تفاصيل الحادث نيابة عن منعم، ولكنه أحس في تلك اللحظة بعظمة المأساة فانعقد لسانه يغالب مشاعره الجياشة ويتوقع الهزيمة في صراعه مع مشاعره وهو يرى تأثير ذلك على الجارة، فأثر السكوت ضاغطاً بشدة على مفاتيح السيارة. أما فريد فقد كان يشعر أنه أكثر تحراً من صاحبيه الذين تربطهما علاقة الجوار بهؤلاء الناس لذا قرر أن يتولى بنفسه شرح ما جرى. استمعت السيدة بذهول من غير رغبة بتصديق ما تسمع.

تشجع منعم ليقول بصوت خفيض يدل على الانكسار والألم الشديد:

- أم عمار.. هذا قضاء الله تعالى الذي لا راد لأمره، ليس بيدنا غير أن نسأله اللطف فيما قضى ويجعل ألمنا محصوراً بهذا الحدث ويعيد إلينا الأخ أبا عمار، فلستم وحدكم بحاجة إليه.

التفت فريد إلى مديره وهو يطلب منه بصوت هادئ:

- لقد صدّعنا الدكتورة، علينا أن نتركها تراح، أليس كذلك أبا علاء؟

قال منعم محاولاً إنهاء هذا المشهد المفعم بالأسى:

- حقاً.. أم عمار أنت الآن بحاجة إلى الراحة، سأذهب لإخبار قائد شرطة المحافظة وأشرح له ما جرى عسى ولعل الله تعالى يجعل خلاص أبي عمار على يديه، سأكون كما كنت أخاك لا تتردي في الاتصال بي لأي أمر..

وتوجه صوب السيارة كمن يهرب الى الأمام طالباً من رجب إيصال فريد إلى حيث يشاء.. وما أن فتح فريد باب السيارة حتى رأى الحقيقة المثقلة بالكتب وبجانبيها الرزمة الضخمة والنظارات الطبية الملقاة على أرضية السيارة، فحملها وعاد يقرع الباب، سلم الوديعة بصمت، وعادت پروين إلى الداخل محملة بآخر رسائل الزوج العزيز.. كانت متلعثمة، صوتها خشن متهدج وهي تشرح المأساة لزوج إبتها بالتلفون. ثم إتصلت بالحاجة سليمة أخت سلمان.

بدأت الصدمة تتسع لتشمل الأطراف الأخرى في القضية، فهاهو عمار يدلف إلى الدار التي لم يعتد رؤية بابها مفتوحاً على مصراعيه، وثمة أناس كثر من الجيران بين داخل وخارج، لم يستوعب مايجري للوهلة الأولى، رمى بكراسيته على أقرب كرسي فانخلع غلاف إحدهما واتجه صوب أمه التي جددت لوعتها وبكاءها مع رؤيته:

- ما لامر ماذا يجري؟

لم يرغب أحد من الحاضرين بشرح الأمر له، كان الجميع ينتظر أن تقوم الأم بالمهمة الصعبة وكان فضول البعض يجعلهم بانتظار أن تتكلم ليرى كيف ستشرح الزوجة المفجوعة، لم تقو على الكلام، تطوع الحاج خليل للقيام بالمهمة، حاول أن يقدم للخبر المأساوي، ولكنه أسهب في التقديم مما جعل الولد يضجر، فاستفسر بصوت حازم ومرتفع:

- عم خليل هل أصاب أبي مكروه؟

وعاد الرجل يثرثر، فذكر أمثلة عن الصبر وما أعد الله من ثواب للصابرين وأنه لا راد لقضاء الله ليضيف شرحاً آخر يظن أنه يهدئ به من روع الشاب الذي يكاد القلق يقتله، فرأت أم زينب العجوز لتحسم الموقف بالدمع والصوت المتهدج:

- الذين لا يخافون الله خطفوا أباك!!

وصح ما توقعه منذ دخوله الدار، لم يستطع حبس عبرة تكاد تحطم صدره فأطلقها حرة على شكل دموع مناسبة، رأى العقلاء من الجيران أن ينسحبوا فمهمتهم انتهت، إذ شق عليهم رؤية الشاب الناضج منكسراً مخذولاً. خرج الحاج خليل بعد

أن ربّت على كتف عمار ثم رأسه بأبوية ظاهرة، وتبعه الآخرون من الرجال والنساء، بينما جلست أم زينب على الأرض.

كانت العجوز التي تحتفظ لهذه العائلة الكريمة بجميل صنعها تفكر في عمل تضطلع به في هذا الموقف، فهي لا بد من أن تساهم في عمل شئ مفيد لسيدتها في وقت تعصرها المصيبة وتخنعها المحنة، لذا قررت أمراً ثم غيرته إلى آخر، كانت تنوي المبيت معهم تسهر على خدمتهم في ليلة محنتهم، ولكنها تذكرت وظيفة أكثر جدوى من هذه الخدمة، ستقطع المسافة من هنا إلى كربلاء سيراً على الأقدام، وستذهب إلى مرقد العباس الذي تسميه (أبو راس الحار)، وستتوسل إليه ليعيد سيدها سالماً غانماً، فقد سبق وان جرّبت هذا الأمر مرات خلال الحرب مع إيران، إذ كانت تقصد العباس خلال كل معركة من معارك تلك الحرب لتتوسل اليه فيعود ابنها عبد الأئمة الذي تلفظ أسمه بصيغة عبد اليمّة سالماً من الجبهة، حيث كان جندياً في جبهة شرق دجلة، وعلى الرغم من إنها كانت تذهب الى مرقد العباس في كربلاء بالسيارات وليس راجلاً، وإن مقتل عبد اليمّة بطلقة بندقية قريب له كان يطلق النار عشوائيا في تشييع جنازة شيخ عشيرتهم بعد توقف الحرب، لم يغيّر من ثقّتها بالعباس.

الآن سيكون الحاحها على العباس أكثر وهي تتوسل به لينقذ سيدها المختطف، ستقرأ الفاتحة لأم البنين التي هي أم العباس، ستقطع المسافة الى كربلاء التي تربو على 40 كلم سيرا على الاقدام وستعيد قراءة الفاتحة آلاف المرات خلال سيرها، فاذا ما شرعت الان بالحركة، فانها ستصل بيت زينب إبتها في الهندية، نقطة المنتصف في هذا الطريق بعد أذان المغرب، وستقضي الليل عندها ثم تواصل سيرها صباحاً، وستبلغ مقصدها قبل صلاة الظهر، ستحل حزامها عند موضع رأس العباس، وستعلمه انها نذرت له خروفاً، ستنحره حال عودة سيدها سالماً. وخشية من أن يعيق أحد أفراد العائلة تنفيذ خطتها فإنها تسللت خارجة من غير أن تودع أحداً. ربطت طرفي عباءتها حول خصرها كما هي عادة من يقصدون مراقد الائمة والأولياء طلباً لحاجة.



تغيرت طبيعة الطريق الذي سارت عليه السيارة التي تقل سلمان محاطاً بخاطفيه، فقد تحول من ترابي إلى حجري وعمر، راوده إحساس أن الطريق زراعي تحف به الأشجار التي كانت تصطدم أغصانها بالسيارة، ثمة كلاب تنبح بين فترة وأخرى، قرابة ربع ساعة مضت على الرحلة إلى المجهول ولا يدري كم ستستمر

بعد ذلك. توقفت السيارة، نزل أحد الجالسين في الصف الأمامي،
لاشك بأنه المسلح الذي يجلس إلى جوار السائق وليس السائق
نفسه، فالباب التي فتحت هي اليمنى. رائحة التبغ المحترق تهيج
أغشية أنفه فهو يتقزز من رائحة السيكاير ولكنه مرغم على الصبر
عليها طيلة الزمن المرعب الذي بدأ بحركة السيارة نحو المصير
الذي لا يعرفه الا الله ومخططو عملية الاختطاف.

- أنزلوه.

كلمة واحدة كانت هي القرار الذي شرع الشبان المحيطان
به بتنفيذه، أنزلاه من الباب الأيمن، إذاً فالوكر الذي سيقدر فيه
مصيره يقع على يمين الطريق القادم. وقف على الارض بمحاذاة
السيارة، يبدو وكأن الخاطفين ليسوا في عجلة من أمرهم، أرهف
السمع جيداً، لم يسمع شيئاً سوى نباح كلب على مقربة منهم.
إقتاده أحدهم وإتجه يميناً، مشوا بضع دقائق ربما قطعوا ثلاثمائة
متر قبل أن يتوقفوا، وعندما رفع الخاطفون المنديل عن عينيه
وجد نفسه في غرفة ذات طابع ريفي، جدرانها غير المستوية
مطلية بطلاء زيتي أخضر، الارض مفروشة بحصير نايلون يطغى
عليه اللون الأزرق، فراش نوم قطني مع وسادة عليها طبقة
كثيفة من الوسخ، كان هذا كل الأثاث المتيسر في الغرفة ذات

الباب الحديدي المطلي باللون الرصاصي الغامق والتي ليس في جدرانها نافذة على الاطلاق، ولو لا المصباح المتدلي من السقف لساد الظلام الغرفة.

ترك وحيداً فجلس على الفراش مسنداً ظهره إلى الجدار. كان يحتاج إلى أمور كثيرة، أولها إنه بحاجة الى التبول، ولم يتذكر أنه عطشان، وان آخر وجبة طعام تناولها منذ قرابة عشر ساعات، أما أدويته الضرورية التي لم يستصحبها فلربما سيكون لغيابها تأثير سلبي على وضعه الصحي. رفع رأسه نحو المصباح المتدلي وكأنه يتطلع إلى صور الوجوه التي يتحرق شوقاً الى رؤيتها.

لقد كانت الساعة السابعة عندما سمع صوت حركة الأقفال، فتح القفل الأول.. والثاني... والثالث، ثم أدير المفتاح في القفل الأصلي للباب، ودفعت لتفتح إلى الداخل، إنشغل بالتطلع إلى الوجوه الداخلة ولم يسمح له المسلح الذي فتح الباب رؤية التفاصيل خارج الغرفة لقد كان سلاحه حربة بندقية كلاشنكوف معلقة في حزامه، نهض تلقائياً وسرعان ما وبخ نفسه على هذا الفعل، فليس ثمة مبرر للنهوض الذي سيعده الداخلون احتراماً لهم أو على الأقل خوفاً منهم ، ولكنه تراجع قليلاً ولم لا يكون خائفاً، من يدري فلربما هو الشخص المكلف بذبحه.

- السلام عليكم..

حياه الرجل الوقور الذي دخل في مقدمة المجموعة وكان يرتدي كوفية بيضاء لا يعلوها عقال، ودشداشة بيضاء وعباءة صوف سوداء شفافة مطرزة حواشيها الأمامية بالكلبدون الأصفر الثمين، يرتدي النظارات الغامقة، وجهه سمح تعلوه إبتسامة مطمئنة زادته اللحية السوداء التي إبيضت من جهة الذقن وقاراً وهيبة.

- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته..

قالها راداً تحية الشخص الذي ظنه المفتي الذي سيهدر دمه وقد هدأ روعه إلى حد ما فهو يدري ان السلام يعني الامان.

سحب الزائر الوسادة القذرة ووضعها على البساط البلاستيكي وجلس فوقها وأشار إلى سلمان بالجلوس، بينما جلس الشاب قرب الباب التي أعيد إغلاقها. أدرك سلمان ان الرجل متعاطف معه، وهو ذو وجه مألوف جداً لديه خصوصاً بعد أن رفع النظارات، هل يعقل أن يكون صديقه العزيز عبد الرحمن تركي ؟ إنه تغير كثيراً شكلاً ومضموناً، فلماذا لم يضمه إلى صدره، وكيف يقبل برؤيته أسيراً ؟ قد يكون هو ولكن لابد من قطع الشك باليقين. جلس قبالة الشيخ، ونقل ناظره صوب الشاب المرافق للرجل الوقور وتوقف عنده،

حاول أن يتذكر صاحب هذا الوجه فوجهه مألوف لديه ، ولكن أين رآه، ومتى؟ غرق في لجة من التفكير المضني، هل كان هذا الشاب ضابطاً أو جندياً عنده؟.

- أخ سلمان أبلغك أسفي العميق عن الكيفية التي جرى بك على وفقها..

قال الرجل ذلك الكلام المطمئن بهدوء أشاع مزيداً من الهيبة والوقار والإطمئنان. بدفع من ظرف الوقار ذاك راح سلمان يرتب تفكيره وينشط ذاكرته، إنه عبد الرحمن الذي قضى معه شطراً كبيراً من حياته العسكرية في نهاية السبعينات من القرن الماضي، تشاركاً غرفة نوم واحدة عندما كانا ضابطي ركن في مقر لواء المشاة الرابع قبل أكثر من ربع قرن. ومع ذلك أثر التريث، فهذا وإن حمل بعض صفات عبد الرحمن إلا أنه يختلف عن ذلك الضابط الخليع القاسي المتهور، بأمور جوهرية. إستفسر بنفس مستوى الصوت الهادئ:

- وهل كنت أنا تحديداً المعني بأمر الإحضار إلى هذا المكان؟

- لقد طلبوا منا ما يتعذر علينا تنفيذه، فلم نجد غيرك أهلاً للتنفيذ لذا قررنا الاستعانة بك للاستفادة من خبرتك، وبسبب معرفتي العميقة بقدراتك البحثية وخيالك المبدع وانك

أنجزت في السابق أعمالاً بمستوى ما مطلوب منا، جعلني
أرشحك للمهمة..

- إذاً وأنت الصديق العزيز كنت سبب ما أعاني منه وتعاني
منه أسرتي!

- نعم فقد إقترحت إسمك لتنفيذ الأمر. رأى بعض الأخوان
من طبقة الشباب أن نخطف ابنك عماراً لحملك على المجيء
إلى هنا، إعتضت على ذلك وفاء للعشرة التي تربطنا، ورأيت أن
نرسل لك من يستصحبك من بيتك معزراً مكرماً، وكان المقرر
أن نقوم بذلك يوم الجمعة القادمة، ولكنني فوجئت عندما علمت
أن الشباب جلبوك اليوم على وفق الطريقة التي لم أكن راغباً بها
والتي أكرر اعتذاري عن حصولها.

وصل سلمان إلى قناعة ان محدّثه هو عبد الرحمن تركي وهو
من الدورة الأقدم من دورته في الكلية العسكرية، وإستمر في
الخدمة إلى أن وصل رتبة لواء ركن، وعندما إفترقا، كان يسمع
به ويتلقى أخباره، وحمل الوسطاء من الجنود والضباط من
أهل الحلة الذين يلتقيهم عبد الرحمن في الوحدات العسكرية
المختلفة تحيات بعضهم إلى البعض، وبواسطة أولئك الوسطاء
كان كل منهما يقف على أخبار الآخر، وكان عبد الرحمن يقرأ

أبحاث سلمان في الدوريات العسكرية ومقالاته في الصحف
ولا يخفي إعجابه بطروحات صديقه القديم.

- وما المطلوب مني.. أبا غيداء؟

- أليس الأولى أن نستعيد ذكرياتنا الحلوة وتخبرني عن
المستويات الدراسية لأولادك وماذا أنجزت من تأليفات خلال
الفترة التي أعقبت الغزو الكافر؟

لقد حفزت تسمية الكافر الكثير من الصور القديمة لأن تتزاحم
وتتقدم متدافعة واجهة الذاكرة، فالرجل كان زير نساء وسكيراً
محترفاً، لم يكن يتحفظ عن التحدث بمغامراته مع فتيات في مرحلة
الدراسة الثانوية وطالبات في الجامعة ومتزوجات وغيرهن، وكان
يفخر بقص حكاياته الخليعة وإنه كان يمارس الجنس بهيمية تفوق
التصور، طالما نصحه سلمان أن لا يفسد بحكاياته عقول الضباط
الاحداث. كان يتصف بقساوة غير طبيعية، فقد اشرف على التحقيق
مع جنود متهمين بالانتماء إلى أحزاب معارضة، وكان يهشم
أطرافهم بالهراوة كما يهشم قوالب الثلج، أحرق خصيتي أحد
الجنود خلال التحقيق معه فمات في الحال، وهو ثاني من يموت
على يديه خلال التحقيق.

- هل هذا إبنك ؟ ..

سأله سلمان ..

- انه ابن أختي .. وزوج ابنتي غيداء

ما زال سلمان يرمق الشاب بنظرات طوال محاولاً إستحضار
ذكرى جمعتهمما .

- ما كانت دراسة غيداء ؟

- هي الآن صيدلانية، وشيماء مهندسة .

نادى عبد الرحمن شخصاً إسمه حمدان، فدخل الغرفة شاب
مفتول العضلات يحمل مسدساً معلقاً في حزامه، وفي الجانب
الآخر خنجرأ .

- حمدان .. تجهز هذه الغرفة بسرير وفراش نظيف مع وسادة،
غير هذه الشراشف بأخرى جديدة، وبطانية جديدة، مع اناء
لحفظ الماء البارد، وفانوس ومعه علبة كبريت، قطعة صابون و
إبريق وإناء مع طست ونعال . لا تنس ان سلمان صديق قديم لي
وهو الآن ضيفي . ثم التفت إلى سلمان :

- ذكّرني ماذا تحتاج غير ذلك .

وقبل أن يتكلم سلمان عاد عبد الرحمن ينظر إلى حمدان ليكمل سلسلة أوامره:

- دشداشة مع منشفة يد وفوطة حمام أيضا.

ثم توجه إلى سلمان هل تحتاج شيئا آخر؟

- وهل سيطول مكوثي هنا؟

- هذا أمر أنت من يقرره، فإذا ما أنهيت مهمتك بسرعة ستعود إلى بيتك بسرعة.

شتت هذا الجواب أفكار سلمان الذي أراد أن يقدم طلباته فوجد ما هو أهم.

- وهل لي أن أعرف طبيعة المهمة؟

- غدا انشاء الله.. عموماً فهي ضمن اهتماماتك، وأنا على ثقة إنك ستستمتع بها.

- حسناً إذا رأيت ان مكثي سيطول فإنني أحتاج إلى حمام يلحق بهذه الغرفة، وان إستحداث شباك في أحد الجدران ولو من الحجم الصغير سيكون أمراً جيداً.. التفت عبد الرحمن إلى الحارس وقال له:

- ماذا خلف هذا الجدار؟..

وأشار بيده إلى الجدار المواجه للباب.

- لا شيء..

أجاب الحارس العبوس.

- حسناً، أنشئوا خلفه حمماً ثم افتحوا فيه ثغرة من هنا لتكون باباً للحمام، وأريد استحداث شبّاك في هذا الجدار، - وأشار إلى الجدار الآخر - على أن يتم انجاز ذلك قبل حلول مساء الغد حتماً.
- إن شاء الله.

وقف عبد الرحمن وكذلك فعل صهره فقام سلمان الذي التفت إليه صديقه القديم:

- أبا عمار أنت ضيفي هنا لا تتردد في طلب ماتحتاج اليه، والشباب سينفذون ماتأمرهم، سأراك غداً صباحاً انشاء الله تعالى.

وقبل أن يجتاز عتبة الباب توقف ليسأل الحارس:

- هل قدمتم له طعاماً؟

- حالاً إن شاء الله تعالى.

تداعت صور ربع قرن من الزمان، يوم ودّع صديقه العزيز
الرائد الركن عبد الرحمن تركي في مطلع صيف عام 1979
ليذهب في مهمة تدريبية.. فقد اختير ليكون ضمن طاقم الحكّامين
لمراقبة تنفيذ فرقة المشاة السابعة مناورات واسعة. لم يكن أحد
يعرف ان إخراج تلك الفرقة من مواضعها هو أحد الإستعدادات
لحرب ستشن بعد أشهر من الآن. كان إداء الرائد الركن سلمان
نوري في ذلك الواجب مائزاً الأمر الذي دعا قائد الفرقة ليرشحه
لنقل الى هيئة ركنه، فمن مهاراته الاضافية إجادته اللغة الكردية
والمام جيد بالفارسية مع محاولة لتعلم أساسيات اللغة التركية.

ومن الصور التي مرت على ذاكرته في تلك اللحظات، تطور
الأحداث في إيران، فتلك أحداث عاشها وكان شاهداً على بعض
فصولها إذ شارك في بعض تلك الفصول، وتذكّر يوم غادر شاه
إيران بلاده، وما واجه خلفاؤه من مشاكل، كان أقواها تمرد الأكراد
الإيرانيين، كان بحكم منصبه في الفرقة يترجم نشرات الأخبار الى
العربية ويعرضها على القائد مساء كل يوم. ولعل أهم الاخبار التي
وقف عليها في تلك الحقبة الجبلى بالتوقعات السيئة تأثيراً، ما
حصل لوزير الدفاع الايراني مصطفى جمران عند زيارته لمدينة
مريوان الكردية التي شخصت في مقر الفرقة بصفتها بؤرة التوتر

الشديدة ، وحمل تقرير إستخباراتي معلومات تعزز الأخبار، تضمن قيام أحد المتعصبين المدعو كريم روشن بمحاولة قتل الوزير، لولا تدافع العقلاء من أهل المدينة لمنعه، خلق ذلك وغيره قطيعة بين الأكراد والنظام.

كل تلك الأحداث التي كان يسجلها في سجلاته ويقدمها في تقاريره جعلته يوصي القيادة العسكرية التي يعمل ضمنها بالتهيو لما ستمخض عنه تلك الظروف، فالمتوقع حسب تحليله للواقع، نزوح أعداد غفيرة من الإيرانيين وخاصة الأكراد صوب العراق، ما يحتم العمل للتهيو له والاستفادة منه في كل المجالات.

وبدت نبوءاته تتحقق وتحليلاته تؤتي أكلها، إذ رزم اغنياء الأكراد الإيرانيين تحت ضغط الخوف من المجهول ثرواتهم ومجوهراتهم وتهياؤوا للهرب خارج البلاد كوسيلة للضغط على النظام. حاولت أجهزة الأمن والمخابرات العراقية تشجيع وتعزيز تلك المشاعر وتغذيتها أملا في خلق المزيد من المشاكل وعناصر الضغط والإضعاف للنظام الجديد، لذا تم انشاء عدد من معسكرات ايواء اللاجئين في محافظتي السليمانية وديالى تديرها الفرق العسكرية والمخابرات.

رأى قائد الفرقة السابعة في الرائد الركن سلمان الشخصية الأكثر كفاءة لإدارة المعسكر الذي يتوقع استقباله العدد الأكبر من العوائل اللاجئين فهو متابع للاحداث ويجيد لغتي اللاجئين وكانت توقعاته مصيبة. لذا فقد أصدر اليه أمراً بتولي إدارة معسكر بنجوين لإستقبال اللاجئين الإيرانيين. وتحت إشرافه تم بناء معسكر يضم ثلاثمائة خيمة قابلة للزيادة.. زاد أسلوب إدارته للمعسكر إعجاب رؤسائه به. ثم عاد الى الواقع، فهو الآن سجين غرفة قذرة في منأى عن أسرته لا يدري ما يراد به.



كانت تلك أسوأ ليلة مرت بأسرة سلمان التي لا تدري ما إذا كان أبوهم حياً أم ميتاً، كثيراً ما تساءلوا لماذا ترك الخاطفون موظفي الدولة وضباط الجيش والشرطة وخطفوا ضابطاً سابقاً؟ ثم لماذا تركوا مدير مجاري الحلة وأحد موظفيه ولم يخطفوهما معه وهما في السيارة التي كان يستقلها سلمان نفسها؟.

- ألا يحتمل أن تكون أجهزة السلطة هي التي اختطفته لتجبره على التعاون معها؟
إستفسرت لينة.

- هذا ليس اسلوب دولة فهو عمل قرصنة وقطع طريق..

أجاب زوج أختها لبنى .

- ومن قال لك ان عندنا دولة بمعنى الدولة؟

نهضت الأم لتعد العشاء، فلا بد للأولاد من أكل شئ يغير طعم ريقهم المر، وكان أسهل عشاء هو الجبن والزيتون، ولم تنس وضع صحن فيه لب جوز وهو ما يؤكد سلمان على ضرورة تناوله مع الجبن لضمان تغذية الدماغ، فوصاياه تنفذ عادة بحضوره وبغيابه.

ومع غياب الشهية حاولت أن تتناول أكبر كمية من الطعام على شكل لقمات صغيرة أملاً في تشجيع الأولاد على الاكل، ولم يجد ذلك نفعا، فقد تناول عمار لقمة واحدة استجابة لرجاء والدته بينما طمأنت لينة الأم إلى أنها ستتناول عشاءها في وقت لاحق، وبذا تخلصت من الإلحاح الذي لا سبيل إلى رفضه أو الاستجابة له. لم تفكر پروين في عمل الشاي حيث لا تأمل ان يتناول الأولاد طعاماً.

وبدلاً من المذاكرة كان عمار ولينة يردون على النداءات التلفونية التي تستفسر وتواسي وتطمئن، تسلت الام إلى مخدعها.

وبعد أن اجتازت عتبة الباب فكرت في أن تجمع عمار ولينة ليناما معها في غرفتها، وسرعان ما تراجععت، فهي لا تريد أن ترسخ فكرة الرعب لديهم.

إرتقت لينة السلم صوب غرفتها، وكان عمار آخر من غادر غرفة المعيشة بعد أن أحكم إقفال الأبواب واطفاً الأنوار الزائدة وإغلق جهاز التلفزيون الذي مط شفتيه باستخفاف، وهو يسمع مذيعة يذيع نشرة الاخبار:

- يقرأ كل حالات الاختطاف التي يتعرض لها المتسكعون والمرزقة والتافهون الضالعون في ركاب الأميركان من تايلانديين وفليبينين وغربيين وشرقيين عمالاً وسواقين وملمعي أحذية وقوادين وعواهر وأبناء كلب. بينما لا يتطرق إلى حادث اختطاف والده على الرغم من مضي تسع ساعات على ذلك الحادث. فأية اخبار تلك؟

تسرب بعض الغبار المتصاعد بكثافة إلى داخل الدار، بحث عمار عن الشباك المفتوح الذي سرب تلك الكمية من الأتربة، أعاد إقفال شباك المطبخ، وآوى إلى فراشه تتحشد في مخيلته صور العناصر التي تعرض في قناة العراقية بعد أخبار الساعة الثامنة وقد

انتفخت وجوه أصحابها جراء اللكم والتعذيب، وهم يعترفون بعمليات الاختطاف والإغتصاب والقتل والتسليب، وكان المحقق يتغاضى عن الأعمال التي يرويها هؤلاء عن قتل الجنود الأميركان ليطلب المزيد من التفاصيل عن أعمال الإرهاب، إرتبك وهو يفكر فيما يمكن فعله لو أن أحدهم إترف بخطف والده وذبحه كما إعترفوا بخطف عقيد إسمه رائد في الموصل وقتله وهو ضابط خدم برتبة ملازم أول عند والده. تداعت الصور وتشتت الأفكار وتعددت الاتجاهات، وعندما وضع رأسه على الوسادة كان يفكر في معالم مفترضة لوجوه خاطفي والده.

اشتدت قوة الريح في الخارج وكانت النخلتان اللتان في الفناء الخلفي للدار تقاومان الريح العاتية من أجل البقاء منتصبين، ولم تصمد بعض شباييك الدار، فانفتح شباك غرفة لينة وعلى الرغم من أن الرؤية محدودة فقد كان الضوء المنبعث من المصابيح التي تنير الواجهة الخلفية للدار معفراً بالتراب، لذا بدا كئيهاً باهتاً ولكنه ساعدها على رؤية الدرج الخشبي الطويل على الجانب الخلفي من الشباك، وتذكرت.. لم يكن هذا الدرج موجوداً عصر هذا اليوم.. ثم انهم لا يملكون درجاً خشبياً بارتفاع طابقين فماذا يعني وجود هذا الدرج الغريب قرب شباك غرفتها؟

وبينما هي منشغلة في أمر ذلك الدرج، لاح لها رجل ملثم في أعلاه، بيده مسدس وقد وجه فوهته باتجاهها حاولت أن تصرخ، أنحبس صوتها كررت المحاولة، تريد أن تستنجد بشقيقها وأمها.. لا تستطيع الصراخ، هي نفسها لا تسمع صوتها فكيف سيسمعه الآخرون؟ كأنما حفنة من الطين اللازب كانت تسد بلعومها.. قفز الرجل الملثم إلى داخل الغرفة ولحقه آخر كان في أثره على الدرج، قيدا يديها ورجليها ثم كمما فمها وأبقياها على السرير، ثم أصعدا رجلا يرتدي دشدشة سوداء وقد أدخل رأسه في جوف كيس قماشي أسود، يده مكبلتان بحبل أسود ثم دفعاه نحو غرفتها، كانت تتحرك في كل الاتجاهات كما النخلتين.. إشتدت حركاتها العشوائية عليها تفك قيودها، كررت العمل وإستمرت تحاول وتتحرك، طرح الملثمون أسيرهم على السجادة وإستل أحدهم خنجراً من وسطه وذبح الرجل المجهول.. لم تكن تقو على رؤية نافورة الدم، كانت ترتجف رعباً.

لقد فار الدم وتناثر في كل الاتجاهات، تلوث كل شئ في الغرفة حتى قميص نومها وشعرها وقدميها. إستمر التدفق النافوري للدم من الجثة التي بدأت حركتها العنيفة تتباطأ ثم تعبت فسكنت، أحست بان الحبل الذي يقيد رسغيها قد إرتخى جراء حركتها

العنيفة، حاولت بعنف اكثر، ازدادت رخاوته، خلصت رجلها اليمنى، لم يلتفت الزائرون الطفيليون، نهضت بيدى مكبليتين إلى الخلف، لامست قدماها الأرض المغطاة بسائل ساخن ثقيل، كان الملتصمون مشغولين بدفع رجل آخر إلى غرفتها، طرحه أحدهم أرضاً وهم الثاني بذبحه، بلغت الباب ففتحتها، أثارت تلك الحركة إنتباه أحد الملتصمين، هرولت نحو السلم كانت أرض الممر التي بلغها سيل الدم لزجة، زلقت رجلها شعرت وكأنها تطير في الهواء، إرتطمت بالجدار لم تكن تر شيئاً فالغبار كثيف، هوت من طيرانها الى أول درجة من السلم لم تساعد يداها المكبلتان على توقي الارض.. اختفى الملتصم الذي تبعها ربما سقط هو أيضا فثمة صوت إرتطام، إندفعت صوب أقرب غرفة في الطابق الارضي، ضغطت على مقبض الباب بذقنها فانفتحت ودخلت ثم أغلقت الباب بكتفها تعطل عندها جهاز معرفة الإتجاهات كما تعطل جهاز الموازنة وكل الحواس، سوى حاسة تحسس الخوف، رمت بجسدها على الأرض ليتها تستطيع قفل الباب ولكن كيف؟ فلربما سيتعقبها قاتل؟.



لم تصمد الشبابيك أمام هجوم الريح والتراب. كان عمار مستيقظا على مضض، فأعصابه مرهقة وجسمه متعب ورأسه

مثقل بالهموم وصدره مشحون بالوساوس، يفكر في أن يقوم ليغلق الشبائيك. لم يكن يرغب في أن يفتح عينيه، ولكن رائحة وطعم التراب الكريه كان يجبره على النهوض لعمل أي شيء، وعندما تشجع وفتح عينيه الناعستين لعن الشبائيك وصانعها والبناء الفاشل الذي ثبتها والمجرمين الذين خطفوا والده واليوم الذي رأى فيه النور لأول مرة. ماذا يفعل ازاء هذا الهجوم الكئيب المفزع المزعج، حيث داهمه جيش من الوطاويط، كل منها بحجم الجرو لورا يوم رغب في إستضافتها في بيتهم وقبل أن تكون مشاعاً لكل الكلاب السائبة.

لم يرغب في النهوض فالوطاويط ستلتصق في وجهه وسيصعب التخلص منها الا اذا جلبت له أم زينب مرآة الذهب من مرقد العباس كما كانت تفهمه عن حالات شاهدها وشاركت في معالجتها، كانت أسراب الوطاويط تترى وهو عاجز عن المقاومة، سحب الملاة ليغطي وجهه اتقاء شرها، إستدرك مقررأ ان الملاة لن تحميه من أسنان الوطاويط والتي بدت كأنياب الذئاب الجائعة، انها جائعة بلا شك، فالهوام التي تققات عليها ماتت بفعل الريح العاصف والتراب، كان أحد الوطاويط الكبيرة يحمل بين اسنانه كتلة سوداء حجمها أكبر

من حجم جسمه، حلق بعشوائية في فضاء الغرفة ثم حط على طرف السرير عند قدميه، أصيب الفتى بالرعب، فالكثلة السوداء هي نسخة مصغرة من زميلته راقية. راح الوطواط يمزق ملابسها، بدأ بفوطه الرأس السوداء والجلباب الفضفاض الأسود وماتحته مما لم يتح لأي من الزملاء التفرج على طبيعته من قبل، كانت تستغيث وتستنجد به ظن ان الوطواط المتوحش المفترس سيقدم على التهامها قمعاً لغائلة الجوع، ولكنه فوجئ بما لم يكن بالحسبان، لقد إفتزع الوطواط الزميلة التي سالت دماء عذريتها لتغمر فراشه وتبلل قدميه وساقيه وفخذه، بينما غرز الوطواط أنيابه أسفل أذنها اليمنى.

نهض مندفعاً بعيداً عن بشاعة فعل الوطواط الكبير وعن الدم التي تسلل إلى ملتقى فخذه فشعر بتهيج عنيف جعله يلعن تلك المشاعر. كان صراخ زميلته وهي تحت الوطواط العنيف يصك أسماعه، نهض ليخلص نفسه من طوفان الدم، هدأت ثائرة باقي الوطاويط حيث تدلوا من السقف والجدران بينما وقف بعضهم على المصاييح والخزانة يراقبون سيدهم يقضي وطره من راقية على أمل حصول كل منهم على فرصة مماثلة قبل إنبلاج الصباح الذي بدا بعيداً.. كانت موجة جديدة من الوطاويط داهمت الغرفة بحثاً عن مستقر لها.

رأى ان أفضل ما يمكن أن يقوم به في هذه الحالة هو أن يترك غرفته متسللاً حانياً ظهره نائياً بوجهه عن أسراب الوطاويط الجديدة التي تحوم فوق رأسه. أغلق الباب وراءه لمنعها من التسرب إلى بقية غرف الدار. تلمس طريقه إلى المطبخ فوجد الشباك قد فُتح ثانية، أغلقه واضطر إلى وضع عمود من صحن خلفه لمنعها من الحركة، وقبل أن يغادر المطبخ سقط العمود فتهشمت الصحن على بلاط المطبخ محدثة صخباً كسر هيبة الظلام، فشلت الفكرة إذاً. أين تضع أمه الفانوس، اليس هذا هو وقت الحاجة اليه؟ ثم هل يعقل أن امه ظلت نائمة مع كل هذه الضوضاء وهذا الصخب، اتجه نحو غرفتها ليفاجأ بصوت السرير..

هل يعقل ان اباه قد عاد؟ وحتى لو عاد، هل يعقل ان يكون اول عمل له هو تحريك السرير؟ فماذا يعني هذا الصوت الفاضح؟.. في لحظة طيش وتهور صنعتها ظروف إختطاف والده وعصف الريح وتراكم التراب الخانق وما رأى من فعل الوطاويط، نسي كل ما جبل عليه وتربى عليه.. ولم يعد يشغل باله الا العنف الذي يُمارس فوق السرير، خصوصاً وانه هارب من عنف وطواط شبق. حاول ان يطرد الهواجس والوسواس، ولكن الصوت الذي طالما خدش حياته ينبئه ان شيئاً ما يحدث، فهل تسلل شخص ما عبر الشبايك العvisية على الاغلاق؟.. ثم لماذا لم يسمع صرخاً أو

لغطاً ينبئ بمقاومة المتسلل؟ كل الصور الجميلة والأفكار الراقية التي تراكمت في عقله تهاوت تحت ثقل الألم والخوف والنعاس والضغط النفسي وما أخرجه من مخدعه.

عاد إلى المطبخ يبحث عن الساطور، لم يسعفه الحظ في العثور عليه، تلمس سكيناً كبيرة، قرر ان يقتحم مخدع أبويه ليرى ماذا يحدث ومن ذا الذي يهز السرير.

لحظات انفعال وارتياب اقترنت بارتعاشات متكررة هزت البدن ذي البنية القوية، كان كل جزء من بدنه وروحه يعاني من تقلصات وتشنجات، عينه اليمنى كانت تتقلص على شكل ومضات سريعة وجنتاه ترتجفان، ركبته تصطكان، كل جزء من جسمه كان متمرداً عصياً على الاستجابة. تراخت كفه، فانفلتت السكينة من يده لتغرز في طرف قدمه اليمنى، إندفع الدم غزيراً، كان الظلام الذي أشاعه إنقطاع التيار الكهربائي يمنعه من إيجاد وسيلة مناسبة لمعالجة الجرح الغائر، توجه نحو الطباخ يريد أن يحرق خرقة يكوي بها الجرح، تعذر عليه العثور على ما يوقد به، سقطت مواد أخرى وتهشمت، زلقت قدمه فوق الدم الغزير المتدفق من قدمه، سقط على الأرض ثم نهض لم تفتأ يداه تبحثان عن أي شيء يفيد في إيقاف النزف، ولكنه لم يحصل على أي شيء، أعاق الجرح

محاولة إقترحام مخدع أبويه ليعرف ما يجري فيه حال، أحس بوجود شئ معلق على الجدار، تحسسه بيديه إنه صدرية الطبخ، تناولها ومزقها بسرعة ربط الجرح بأوصالها وعاد يبحث عن ولاعة الطباخ أو علبة كبريت، لا بد له من كي الجرح لتعقيمه، لم يعثر على المطلوب، عاد يتلمس السكين على الأرض، هاهي، ثم توجه بخطوات بطيئة هادئة مرهفاً السمع شاحداً الفكر، صرير السرير ما زال مستمراً يصك سمعه.

وتردد ناشداً الحكمة من عقل متعب . ليلة لم يرَ أشد وأقسى منها، أسند ظهره إلى باب المخدع الذي كان صرير السرير المستباح يصدر عنه، هنا كان الصوت أقوى يسمع وبوضوح، وتوقف يهز رأسه ليترد هذه الافكار الشيطانية، إنهمز أمام كوابيس النوم، فهل يهرب من كوابيس اليقظة؟.

أدار قبضة الباب وإن دفع بسرعة وعنف، فوجد أمه جالسة على السرير تربت على كتف شخص نائم يهتز بشدة ويهز السرير، توقف لحظة كاد يخنق وهو يعيشها.. كانت أمه التي بدت بضوء شمعة بقميص النوم تجلس على سريرها، توقف محاولاً خلق تفسير، فمن ذا المسجى على السرير الى جوار أمه؟. لفت حاله الام فقالت:

- لينة نزلت فزعة مرعوبة، عاودتها عادة المشي في المنام،
لقد ارتفعت درجة حرارتها، ماهذه السكين بيدك؟

أحس انه ضمير وصغر حتى كاد يتلاشى، ترى متى وكيف
نزلت من غرفتها؟. أحس أن حجم السكين أكبر من حجمه كثيرا
بدت ثقيلة لا طاقة له بحملها. تمنى لو بكى في تلك الساعة علّ
الدموع تطهر عقله.. سقطت السكين على الأرض.

- لماذا تحمل سكيناً.. عمار؟

كررت الأم السؤال بصيغة اخرى.

- الم تسمعي الشبايبك تتلاطم؟ ظننت لصاً داهم الدار.

- سمعت كل شئ ولكني لا أستطيع مغادرة الغرفة بسبب
حالة لينة.

- كيف سنعالج الأمر، لا يمكن نقلها إلى المستشفى والجو
يحول دون مجئ الطبيب.. ألا ترين إن من الأفضل إدخالها
الحمام لتبريد جسمها برذاذ الماء البارد لكي لا تتفاقم حالتها؟

- سأفعل.. ساعدني في إيقافها على قدميها.

لاحظ مسدس والده في يد أمه فأحس بأمان أكثر. جلس على
طرف السرير فقل اهتزازه الذي طالما أزعجه، وانخفض صوت
صريه المستفز وبدأ يسند جسده أخته المتهالك:

- هذا السرير المزعج يحتاج إلى أن احكم ربط خشبه، غداً سأشتري مسامير لإصلاحه ومنعه من الصرير.

رأى ان من الحكمة أن لا يزيد من آلامها بإعلامها بجرحه. سيأخذ الفانوس فيما بعد لبحث عن وسيلة تساعد على معالجة الجرح.

- كنت....

ترددت پروين في أن تكمل ما في ذهنها..لذا تراجعته وقطعت الكلام..

- كنت ماذا ..أمي؟

فشلت في اخفاء ما تريد اخفائه فرأت ان تقص عليه رؤياها التي اقلقتها، ولكنها تراجعته فلربما زادت من قلقه وفاقت مخاوفه:

- كنت أحلم..أو قل: كان كابوساً.

- وماذا رأيت؟

- كانت مشاهد مشوشة..لم يعد ربطها سهلاً..

وراحت تستذكر الكابوس الذي اقلقها ورأت ان تحجبه عن إبنها، انها تريد ان تحتفظ به في ذاكرتها عليها تجدد من يعينها

على تفسيره، فهي تؤمن ان ثمة رؤيا صادقة وأنها مما ورد في الحديث النبوي. إذ رأت نفسها في مقبرة النجف، ذهبت برفقة سلمان وكان معهما عمار وهو طفل صغير بعمر خمس سنوات. بعد أن قرأ الفاتحة على روح الجدة وتلا سلمان آيات من القرآن على جدتها، تصدقا ببعض الطعام على الفقراء الذين يجوبون المقبرة، فجأة حل الظلام سريعاً، إختفى سلمان بين القبور والحفر، لم تستطع ان تسيطر على الطفل فقد كان يقفز من قبر الى قبر كالغزال، أتعبها كثيراً، ثم إختفى خلف مجموعة من القبور، بذلت جهداً لتعثر عليه دون جدوى، كانت هناك سراديب واسعة سمعت من أعماقها البعيدة صراخا لم تفهم منه شيئاً.. إزداد الظلام، تحشد قبالتها قطيع كبير من الكلاب المتوحشة، كان بريق عيونها ولمعان أسنانها كافيان لأن يجمدانهما في مكانها، كانت رجلاهما مغروزين في الأرض الرملية، حاولت إقتلاعهما والإنطلاق سريعاً، أرادت أن تستنجد بأحد، ولكن ليس من مُعين، في لحظة الرعب تلك نسيت إنها، فجأة شعرت ان رجلها تحررتا، قفزت، فإنطلقت الكلاب تعدو خلفها، زادت من سرعتها، تعثرت بجسم كروي ملفوف يشماغ، ربما هو جمجمة أو رأس قطع حديثاً فعلى الشماغ أثر

دم لم يجف، ركضت أسرع فأسرع تمكن أحد الكلاب من عض طرف ثوبها، اقتطع قطعة منه، شاهدت قاطعاً خشبياً يستر حيزاً مكشوفاً ينبعث منه بريق ضوء خافت، قفزت كما يفعل رياضيو القفز العالي فنجحت في المحاولة الاولى واجتازت الحاجز الذي كان أعلى من قامتها، وعندما وصلت قدماها الأرض هابطة من طيران اضطراري كانت تقف على قدميها خلف الحاجز.

كان يجلس في الحيّز رجل يقرأ القرآن، فوجئت بشكله، كان يشبه سلمان تماماً، كأنه هو، إستمر يتلو سورة يس وأشار لها بالجلوس قربها، فتذكرت انها اضاعت إبنها، حاولت النهوض لمعرفة مصير الكلاب هل عادت إلى حيث انطلقت أم مازالت تنتظرها أمام الحاجز الخشبي، لا بد لها من العودة للبحث عن الطفل، فلربما التهمته الكلاب.

كانت لينة قد دخلت الغرفة عندما بلغت پروين تلك النقطة من الرؤيا فأخرجت بدخولها أمها من كابوس الرعب لتدخل في رعب الحقيقة.

تلت بعض الايات القرآنية على الاطمئنان الروحي يحل عليهم وهم في تلك الحال المفعمة خوفاً ورعباً، كانت تلك النبوة الدينية

التي ظهرت على امه جديدة بالنسبة له، فهو لم يكن يعلم انها تحفظ شيئاً من القرآن إذ لم يسبق لها أن إستشهدت بأي نص ذي قدسية من قبل.



لولا الساعة اليدوية لما كان سلمان يعرف هل إنقشع الليل وإنبلج الصبح إيداناً بيوم جديد من الحبس الذي لا يعرف ماسيترتب عليه، أم مازال أمامه وقت طويل حتى يرى نور النهار، فالساعة الآن الخامسة والنصف صباحاً. في مثل هذه الساعة من صباح امس كان قد انطلق في رحلته التي انتهت به إلى هذا المكان. خطر على باله جاره مدير المجاري الذي كان يلح عليه لإستصحابه إلى بغداد، ترى هل كانت له علاقة بما حل به من مأساة ما زال يجهل نهايتها؟.

شعر انه الان بحاجة إلى أوراق ليسطر عليها مشاعره، يريد ان يوثق كل ما حصل معه، فالمصير المجهول والجو المتسمم بكل شئ من الامور التي ستأخذ أسبقية في مذكراته.. لقد كان الجو عاصفاً كثيباً خانقاً ملوثاً بالغبار والتشاؤم وضيق النفس والخاطر، مما زاده انقباضاً وكآبة وتشاؤماً فوق ما هو عليه من

تلك المشاعر، يريد أن يكتب عن هذا الهواء..الذي يراه هواءاً فاسداً، هواء أفسدته العاصفة وسممته مداخن معامل المدينة الصناعية التي لا شك انها قريبة من محبسه.

أخذه الاستطراد فظل يجتر تفاصيلاً من مذكراته التي حرص على اضافة صفحة أو أكثر اليها قبل أن ينام في كل ليلة.سمع حركة الاقفال خارج الغرفة، انهم يفتحون الباب، الحمد لله فقد أخرجوه من استذكار أمور تمنى نسيانها ولكن أنى له النسيان، فكل نسمة وكل حركة وكل سكون يذكره بواقع مؤلم.

كان كل شئ في الغرفة مغطى بطبقة خفيفة من التراب المتسرب من أسفل الباب الحديدي، وكما إعتاد منذ عصر يوم أمس، عصّبوا عينيه بمنديل وأخرجوه إلى مرحاض يبعد عن غرفته مائة وعشرين خطوة عدّها كما كان يفعل عندما يتمشى دائماً فهو إعتاد هواية عد الخطى.. لم يرفعوا المنديل عن عينيه حتى عندما جلس يقضي حاجته الطبيعية كما فعلوا أمس، فهو لا يدري ان كانوا يراقبونه فهو يبول ويتغوط، خصوصاً وان هذا المرحاض لا تستره باب وإنما ستارة من قماش يصعب عليه معرفة ما إذا كانت وقت جلوسه مسدلة أو مرفوعة، بفعل فاعل

أو جراء الريح. تذكر وصية عبد الرحمن لهم ليعاملوه كضيف له، فضحك بمرارة في داخله..

عاد إلى غرفته محاولاً غسل رأسه لكنه لاحظ ان الصابون من النوع الرديء الذي لا يرغب، تمنى لو أتاحت له الفرصة للاستحمام فقد اتسخ جلده بالتراب الذي كاد يدفن الكون تحت طبقاته ليلة أمس. لم يستطع تناول الفطور الذي قدم له فهو عبارة عن صحن صغير من الزبدة الحيوانية وعليه رشة سكر، مع رغيفين من الخبز وقدرح شاي. وجبة غنية بالكولسترول والسكر والتراب، تناول قطعة خبز أماط عنها ما علق بها من تراب، وراح يغمسها بالشاي، وبعد أن رشف آخر ما في القدرح، أزاح الصينية جانباً.

في السابعة، تكرر سماع صوت حركة الاقفال، ثم فتحت الباب، أعادوا وضع المنديل على عينيهِ واستصحبوه خارجاً، عشر خطوات كانت المسافة التي تفصل غرفته عن غرفة أخرى أدخلوه فيها، وقبل ان يقفلوا الباب قال له أحد الحراس:

- عندما أقفل عليك الباب تستطيع فتح العصابة وازاحتها عن عينيك..

كانت زنزانتة الجديدة غرفة رديئة وغير لائقة، ربما كانت مأوى للدجاج. ليس فيها غير فراش قدر ووسادة أكثر قدارة.

وقبيل العاشرة سمع الأقفال تتحرك من جديد، فتحت الباب ودخل عبد الرحمن وصهره، جلس هو على طرف الفراش القذر بجانب ضيفه بينما بقي الشاب واقفاً قرب الباب.

- تأخرنا عن الحضور اليوم، فثمة تفجير دمر سيارة همر لقوات الإحتلال، لذا قاموا بغلق مداخل السيدة.

- وهل تسكن السيدة؟

- نعم في الفرع المقابل لجامع الامام علي بين الجسر الكبير وساحة الدرويش.

شعر سلمان بأنه حصل على مفتاح ثمين ربما سيخدمه في مرحلة لاحقة، فعنوان سكن عبد الرحمن الذي كشف عنه غباؤه يشكل معلومة ثمينة. واصل عبد الرحمن كلامه:

- كنت أريد أن احدثك بالمهمة، ولكن يبدو ان الظرف غير ملائم بسبب طبيعة الغرفة، انهم ينشؤون لك حماماً في غرفتك الأصلية على أن يكمل العمل فيه قبل عصر اليوم.

- أنت تعرف يا أبا غيداء اننا عسكر تربيينا على النوم في ملاجئ تحت الارض، ليس فيها فراش غير التراب، اذاً بإمكانك التحدث بصرف النظر عن طبيعة المكان.

- حسنا سأريحك.

وبعد أن سحب نفساً عميقاً كأنه يمارس عملية التعذيب النفسي المدروس بعناية ضد أسيره سواء شعر بها أم لم يشعر، تماماً كما كان يعذب الجنود الذين يحقق معهم، أتراه تعمد سحب هذا النفس العميق أم أن حركته جاءت عفوية عن غير قصد، كانت هواجس سلمان متضاربة.. ثم واصل حديثه الذي ينتظره سلمان بفارغ الصبر:

- لقد كان قوم لوط مفسدين في الارض، فبعث الله لوطا ليرشدهم ويهديهم فما زادهم ذلك غير عجرفة وفسادا، فنزل عليهم العذاب الاليم، وصارت مراكزهم سدوم وعمورة أثرا بعد عين.. هل تتذكر أبا عمار يوم كنت تحدثني عن تاريخ اليهود وأسفار التوراة ولم أكن وقتها مهتماً بما تحدثني به؟، فقد كنت منجرفاً في تيار اللهو والعبث بل كنت في أغلب الاحيان لا أعي كلامك ولا أفهم منه شيئاً.

- نعم أتذكر وما علاقة سدوم وعمورة وقوم لوط بما مطلوب مني؟

- مازال يعلق في بالي انك كنت تظن أن عقاب الله لهم كان على شكل قنبلة نووية.. فهل مازلت عند تلك القناعة؟

- هذا رأي كنت قد قرأته في ذلك الوقت، وقد قرأت آراء غيره من بينها ان جرمين سماويين تصادما فوق تلك البقعة الآثمة فتناثرت الشهب والنيازك جراء الاصطدام لتحرق مساحة واسعة يبلغ نصف قطرها مئات الكيلومترات، وتستطيع رؤية الصخور البركانية التي زعم أصحاب هذا الرأي انها الدليل على صحة معتقدهم وهي تغطي مساحات هائلة من الارض في بلدان فلسطين والاردن وسوريا وغرب العراق، انها نظريات يعوزها الدليل القاطع، أما اليهود في توراتهم فانهم يقولون ان كتلة من النار نزلت من السماء على مدينتي سدوم وعمورة فاحرقتهما ولم ينج من سكانهما غير لوط وابنتيه اللتان أسكرتا أبيهما وضاجعته فحملتا منه سفاحاً على وفق الزعم اليهودي المحرّف.

- لا بأس.. ماتقول أنت في الرأي الذي يرجع الكارثة التي حلت بهم إلى تصادم نيزكين؟

- لا أظنه دقيقاً، فلو حصل لكان فعله كفعل الإنفلاق الجوي لقنابل المدفعية الذي تصيب شظاياه منطقة واسعة ولا يحتمي منها أحد، فلو كان حصل لكان لوط ومن معه قد ذابوا ضمن محيط دائرة الغضب الإلهي، فهو خرج من تينك المدينتين بعد منتصف الليل، ونزل الغضب الرباني صباحاً (اليس الصبح بقریب) كما

ورد في القرآن الكريم، وكان ومن معه يمشون على أقدامهم أو يركبون الحمير، ومعهم الأغنام والأبقار التي تفرض عليهم مزيداً من بطيء الحركة، مما يعني أنهم قطعوا ما لا يزيد على عشرين كيلومتراً قبل نزول العذاب، أي أنهم مازالوا قرب (أرض الصفر) كما نسميها بمصطلحاتنا ونقصد بها الأرض التي تنفلق فوقها أو فيها القنبلة النووية..

- عموماً ليس هذا هو الهدف المنشود من حديثنا وإنما هو مدخل تذكيري يعتمد على رأي كنت أنت ترجحه وتدعمه.. فالיום ألا ترى أن أميركا الفاجرة الباغية الفاسدة تمثل قوم لوط بما أقدمت عليه ضد أمة الإسلام من حرب صليبية وما تخطط له من محاولات جادة وحشية لإفساد العالم، وأن إستهدافها للإسلام هو أحد حلقات ذلك المخطط؟

- هذا أمر أنا أعتمده في أبحاثي، وقد نشرت دراسة عن الإسلام فوييا فصلت فيه ذلك، وأزيد على ذلك أن الرئيس الأميركي السابق كلنتون له حضور دائم في حفلات إباحية للشاذين جنسياً يمارسون فيها شذوذهم بحضور الرئيس الذي يدعي الرغبة في إصلاح العالم.

- رائع، على هذا الأساس وردنا طلب من جهة ذات قدرة على فعل الأمور التي تشبه الخوارق، إنهم يريدون قصف أميركا

بالسلاح النووي كما فعل تعالى مع الفاسدين من قوم لوط سكان سدوم وعمورية، فواشنطن هي سدوم العصر.

ساد صمت بدا طويلاً، لم يخف سلمان خلاله دهشته الكبيرة، الا أنه قرر أن لا يقاطعه لانه لم يستوعب هذا الكلام الصعب على الفهم، الذي رأى فيه ما يشبه تمنيات المفلسين.. وتواردت إلى ذهنه سلسلة من الاسئلة عن هذا الذي لم يجد ما يصفه به غير تخريف عبثي لا يستطيع عاقل القبول به، ثم ما علاقته هو بهذه الخرافات الثقيلة على السمع والعقل؟ لقد فجعوا أسرته وحطموا أعصابه وأشاعوا الرعب في صفوف محبيه وكل من سمع خبر إختطافه، ليسمعوه هذه المحاضرة الغرائبية من رجل يبدو ان عقله فسد. لو كتب الله له النجاة والعودة إلى عائلته فإنه سيتحف ابنه عمار ببعض تلك الأفكار ليضيفها إلى خزينه الخاص بالخرافات والأساطير والfantasy، فهذه المعلومات جديدة بمناقشتها تحت عنوان (أساطير العصر الحديث)، فهي ليست من أدب الخيال العلمي. وفاجأه الرجل الذي ظنه مخرباً بقوله الذي قطع سلسلة أفكاره بهدوء وثقة:

- السلاح النووي المطلوب متوفر وهو الآن بحوزة تلك الجهة التي ندين لها بالولاء. الا أن أي سلاح تحصل عليه سيفقد قيمته ما لم تمتلك وسيلة إيصاله إلى الهدف كما تعلمنا في كلية

الاركان..ولما كان الأمر قد وردنا من قبل تلك الجهة بالعمل على إيجاد الوسيلة أو الأفكار المساعدة على التنفيذ، إذ تم تكليفي بذلك، لذا رأيت أن أستعين بك لوضع وابتكار الوسيلة المناسبة لقصف أميركا الباغية بهذا السلاح!!

غرق سلمان في لجة عارمة من الأسئلة فبأيها يبدأ، على فرض أنه يحاول اقناع نفسه بقبول الفكرة من حيث المبدأ:

- الا ترى ان اختيارك للبحث عن وسيلة لإيصال القنبلة النووية إلى أميركا أمر يغريني على معرفة تفاصيل أكثر؟

- حقا..فنحن فرع من تنظيم إسلامي واسع الانتشار يتمتع بسرية عالية، كانت أحداث الحادي عشر من أيلول من تصميم قيادتنا العليا وهي الآن تخطط لهذه العملية الجبارة التي ستنتقل جهادنا وصراعنا المصيري نقلة نوعية، وكما أتضح لك الصورة، فان لتنظيمنا خلايا نائمة وأخرى فعالة في كل انحاء العالم، وبسبب التشرذم والتبعثر الذي حصل للتنظيم عقب إحتلال أميركا لأفغانستان، فان المقر الأعلى الذي بات ضعيفا في إدائه حاول توزيع المهام على الفروع عملاً باللامركزية، وإستحصال الحلول والمقترحات التي تمكنه من إتخاذ القرار الأكثر صواباً..نحن لسنا وحدنا الذين سنساهم بتقديم الحل

لهذه المعضلة فحلّنا هو أحد حلول ستتقدم بها فروع أخرى،
وأتمنى أن يكون هلاك أميركا على أيدينا نحن وأنت معنا ليكون
لك شرف المساهمة.

- حسناً وهل تريدني أن أصمم صاروخاً لإيصال القنبلة إلى
هدفها مثلاً؟

- كلا طبعاً أنت مثلي ضابط مشاة ولست تقنيا في مجال تصنيع
المقذوفات، ولكنك ستعمل على وضع سيناريو قابل للتطبيق
وسيؤمن تطبيقه إيصال القنبلة إلى الهدف وتفجيرها هناك.

- وهل أنا خبير بكتابة السيناريوهات، أبا غيداء؟.. هذا عمل
الفنانين من كتاب الأفلام والمسلسلات التلفزيونية.

نظر عبد الرحمن إلى سلمان نظرة حازمة تحمل غضباً لم
يلحظ الرجل الأسير مثله منذ تجدد لقاءهما عقب قطيعة دامت
قراءة ربع قرن:

- سلمان؟! أأنت الذي أعددت سيناريوهين بأمر الرئيس
السابق أحدهما لحرب بأسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط
والآخر لإعادة إحتلال الكويت؟ ألم يكن ابن أختي وعد هذا
ضابط الارتباط بينك وبين سكرتير رئيس الجمهورية؟.. وأشار
بيده إلى صهره.

-!!

- متى ستباشر بكتابة السيناريو؟..بالمناسبة نحن لانريده طويلا، نحن عمليون..لا تكتب أكثر من عشر صفحات فولسكاب، وليكن بحدود 2000 كلمة مع إني أفضل ان يكون أقل من ذلك. لا مجال للإعتذار قطعاً، خصوصاً وان القيادة العليا صارت على علم بأنك محجوز عندنا لهذا الغرض..سوف لن يتركوك تعيش بأمان إن رفضت.

أطرق سلمان الذي شعر انه يضمّر ويضعف أمام هذا الأمر المعزز بديل ثبوتي لا مجال لإنكاره أو التنصل منه ناهيك عن التهديد البين. ثم ان الطلب ضمن إهتمامه فهو في داخله يتمنى الإجهاز على ما يراه طغياناً وفساداً وكراهية مما يعيش في عقل القيادة الأميركية التي غزت بلده، ولكن ليس بأسلوب القنابل النووية فإنها ستحرق الأخضر واليابس وتقتل المجرم والبريء.. ثم من سيضمن أن السيناريو الذي سيعده سيكون مقبولا عند القيادة التي لا يعرف تركيبها وقدراتها ومزاجها وسلوكها؟.. ثم اذا ما قُبل فمن يضمن انه سيكون كفوءا إلى درجة ضمان وصول القنبلة إلى الهدف. أثر أن يباشر بالحصول على المعلومات اللازمة للشروع بالعمل الخطير والذي لم يعد ثمة مجال للإعتذار عن قبوله اطلاقاً:

- لقد كانت بحوزة الملازم وعد يوم كُلفنا بكتابة سيناريوهات الحرب الشاملة واحتلال الكويت مراجع ومصادر في كل جوانب العلم، وما لا يقل عن عشرة آلاف تقرير استخباري، إنْتقينا منها المادة التي ساعدتنا على إعداد السيناريوهات، فماذا ستضع بتصرفي لكتابة السيناريو المطلوب؟

ثم التفت إلى وعد:

- اليس كذلك ملازم وعد أنت تتذكر المكتبة الضخمة التي جعلتها بأمرتنا ونحن عاكفون على العمل؟..

هز وعد رأسه موافقاً، ولكنه لم يشأ أن يخرج على رغبات خاله:

- لاتنس ان السيناريو الذي ستكتبه الآن غير معقد وهو أسهل بكثير مما سبق وان انتجت.

- بالمناسبة ملازم وعد، مامصير السيناريوين المذكورين، فانت أدرى بهما بسبب مهامك في المشروع؟

- وهل تتوقع مني معرفة أسرار مكتب الرئيس؟ أنا في الحماية ضمن النطاق الثاني وليس الأول الذي يقترب أو بالأحرى يلاصق مكتب الرئيس...

قالها مبتسماً، ثم واصل كلامه بنبرة مختلفة:

- انت تخاطبني كملازم، لقد رُقِّيت الى رتبة رائد قبل الإحتلال
بثلاثة أشهر في جدول كانون الثاني 2003.

- لا نريدك تستعجل..سنزودك بمعلومات أكثر غدا عندما
تكمل الانشاءات في غرفتك وتعود إليها، عند ذلك ستحدث في
الموضوع من جديد وبالتفصيل، ولكني أحببت أن أطلق تفكيرك
ليخلق في عالم الخيال الفسيح إستعداداً للشروع بالكتابة..هل
لديك مطالب عاجلة أستطيع تنفيذها؟..

قال له عبد الرحمن:

- لا لا شكرا، كل ما أحتاج اليه هو انجاز الحمام لكي لا أبول
تحت المراقبة بل فوقها.

قالها مبتسما، وواصل: ثم انني احتاج إلى حبوب إرتفاع الضغط
وقرحة المعدة، ربما يتذكر وعد ذلك عندما كان يؤمن طلباتنا في
القصر الرأسي، وأرجو إخبار طباحكم للكف عن وضع الملح في
الطعام لقد قدموا لي طعاما مالحاً مساء أمس.

- هذا أمر جيد فالملح من شأنه ان يخلق جواً من الوفاء حسب
تقاليدنا العربية.

قال ذلك بإسماته الخفيفة المعهودة، وودّع صاحبه على أمل أن
يحضر صباح الغد، إلا أن سلمان فاجأه بطلب لم يحسب له حساباً:
- لا أدري هل فكرت بطريقة تطمئن بها أسرتي التي لا يعلم إلا
الله ما حل بها؟.

تظاهر عبد الرحمن بأن الأمر ضروري ويستحق الإهتمام،
فأوعده خيراً.

مع طلوع النهار كانت السماء التي حجبها آلاف الأطنان من
الأتربة القادمة من الصحراء قد ظهرت زرقاء صافية جميلة، كانت
بقعة الدم التي انتشرت فوق بلاط المطبخ قد إختفت تحت طبقة
كثيفة من التراب. خرج عمار إلى الحديقة ليتفقد الخسائر الناجمة
عن العاصفة. أول ما لفت نظره أن باب الدار الرئيسة مفتوحة على
مصراعها، وعندما حث الخطى بشكل لا إرادي ليغلقها فوجئ
بالكلبة لورا داخل حديقة الدار مستقرة تحت كلب ضخيم غير
الذي نزا عليها صباح أمس، وقد دخل معهما جمع من الكلاب.
شن عليهم هجوما مستعملاً مسحة، لم يتمكنوا من فك الاشتباك
الحميم بينهما، سقط الكلب من على ظهر لورا ولما لم يستطع أن

يتخلص لذا استدار ليلاصق دبره دبرها وما زالت عملية الاتصال مستمرة، قام بتوجيههما بواسطة المسحاة نحو الباب فخرجا.

بدأت حالة لينة التي روت الرؤيا الكابوس لأمها تتحسن بالتدريج، المشكلة القائمة هي إن كل شئ في البيت يقبع تحت طبقة كثيفة من التراب، وكانت أجسادهم متربة وسخة. رن جرس التلفون كانت سكرتيرة رئيس الجامعة على الخط:

- أرجو إبلاغ الدكتورة پروين إن السيد رئيس الجامعة والسادة عمداء الكليات سيتوجهون لزيارتكم بعد الساعة الحادية عشرة لمشاركتها وجدانياً بالحادث المؤسف، أرجو إبلاغها تحياتي وأسفي لما حصل.

وما ن وضع عمار السماعه حتى رن ثانية:

- مسكن السيد سلمان نوري؟

- نعم تفضل.

- أنا قائد شرطة المحافظة هل بإمكاننا الحضور للحصول

على بعض المعلومات عن حادث إختطاف السيد سلمان؟

- نحن لا نملك أية معلومات تفيدك.. بإمكانك الاتصال

بالسيد منعم عبد الحافظ مدير المجاري في المحافظة فقد

كان بصحبة والذي لحظته اختطافه، وانه مصدر كل المعلومات المتيسرة لدينا.

صرخت پروين بغضب وعصبية وانفعال ممزوج بخيبة أمل:

- وهل هذا هو الوقت المناسب لتركنا أم زينب فهي كثيرا ماكانت تبات في المطبخ عندما لا نحتاج إليها، وعندما نحتاج إليها نفتقدها؟ من سينظف هذا البيت الواسع؟

- لم تستصحب أم زينب جهاز الإستنشاق البخاخ الذي تستخدمه في نوبات الربو، يبدو انها نسيته في المطبخ، ربما كانت بأمس الحاجة إليه ليلة أمس في هذا الجو الترابي الذي يخنق الأصحاء.

قال عمار وهو ينفض التراب عن الجهاز ذي اللون الأزرق.

- ربما كان فارغاً فتركته..

أجابته الام.

- لا أمني انه ممتلئ..

قالها متأكدا بعد أن ضغط عليه مرتين فانبثق منه الرذاذ بكثافة.

كانت مجاميع الأقارب والجيران والمعارف تتوافد على الدار لإظهار المشاطرة الوجدانية وعرض الخدمات على السيدة

والأولاد. في الحادية عشرة حضر رئيس الجامعة صحنبة لفيف من عمداء الكليات ومسؤولي الجامعة، لاحظ الفوضى وطبقة التراب التي تغطي كل شئ في البيت، فاتصل بسكرتيرته وطلب منها إرسال ثلاث عاملات تنظيف إلى مسكن الدكتورة پروين لمساعدتها في تنظيف البيت. شعرت بالحرج :

- دكتور نحن نعتمد على خادمة تعيننا في تنظيف البيت..إلا انها غدرت بنا في أصعب الأوقات..فتركت البيت فجأة دونما إشعارنا بِنَيْتِهَا.

- ما معلوماتك عن هذه الخادمة دكتورة پروين؟

إستفسر الدكتور سهيل عميد كلية التربية وهو مختص في التاريخ الأوربي الحديث يتهمه زملاؤه باعتناق نظرية المؤامرة.

- لا أظن أن ما تفكر فيه ينطبق على موضوع هذه العجوز البائسة..

قالت پروين وهي تلمح إلى ما يؤاخذ به العميد والذي يرجع كل المشاكل إلى تأمر ما.

- دكتورة پروين أنت أعرف بمن يعيشون معك والعوامل التي خلقت الحادث والظروف التي تمخضت عنه..

بهذه الكلمات حسم رئيس الجامعة النقاش مدركا ما يريد
العميد سوق الشكوك نحوه.



ما أن رفع الثلاثة أيديهم من طعام الغداء الذي لم ينقص كثيرا،
بغيا ب شهيتهم، حتى رن التلفون، فهرع عمار لالتقاط السماعه
بسرعة كما ظل يفعل منذ عصر أمس، ولكن المنادي كان صوت
امرأة غربية إختلطت كلماتها بالنشيج والشهقات الحارة:

- استاذ عمار أنا زينب بنت أم زينب، لقد ماتت أمي ليلة أمس
مختنقة بالتراب ولم نستطع إسعافها، ماتت في طريقها إلى المستشفى.

ليتها لم تخبره فقد زادته لوعة وأسى، فأجابها بصوت
خالطته عبرة فهو يحب تلك العجوز الطيبة مربيته التي سهرت
عليه الليالي، وكانت تشبع هوايته دائما، فهي تمده بمزيد من
الأساطير والخرافات وقصص السعلوة والطنطل والنجمة أم
ذويل وغيرها.

- البقاء في حياتك، غفر الله لها وجزاها عنا خير جزاء
المحسنين.

- من هي؟..

صرخت أمه بقلق واضح وشديد.

- انها أم زينب، ماتت الليلة الماضية.

أسرعت پروين لتتناول السماعة وتقدم واجب العزاء:

- ولكن ماذا كانت تفعل عندك؟ لقد خرجت حتى من غير أن تخبر أحداً بذلك؟ بالمناسبة عثرنا على جهاز البخاخ في المطبخ صباح اليوم.

- لو كان جهاز البخاخ معها لما تفاقمت حالتها، كان لابد من أن أخبركم، فمذد الصبح أحاول الإتصال بكم ولم أستطع فتلفونكم مشغول بإسمرار.

- لم تخبريني ماذا كانت تفعل عندكم؟

كانت الدموع تنساب على خدي پروين وهي تصغي بألم إلى صوت زينب.

- ماتت أمي في طريقها إلى كربلاء لتدعو الله تحت قبة العباس لينقذ السيد سلمان وإن وصيتها إقتصرت على ذبح خروف وفاء لنذرهما فيما إذا عاد السيد سالماً معافى كما أوصت بعمل بيرغ العباس بطول سبعة أذرع، يُعلّق في أعلى نقطة من دار السيد سلمان وعليه طبعة كف ملطخة بالحناء.

- لابد من حضورك تشييع جنازة المرحومة وتقديم مساعدة مالية لذويها، كانت مخلصه لنا..

بدت وكأنها تلتقط أنفاسها مخاطبة إبنها، ثم بلعت ريقها:
- أسأل الله تعالى أن يعيد إلينا سلمان لأنحر أكبر خروف وفاء لنذر المرحومة، وأخيط البيرغ بيدي كما كانت المرحومة قد نذرت وسأبصم عليه بكفي اليمنى الملطخة بالحناء كما أوصت.
- آمين.. يارب العالمين...

قالت لينة ذلك بصوت متكسر يشبه النحيب.

عصراً حظر كل الزملاء من طلاب الصف بإستثناء راقية وجماعتها، كانت عواطف الجميع جياشة، أكثرهم شارك بالدموع، لم تصمد الأم فانهمرت دموعها، ولم يبخل عمار بما بقي مما خزّنه في مآقيه لمثل هذه اللحظة من دموع، فأطلقها غزيرة ليوشّل تلك المآقي المتعبة. فيما كانت لينة تبكي بصمت.



فرغ سلمان من تناول غدائه الذي لم يتضمن الدهون والملح هذه المرة وبلع قرص خفض ضغط الدم، فرح بالإنجاز الرائع الذي تحقق، إذ قضى حاجته الطبيعية لأول مرة منذ يومين وشعر

براحة بدنية ونفسية. ثم إنه إستمتع بالإستحمام لأول مرة منذ إقتياده إلى هنا، كان الصابون الذي جلبه وعد من النوع الذي يستعمله في بيته، توقف عن حك جلده الذي إنتشرت عليه البثور والجراح لما حمل من وسخ نتيجة للعاصفة الترابية، وهاهو الشباك الصغير يأتي بالضوء الطبيعي، ولو أنهم وضعوا خلفه حاجزاً طويلاً عريضاً من الصفيح المضلع يضمن عدم إكتشاف السجين طبيعة المكان الذي حجزوه فيه. وسيحميه السرير من الحشرات التي تبحث عن مأوى في آذان النائمين. الشرشف نظيف والفراش جيد والدواء متوفر وماء الشرب بارد، وزيادة على ما طلب، زودت الغرفة بطباخ كهربائي مع عدة للشاي ومثلها للقهوة. سوف لن يشعر بنفسه سجيناً لو أعيد له الهاتف النقال إذ سيتمكن من تطمين الأسرة التي يقدر حجم ما حلّ بها من حزن وقلق، حقاً لصار حاله أفضل بكثير.

سمع قرعة الأقفال، فالحارس سيخرج صينية الطعام، ولكنه فوجئ بصديقه يدخل الغرفة والإبتسامة الغامضة تملأ وجهه، لم تكن تلك إبتسامته قبل خمس وعشرين سنة، ولكن تقدمه في السن والرتبة والمناصب إضافة إلى طبيعة مركزه وادائه الحالي كل ذلك فرض عليه طابعاً أكثر رصانة ووقاراً.

جلس عبد الرحمن إلى جانبه على السرير بينما ظل وعد واقفاً مسنداً ظهره إلى الجدار.

- ماذا بقي من طلباتك لم ينفذ، أبا عمار؟

- مصحف.. أبا غيداء يا حبذا لو أمرت بتزويدي بمصحف فأنا لم أحظ بشرف حفظ القرآن.

- حفظه أمنية لم نعد نقدر حتى على أن نحلم بها ونحن بهذا العمر.. سيصلك المصحف قبل صلاة المغرب إن شاء الله تعالى.. ماذا عدا عن المصحف؟

- الوثائق والمستمسكات.

- حول ماذا؟

- لآتهياً لكتابة السيناريو.

- لم أفهم قصدك.. عن أية وثائق ومستمسكات تتحدث؟ أخبرتك اننا لن نستطيع تزويدك بأرشيف وثائقي.

- كيف سأرتب أفكارى من غير معلومات مفصلة ودقيقة عن القنبلة، نوعها وقدرتها التدميرية، ظروف ومكان خزنها، طبيعة الفريق المخصص لتنفيذ المهمة، الوسائل المتاحة، الهدف

المنتخب وطبيعة التفجير ما إذا كان إنفلاقاً جويّاً أم داخل الماء
أو قصف لمركز معين.. وغير تلك أمور كثيرة.

ثم نقل ناظره بين عبد الرحمن وبين وعد:

- كما قلت لك أمس، كان بتصرفنا من وثائق وتقارير
ومعلومات وأشخاص وأشرطة تسجيل صوتية وفيديوية ورقائق
كومبيوترية وأقراص مدمجة وغير ذلك من الكثرة إلى درجة
اننا لم نتمكن من الإطلاع على كل محتوياتها بسبب محدودية
الوقت وكثرة الوثائق؟ وهذا الرائد وعد يتذكر ذلك، فكيف
تريدني أن اشتغل وأنا أعزل من المعلومات والحقائق اللازمة؟

- لك أن تقدم أسئلة عن المعلومات الأساسية التي تحتاجها،
وسوف أجيب على ما أعرفه منها، أما ما لا أعرف جوابه فسوف
أحاول تأمين الإجابة عليه من مصادر أخرى، على أن لا يجعلك
ذلك تنتظر وتفترط بالوقت، بل ابدأ بالكتابة لحين حصولنا على
معلومات وحقائق إضافية.

- طيب..قبلتكم: أين هي الآن وما هو نوعها وما هي قدرتها
التدميرية وكيف حصلت عليها؟

- فيما يخص سؤالك عن مكان تواجدها فانك تستطيع
افتراض وجودها حيث تشاء، سيتم إيصالها إلى المكان الذي

تفترضه في السيناريو، أما قوتها فإنها كافية لتدمير سدوم العصر، أي وكر الشر واشنطن، أما كيف تم الحصول عليها، فهذا أمر ليس ضروريا لكتابة السيناريو ولكن سأحدثك به في وقت إستراحتك بعد أن تشرع في الكتابة.

- حسنا أنا لا أعرف قدراتكم وإمكانياتكم لأضع بعض الفرضيات في ضوء المعلومات المتاحة، فهل لديكم طائفة مثلا، وكيف سيتم نقل القنبلة إلى تلك الطائفة وأين هي حدود إمكانية عناصركم وعملائكم في الدول التي ستمر بها القنبلة وانتهاءً بواشنطن.

- أرى أن تصب أفكارك....

وتوقف لحظة وكأنه نسي ما يريد قوله، ثم واصل:

- بالمناسبة.. هناك مبدأ درسناه في كلية الأركان لا يحضرني الآن موضعه بالضبط وفي أي درس تلقيناه يقول: قد يقدم الخيال حلولاً ممتازة لكثير من المعضلات، لعل هذا يضعك في الصورة تماماً.

- هذا ليس مبدأ وإنما رأي وأظنه في محاضرات الهجوم على ما أتذكر، وهو موجود تحديداً اما في كراسة فوج المشاة في المعركة أو في كراسة تعبئة التشكيلات.

- إذن تستطيع أن تضع سيناريو خيالي ولكن بعيد عن الخوارق والخيال العلمي يعتمد الخلق والإبداع ولا تتحدد بالإمكانات البشرية فنحن نستطيع تأمين الأشخاص اللازمين للتنفيذ في أي مكان تمر به القنبلة حتى بلوغها الهدف.

لفت انتباه سلمان ما ورد في كلامه من قول- نحن نستطيع- فهو يتكلم بلسان مجموعة هو منها وليس كما أخبره في أول لقاء. فهو حاول بادئ ذي بدء الظهور بمظهر المقتنع بالسياق المفروض عليه والتوجيه الذي وُجِّه به، أما الآن فهو يتكلم وكأنه مصدر قرار له القدرة على الحسم. فتقدم بطلبات بسيطة ليشرع بالكتابة:

- أحتاج إلى منضدة للكتابة وعلبة ورق فولسكاب مع مجموعة من أقلام الرصاص ومبراة وممحاة.

ثم إستدرك:

- الأهم من هذا كله انني لم أستصحب نظاراتي فكيف سأستطيع العمل بدونها. أحتاج إلى نظارات لبعد النظر بثلاث درجات ونصف لكلتا العينين.

- هذه الطلبات بسيطة ستصلك مع المصحف، فهل هذا يعني انك ستشرع بالكتابة عصر اليوم مثلاً؟

- بإذن الله.

عند الوصول إلى هذا الإتفاق حاول عبد الرحمن أن ينقل الحديث إلى موضوع آخر ليمنع سلمان من سحبه إلى أرض قتل ملائمة بكثرة وتشعب أسئلته، لذا قرر أن يكون مبادراً بالضرب ولكن باتجاه آخر:

- أتدري ان سجنك وإخراجك من الجيش جعلاك محوراً للإشاعات والتقولات في ذلك الوقت، من بين الإشاعات التي قيلت وقتها إنك ضُبطت متلبساً باللواطه مع الجندي المراسل الذي كان يخدمك. وأخرى تقول انك كنت على إتفاق عملي مع القائد الإيراني المقابل لقاطع فوجك، بهدف تسكين الجبهة في قاطع الفوج عن طريق الايحاء، فخلقتما قواعد إشتباك خاصة بكما.. أي انك تمتنع عن تسخين الجبهة فيعمل الإيراني على تهدئتها من جانبه على الرغم من أنكما لم تلتقيا ولم يخاطب أحكما الآخر لا مباشرة ولا عن طريق وسطاء، لذا، والقول لهم: فأن جبهة فوجك لم تكن تشهد قصفا متبادلاً بنفس شدة القصف في القواطع الأخرى، وغير ذلك من تقولات، فأى من تلك كانت قريبة من الحقيقة؟

شعر سلمان أن صاحبه يريد النأي به عن طلب المزيد من المعلومات باضعافه من خلال وضعه في قفص الاتهام ومحاكمته بتهمتين ينكرهما، فرأى أن يرد بهجوم مقابل. في هذه اللحظة عاد وعد بعد أن طلب تأمين الاحتياجات:

- عندما كنا في اللواء الرابع، كان يخدمنا مراسل أشقر من بعشقة أسمه إبرم هل تتذكره؟

تغير لون وجه الشيخ عبد الرحمن ووجه نظره خلصة صوب صهره الذي عاد ليتكى على الباب. قدّر أنه أوشك على خسران المباراة الفكرية مع أسيره فأراد أن يتوسل به ليكتم ماعنده من معلومات:

- كان ذلك الجندي كذاباً، ثم انه سرق من جيب بدلتي نقودا. ولكن سلمان أصر على أن يرد هجمته بهجمة مقابلة:

- لايهمنا صدقه وأمانته ولكن يهمنا إن مراسلاً آخر وهو من الناصرية كان يريد التشهير بمراسلك فقال ما قال مما خلق جدلاً واسعاً بين الضباط حولك فأقترحت على آمر اللواء وكان يحترم آرائي كثيراً أن ينقل المراسل الذي كانت تحوم حوله الشبهات وكذلك المراسل الواشي إلى وحدة أخرى ويحافظ على سمعتك

فقد كنت أنت الضابط الوحيد في مقر اللواء بدرجة عضو في الحزب. وكان أغلب الضباط يخافون سطوتك ويفرحون بما يصيبك، لذا وجدتني الوحيد الذي يقف بجانبك لأن الحفاظ على سمعة الضابط مسؤولية تقع على زملائه بقدر ما تقع عليه هو شخصياً.. هكذا علّمنا الضباط القدماء.

بدا وعد مهتما بالمسكوت عنه من قضية المراسل الأشقر وعلاقته المشبوهة بخاله الذي يعده قدوة حسنة له فضيق بؤبؤيه وقطّب جبينه منتظراً المزيد من فضح الأسرار وكشف الخفايا، ولكن كيف سيحصل على المزيد من تلك المعلومات الفضائية بعد أن عادت الذكريات إلى خانة السرية الشديدة، إذ أعلن عبد الرحمن إستسلامه بطريقة التفافية:

- عموماً أهل الإشاعات كُثُر. في الحقيقة أنا لم أصدق ما أشيع عنك.. ألا تراها فرصة جيدة لتخبرني لماذا طُردت من الجيش؟

أحس سلمان أن صاحبه ينظر إليه بإنكسار وندم ويتمنى أن يتجاوز موضوع إبرم الذي كان سلمان شخصياً عاملاً مساعداً على لفلفة قضيته ووأدها، فتجاوب مع نظرات الإنكسار والتوسل والشعور بالخجل والحرج والندم خصوصاً وان الطرف الثالث

هنا هو شخص يعتز بخاله ويرى فيه قائداً رائعاً ناجحاً ثم انه صهره، لذا غيّر اتجاه الحديث ليعيده سيرته الاولى.

سرد على أسره ما حصل بعد أن نُقل بعدما نقل من اللواء الرابع حيث كانا معاً ونسب إلى الفرقة السابعة للإشتراك في تمرينها التعبوي، حيث بقي في مقر الفرقة إلى حزيران من العام 1979 بدون عمل، إذ نقل الى منصب آمر معسكر استقبال اللاجئين الايرانيين في بنجوين.. صار مسؤولاً عن إستقبال اللاجئين أسراً وأفراداً، ويؤمن لهم السكن والحماية ويصرف لهم الأرزاق الجافة ووقود الطبخ والتدفئة، مع مبالغ نقدية تدفع أول كل شهر، وبأمرته مفرزة طبية تقدم لهم الخدمات الطبية.

وعندما تقرر إرسال بعض اللاجئين لتنفيذ أعمال قتالية داخل الأراضي الإيرانية فقد أنيط واجب تنسيق تلك الأعمال بمركز استخبارات بنجوين وممثل المخابرات في المدينة. كان من بين اللاجئين شاب من أبناء أثرياء مدينة مريوان إسمه آوات حميد بيروزي كان يقطر دلالاً فقد إستصحب سيارته فيات جي ال الإيطالية الفستقية معه عند لجوئه. خلق هذا الشاب النزق الكثير من المشاكل لسلمان آمر المعسكر بسبب كثرة تحرشاته بالفتيات خصوصاً القادامات من منطقة بانه وسقز وهي مناطق

محافظة، كانت ثمة إختلافات أيديولوجية بين أهالي تلك المناطق وسكان محافظة سنندج التي من أفضيتها مريوان، فأهل سنندج ماركسيون يتزعمهم عز الدين الحسيني الذي كان يلعب هوشي منه الأكراد، وأهل بانه ذوي فكر إقطاعي، كان زعماءهم يأتَمرون بأوامر الدكتور عبد الرحمن قاسمليو. أخذ عناصر مركز إستخبارات بنجوين ومسؤول المخابرات بالضغط على آوات ليشارك في العمليات القتالية التي ينظمها ويمولها مسؤول المخابرات ضد النظام الإيراني، كانوا يتمنون مقتله في إحدى تلك المعارك ليتخلصوا منه لأكثر من سبب، وبسبب عدم تلقي الشاب المذكور تدريباً عسكرياً ملائماً فقد أعيد محمولاً من قبل رفاقه مصاباً بجرح بليغ في فخذه.

كان ذلك الشاب هو أساس مشكلة سلمان التي يرويها لصاحبه الذي كان مندهشاً. إذ جاءت أم آوات من مريوان في صبيحة اليوم التالي لتراه، فاقتادها الحرس إلى خيمة سلمان كونها متسللة بطريقة غير شرعية والقي القبض عليها من قبل جنود أحد افواج الحدود، لذا فإن تسللها يعد قضية إستخباراتية صعبة، كانت في السبعين من عمرها أحس وكأنه رآها من قبل، لاحظ انها لم تكن تتقن جملة واحدة من اللغة العربية.

وعندما طالبها ببطاقتها لتسوية الأمر وفتح صفحة لها في سجل اللاجئين، فإنها توسلت له أن يسمح لها بالعودة بعد أن التقت ابنها، فان بناتها وزوجها بانتظارها، كان ذلك صعباً بالنسبة لسلمان، فهي اجتازت الحدود متسللة عن طريق غير مرخص، ووصلت المعسكر وسجلت في فوج الحدود على انها لاجئة، وقد يشكل إعادتها خلاا يتبين لاحقاً في عند تدقيق قوائم الرواتب والأرزاق خصوصاً وان الفوج الذي القى القبض عليها سيخبر القيادات العليا بإجتيازها الحدود وانهم سلموها الى معسكر اللاجئين، ثم ان هناك من يأتي من مسؤولي المخابرات والإستخبارات ليدقق في أعداد اللاجئين. ولكن في لحظة طغت المشاعر الإنسانية على تفكير سلمان فرأى أن يحقق لها مطلبها، أمر سائقه ان يوصلها الى نقطة حدودية نائية من نقاط الرصد والمراقبة لتعود الى بناتها وزوجها.

إمرأة أخرى كما روى سلمان كانت هي أساس المشكلة إذ زارت المعسكر سيدة من أهالي السليمانية ترتدي الزي الكردي تتكلم العربية بلهجة بغدادية قصدت المعسكر لزيارة آوات.. تلك كانت قضية أمنية فوق العادة، ينبغي التحقيق فيها وإبلاغ الجهات المختصة وخاصة إستخبارات الفرقة السابعة ومركز

الاستخبارات في بنجوين ومديرية الأمن ومديرية المخابرات في المحافظة، فالسيدة مواطنة عراقية تروم لقاء لاجئ سياسي إيراني. وعندما أمر بإحضارها أمامه فوجئ انها أخت زوجته عادت من السماوة مع أولادها لتعيش في دارها في مسقط رأسها السليمانية بعد وفاة زوجها العميد في الشرطة. لم يكن سلمان يعلم بعودتها مع عائلتها إلى السليمانية، ولكنه دهش عندما رآها في خيمته في معسكر اللاجئين.

وعندما سألها عن سبب وجودها في المعسكر أخبرته بأن أمها وهو يدري بذلك، كانت في إيران تقطن في دار أهل هذا الشاب، وإنهم أصحاب فضل لإيوائهم أمها طيلة تلك السنين التي كانت تتعالج خلالها هناك..وعملاً بقاعدة - هل جزاء الإحسان الا الإحسان-، وانها علمت من بعض الأصدقاء في بنجوين ان آوات موجود في المعسكر وانه جرح في معركة مع الجيش الايراني، لذا فهي الآن تريد إستصحابه إلى بيتها في السليمانية ليقضي فترة نقاهة عندها خصوصاً وانها رأت ان حظها حلواً جداً من خلال كون نسيبها مسؤول المعسكر.

كان عبد الرحمن منشداً الى سلمان وهو يسمع هذه التفاصيل، فسأله

- وسمحت لها باستصحابه؟
- بالتأكيد لم أسمح بذلك.
- عجباً إذا أين الخل؟
- لم يظهر الخل هنا، فقد كان أمين سر الشعبة الحزبية للفرقة السابعة يترصد بضابط إستخبارات الفرقة وهو واحد من أكفأ ضباط إستخبارات الجيش.
- تقصد المقدم الركن أسعد رشيد؟
- نعم هو.
- وما علاقة قضية المقدم أسعد بموضوعك؟
- اصبر عليّ قليلاً.. لقد تمكن ذلك المسؤول الحزبي الكبير الذي يبحث بجد عن مثالب الناس بدأب ومثابرة أوصلته فيما بعد إلى مراتب حزبية متقدمة وأمنت له فرصة الإنتقام من كل من لا يحبهم، من التوصل إلى أن خال أسعد كان يدرس الطب في أمريكا في أربعينات القرن العشرين، وانه تزوج بأميركية من أصل عراقي، وانها ولدت له بنتاً سجلها أصولياً في السفارة العراقية، وعندما عاد إلى العراق، كبرت ابنته فتزوجها أسعد. وبذا فان المسؤول الحزبي تمكن من إحالة أسعد الى محكمة عسكرية

كونه متزوج من فتاة من التبعية الاميركية ولم يخبر الجهات المختصة. ولما كان قائد الفرقة المدين بفضل كبير لمقدم أسعد صديقا لوزير الدفاع، فقد أقنع الوزير بإيقاف التعقيبات القانونية ضده، الا أن الوزير لم يستطع الحيلولة دون تنفيذ المرسوم الجمهوري القاضي بإقصائه خارج الجيش.

- وما علاقتك بكل ذلك الذي جرى على أسعد؟.

وراح سلمان يشرح لعبد الرحمن ما حصل بعد خروج المقدم أسعد من الجيش، شغل منصب ضابط أستخبارات الفرقة حيث كانت تلك حقبة حرجة وحساسة شهدت عمليات جمع معلومات عن إيران بكافة المستويات، إضافة إلى المهمة المعتادة للفرقة وهي ملاحقة العناصر الكردية المناهضة للنظام، خصوصا وإن الفرقة التي كان مقرها في السليمانية، كانت تعيش وسط بؤرة من البؤر الساخنة جراء نشاط المسلحين الأكراد وخاصة أتباع حزب الإتحاد الوطني الكردستاني داخلها، فسارع قائد الفرقة الى ترشيح سلمان لإشغال منصب ضابط إستخبارات الفرقة، بديلاً لصديقه أسعد لما عهده فيه من مزايا، فترك اللاجئين ومعسكرهم ومشاكلهم لينهمك في تفاصيل الأمن في السليمانية التي كانت وقتذاك أكثر مدن العراق إضطراباً، إضافة إلى الجهد

الإستثنائي المطلوب بذله في سبيل جمع وتحليل المعلومات عن إيران التي كانت معالم صورة الحرب معها قد تكاملت ولم يعد أحد يقلل من احتمال نشوبها.

كان نجاحه المستمر سبباً في زيادة تشبث القائد به. ساعده منصبه الإستخباراتي المرموق ، على تقصي سر علاقة شقيقة زوجته باللاجئ الإيراني، ومن ثم سر بقاء حماته في ايران. فسحب ملف قيد عائلة عميد الشرطة المتوفى فرهاد حاجي مامند وكلف المخبرين السريين ليحلبوا له المعلومات المطلوبة عن تلك العائلة، فتضمنت المعلومات المتحصلة عن أخت زوجته، أن أمها هاجرت إلى إيران وتزوجت تاجراً إيرانياً كрдياً في مريوان إسمه حميد مصطفى بيروزي وان لها منه ثلاث بنات وولدين أكبرهما آوات طالب في كلية الرازي للغات فرع اللغة الفرنسية، وأودير طالب في الدراسة الإعدادية.. وتجمد الدم في عروق سلمان وزاغ بصره وإقشعر بدنه، فتوقف دماغه عن الإستيعاب والتفكير وداهمته المخاوف والهواجس من سلطة لا تعرف شيئاً إسمه التسامح وليس في قاموسها ما يصطلح عليه بالجوانب الإنسانية، فقد ضاع مستقبله وربما سيدرج في عداد الخونة والجواسيس خصوصاً اذا علموا ان زوجته بنت

سيدة إيرانية وان خال أولاده إيراني لاجئ سياسي في المعسكر الذي كان يديره، وهو ناشط ماركسي ذو هممة عالية على العمل التنظيمي تراقبه كل أجهزة الاستخبارات والمخابرات والأمن العراقية وتتمنى التخلص منه. ثم تذكّر معالم العجوز التي زارته في المعسكر، إنها حماته التي لم تكن تعرفه ولا هو توقع أن تكون هي أم زوجته العزيزة.

لم يكن أمامه مخرج الا التظاهر بضعف شديد في الذاكرة وانه لم يعد يصلح للعمل في مجال الاستخبارات، وأخبر القائد بحالته الصحية التي كانت تسوء يوماً بعد يوم إلى درجة انها أخذت تؤثر على تقاريره، فكان يعتمد الخلط بين الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني ولا يكاد يميز بين البسيج الإيراني وحزب الباسوك الكردي العراقي، ومرة جعل أبو الحسن بني صدر وكان يومها رئيس جمهورية إيران وزيراً للخارجيتها. ثم بدأ يصعد وتيرة الخلط الذي كان أدعى انه ناجم عن ضعف الذاكرة بشكل بات يزعج القائد كثيراً، فنصحته أمر طبابة الفرقة أن يغيّر قدور الطبخ في المنزل من الألمنيوم إلى التيفال والستيل، فالألمنيوم يتفاعل مع الطعام وخاصة المرق والشاي، فيتلف خلايا الدماغ، وهي من النوع الذي لا يعوض،

وقد يسبب الزهايمر بوقت مبكر، لم يكن قد سمع باسم هذا المرض من قبل.. فرح بقناعة الطبيب الأقدم في الفرقة بإفترائه، إذ وُقِعَ على تقريره بقناعة وراحة ضمير، فسَهِّلَ له ذلك أمر النقل إلى منصب آمر فوج مشاة.

كان يتوقع أن تكتشف الجهات الأمنية المختصة بين لحظة وأخرى طبيعة السر الذي بات ينغص عليه عيشه ويهدد حياته، فيكون حسابه عسيراً عندما تكتشف تلك الحقيقة، خصوصاً وهو يشغل منصباً رفيعاً في الاستخبارات، ولكن العقاب سيكون أقل عسراً عندما يدان وهو خارج المناصب الاستخباراتية. وكما توقع فقد استدعي ذات يوم إلى الشعبة الخامسة في مديرية الاستخبارات العسكرية العامة وعرض عليه تقرير كتبه شخص لم يوفق لاحقاً في معرفة اسمه أخبر الاستخبارات بأن زوجته إيرانية، فاعترف فوراً بالحقائق التي إختزنها وأتعبت عقله، لعدم جدوى الإنكار، لقد كان مهياً نفسياً وبدنياً للاعتراف. جرى استدعاؤه بعد شهر من ذلك وعرض عليه أن يطلق زوجته، وقال له مدير الشعبة: الأمر سهل فان زوجتك كما يبدو من سياق التحقيق ومحتويات ملفك الأمني عندنا، خدعتك ولم تخبرك

بحقيقة تبعية أمها..الا أنه رفض التفريط بزوجته التي أخفت عنه حقيقة تبعية أمها بسبب تعلقها الشديد به.

وختم قصته التي أدهشت صاحبه بقوله:

- أوعزت مديرية الإستخبارات العسكرية إلى قائد الفرقة لتشكيل مجلس تحقيقي ضدي لزواجي من ابنة مواطنة أجنبية تحمل أمها جنسية بلد عدو مع إخفائي تلك المعلومات..لقد وجدت نفسي فجأة عدواً لدولتي وخائناً لوطني الذي أحبه أكثر من نفسي، فزج بي في سجن أفضل وأرحم بكثير من السجن الذي زججني فيه وأنت أخي وصديقي.

تبادل الصديقان الابتسام الذي يثقله الوقار كثيراً، نظر عبد الرحمن إلى ساعته اليدوية فهم بالإنصراف على أن يعود صباح الغد للإطلاع على ما سينجزه من نص أولي للسيناريو.

وما أن غادرا وأعيدت الأقفال إلى مواضعها حتى إستلقى سلمان على سريره شابكاً يديه تحت رأسه معلقاً أنظاره في نقطة من السقف كأنه يقرأ فيها ما سيعينه على البدء بكتابة السيناريو الذي بدأ منذ تلك اللحظة يتحمس لإنجازه كرهاً لأميركا، فهو يحسبها باغية جاءت لتدمر بلده، سيحقق سيناريو الموت هذا

أمنية مليارات البشر، فهو سيلحق واشنطن بزميلتها سدوم، وليته يعلم بوجود قبلة أخرى ليدمر بها عمورة وهو الإسم الذي أطلقه عبد الرحمن على نيويورك لينهي الفساد الأكبر الذي يهدد كل الأمنين في العالم.

وراح يصغي إلى أفكاره التي تبدلت فجأة ليسأل نفسه بعد أن اكتشف التبدل الجذري:

- هل ان الضغوط النفسية التي أعاني منها هنا والقلق الخطير الذي يسحق أعصابي، وشعوري ان عائلتي صدمت وروعت إضافة الى ما حل بوطني، هل أن تلك الأمور وغيرها كانت سبب هذا التحول اللامسيطر عليه في تفكيري وجعلني متحمساً لتدمير المدن الآهلة بالسكان خلافاً لما أوّمن به وأعتقد؟.

عندما سمع طقطقة الأقفال أفاق من الغفوة التي سرقتة من الواقع، كان أذان الظهر يرفع،. أدخل شخصان إلى الغرفة منضدة خشبية من رحلات المدارس الابتدائية، ووضعها قرب الجدار، ووضعوا عليها علبة الورق والممحة والمبراة وفوقها المصحف.. وقبل أن يغادرا جاء آخر بصينية الغداء.

ليلة الطمث

كالعادة التي دأب عليها عبد الرحمن فقد جاء لزيارة سلمان بعد الفطور. جلس على المنضدة الطلابية بينما إستقر سلمان على حافة سريره منتظراً فتح صفحة جديدة من الحوار. وبعد صمت إستغرق دقيقتين، بدأ عبد الرحمن يكسر الصمت:

- أعتقد ان الجو بدأ يسخن فالصيف هذه السنة جاءنا مبكراً، لا شك انك في هذه الفترة تحتاج إلى مروحة لتلطيف حرارة الجو.
- أشكر لك اهتمامك، يا حبذا لو كانت مروحة عمودية وليست سقفية.

- أتخشى أن يتغلب عليك اليأس فتلجأ إلى شئ نفسك بالمروحة السقفية لذلك لا تريدها في غرفتك؟.. إ جلب مروحية عمودية هذا اليوم.

أصدر أمره إلى الصهر الذي وقف في مكانه المعتاد قرب الباب.

- لا يأس مع الحياة..عندي أمل في أن أعود إلى أهلي ذات يوم.

- هارباً..مثلاً؟

- وهل أتمكن من الهرب، أنا لا أعرف أين أقبع الآن فكيف سأهرب..

وتذكر قصة ذلك الخبير الفرنسي الذي حاول النظام السابق التمويه على المكان الذي يعمل فيه فتوصل إلى معرفة المكان بعد بضع ساعات:

- أبا غيداء هل تتذكر اللواء الركن نديم ماجد؟

- نعم أنذكره فهو صديقي وكنت قد التقيته قبل الاحتلال بستين.

- كان أخوه مدير عام منشأة المثنى لتصنيع الأعطلة الكيماوية في سامراء.وقد نقل لي اللواء حكاية رواها له أخوه، قال فيها.. إستقدمت المنشأة في ثمانينات القرن الماضي خبيراً فرنسياً لتصليح أحد أجهزة الإنتاج فيها، وعندما إستصحب المسؤول الأمني للمنشأة الخبير من مقر إقامته في بغداد إلى المنشأة، اختار الليل وقتاً للرحلة كونه كما تقول العرب الشمس نامة والليل قوَاد.

- وصف بذئ وفاحش لآية من آيات الله..قال تعالى:وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة، وهؤلاء يقولون عن الليل انه قوَاد؟

- هذا من شعر أولاد الخلفاء فهو لابن المعتز العباسي..
وليس لجاهلي كافر..

كان عليه أن يكمل حكاية الفرنسي على الرغم من نفوره
المزمن من تخلف صاحبه.. المهم انه ينتظر النتيجة.. فروى
له كيف تم نقل الخبير الفرنسي ليلاً في طرق مموّهة إذ إتفق
مسؤول الأمن في المنشأة مع مديرية المرور على تمويه قطع
الدلالة على طرق المرور السريع في محيط بغداد، ثم عمد
إلى التنقل داخل بغداد، فاتجه صوب الحلة وعاد إلى الطريق
المؤدي إلى بعقوبة ثم جنوباً وغرباً وهكذا ظاناً أنه نجح في
خداع الفرنسي.. ولكنه فوجئ بالفرنسي يقول له: لماذا لا تأمر
السائق ليتّجه بنا إلى المكان المقصود مباشرة؟ فقال له ضابط
الأمن نحن نتجه إلى مكاننا فعلاً، فقال الفرنسي كلا.. والدليل
ان القمر الآن على جهة اليمين وقد كان على اليسار وقبلها كان
أمامنا ثم صار وراءنا، وكان في بداية الرحلة على اليمين ثم صار
على اليسار، أي انكم تدورون في محيط المدينة.

ولم يلتفت الى مقاطعة صاحبه المندھش بذكاء الفرنسي
.. واستمر يروي ما حصل في اليوم التالي عندما كان الخبير
الفرنسي يعمل في العراء تحيط به أسوار تكاد تلامس السماء

ارتفاعاً إلى درجة انها تحجب رؤية المنارة الملوية ومناثر مرقد العسكرين، قال للمحيطين به بأسلوب تحدي بعد أن نظر إلى ساعة يده: هذا المكان يقع شمال بغداد بحدود -100 120 كيلومتر، فصعق الحاضرون ولكنهم تظاهروا بعدم الاكتراث وأخبروه ان إستنتاجه ليس صحيحاً فقال: تنطلق طائرة إير باس التابعة لشركة إير فرانس من مطار بغداد باتجاه إسطنبول بالساعة الثانية عشرة ظهراً حسب التوقيت المحلي، وهاهي الآن فوق رؤوسنا، فهي قد قطعت -100 120 كيلومتراً..

ودون إكتراث لعبارات الإعجاب والدهشة التي كان يطلقها عبد الرحمن، راح يربط بين ما توصل اليه الفرنسي وبين حاله، فهو كما روى لآسره لا يملك وسائل تساعد على إكتشاف مكان سجنه وطبيعة محيطه وما الى هنالك من أمور تسهل له معرفة مكانه كما سهل الأمر لذاك الفرنسي ليتمكن من وضع خطة الهرب.

حاول عبد الرحمن تغيير ناصية موضوع الحديث:

- وهل بدأت بالكتابة؟.

- كلا.. فلا بد لي من معرفة تفاصيل مهمة عن أمرين يشغلان بالي، وان تلك المعرفة ستسهل لي البداية التي دائماً ما تكون

أصعب مرحلة في أي مشروع، فالعتبة كزاز دائماً كما تقول الأغنية الشعبية المصرية.

- سل عما بدا لك.

- الأمر الأول هو مكان تواجد القبلة الآن وكيفية حصولكم عليها، والثاني هو حدود إمكانياتكم التي لا أستطيع العمل من دون معرفتها، وإني متوقف على هاتين المعلومتين الأساسيتين.

- حسنا سأقول لك ما يفيدك في شأن هذين الأمرين: القبلة الآن في منطقة وزيرستان غرب الباكستان نقلت إليها من داخل أفغانستان بعد إنهيار حركة طالبان وإحتلال البلد من قبل قوات الغزو الاميركية.

- وهل كانت طالبان تملك قبلة نووية، فلماذا لم تستخدمها ضد القوات الغازية.

- القبلة ليست لطالبان لا بل ان طالبان لم تكن تعلم بوجودها في داخل افغانستان، وكان قرار إستخدامها منذ إمتلاكها يتضمن تدمير سدوم العصر، لقد كان هذا القرار سابقاً لأحداث 11 أيلول 2001 ..

كان عبد الرحمن يغالب ما بداخله من مخاوف للكشف عن مصدر قبلتهم فهو غير مخول بالحديث عنها، إلا أن الضغوط

النفسية التي مارسها سلمان والتي عجز عن مقاومتها، جعلته واهناً
لذا فإنه رأى كما أخبر أسيره ان بعض الأمور السرية يمكن التفریط
بسريتها ولكن لا بد من أن تمكث جيلاً في الكتمان والظلام، وهذه
القبلة لم يمض على الحصول عليها أكثر من خمسة أعوام وانها
لم تستخدم حتى الآن مع احتمال القيام بمحاولات للحصول على
غيرها فلا بد من المحافظة على سرية المعلومات عنها.

ولأن سلمان يعرف كيف يستثمر غياب صاحبه متحججا بأن
تلك المعلومات ضرورية كرأس خيط يقوده إلى كتابة السيناريو.
فإن عبد الرحمن راح يروي قصة السلاح الأخطر.. وجاء من
النقطة الأبعد، إذ بين ان العقيد شامل كريموف وهو ضابط
شيشاني كفوء جداً عمل في أجهزة الإستخبارات العسكرية
السوفيتية، كان خبيراً أمنياً قديراً، مما جعله جديراً بحيازة ثقة
القيادة السوفيتية لما قدمه لها من انجازات مفيدة بخصوص
كشف العناصر الشيشانية المعادية للنظام الشيوعي داخل
الوحدات العسكرية السوفيتية، كان ذلك العقيد وراء سَوْق
العديد ممن يسميهم عبد الرحمن بالمجاهدين إلى الإعدام، إذ
كان يعمل بين صفوفهم متنكراً، ولم يسلم من مراقبته واهتماماته
التجسسية الزعيم الشيشاني أصلان مسعودوف الذي قتل في

الشهر الماضي عندما كان مسعودوف في الوحدات العسكرية المربطة في المجر و ليتوانيا، فقد كان كريموف قريباً منه يراقب حركاته وسكناته. كان مسعودوف حريصاً على ان لا يسمح بظهور ما يدينه، مع انه لم يكن يشك بزميله وابن وطنه دون أن يوفق إلى حيازة دليل ضده. لم يكن الشيشانيون يعلمون أن هذا الخائن هو سبب المآسي التي عانوا منها كثيراً.

على ذات النهج سار ابنه ارسلان فكان كأبيه يحظى بثقة الشيوعيين الذين يصفهم عبد الرحمن بالملاحدة، ولم يلفت انتباه بني قومه إلى بشاعة جرائمه، وركي إلى رتبة رائد وصار في نهاية عام 1998 مسؤولاً أمنياً عن واحدة من القواعد النووية الروسية. لقد كبر أبوه وصار شيخاً كبيراً وتقاعد عن العمل منذ سنوات. ولما حمي وطيس المعارك في الشيشان عام 2000 داهم الجنود الروس منزله في أحد أحياء غروزني بعد أن القيت قنبلة يدوية على دورية منهم ظنوها من منزله، فوجدوا في المنزل بندقية ومسدساً، لم يمنحه الجنود المصدومون والخائفون والمستفزون لمقتل زملائهم فرصة ليقول شيئاً، كان يتوقع انهم سيستصحبونه إلى المقر ويخبرهم بحقيقة أمره فيعيدونه إلى المنزل معزراً مكرماً. ولكنهم وقد كانوا تحت تأثيرات نفسية قاهرة، قيدوا يديه وأمطروه

بوابل رصاصهم، فتناثر لحمه على جدران المنزل، وقد أرادوا من هذا الفعل أن يصيروه درساً لمن سماهم عبد الرحمن بمجاهدي الظل من أبناء الشيشان. وظل نثار اللحم على الجدران إلى أن جاء ابنه بإجازة ليطلع على الرسالة الأخيرة التي تركها له أبوه وكأنه يقول له (كنّا على خطأ)، فأقسم على الانتقام من الجيش الذي قتل أباه. لذا فإنه سعى إلى التعرف على قادة المقاومة وعقد معهم لقاءً سرياً صار على اثره واحداً منهم في السر على الرغم من بقاءه ضمن صفوف الجيش الروسي، كان يصلي سراً ويخطط للانتقام لأبيه بالتنسيق مع رفاقه المحاهدين. قرر أن يحول إهتماماته من متابعة بني قومه إلى متابعة الضباط الروس ليدمر الجيش الروسي من الداخل ما استطاع الى ذلك سبيلا، لقد عمل على تحطيم الكثير من الضباط الروس الكبار بعد أن جمع عنهم معلومات موثقة فاتهمهم بخيانة الجيش الروسي وتسبب في إعدام بعضهم واقتضاء آخرين، وظل يخرب من الداخل ويساعد المجاهدين على التوغل في أهداف عسكرية مهمة من خلال تأمين المساعدات والدعم اللوجستي لهم فنفذوا العديد من المهام الكبرى، ولم يكن أحد يجرؤ على الشك به و بإخلاصه لروسيا، فماضيه الذي هو امتداد لماضي أبٍ يُعد مفخرة للاستخبارات الروسية، يجعله محط فخر.

كان سلمان الذي لا يحب الشروح المطبولة متلهفاً الى معرفة كيفية مجيئ القنبلة وأين هي الآن أكثر مما يهمله أمر إرساله وأبيه.. فكان يحثه على بيان أمرها..

الا أن عبد الرحمن الذي سَمَّر بصره على نقطة في السقف كأنه يستلهم منها سرده ولعله لم يستوعب ما قاله سلمان، الا انه قارب النقطة الأهم عندما بين كيف ان التنظيم كلف إرساله بمساعدتهم للحصول على قنبلة نووية روسية، فخططوا معه لتنفيذ العملية التي أطلقوا عليها اسماً جفرياً هو الصبح القريب. إقتضت العملية إطلاق غازات مخدرة في عموم محيط القاعدة النووية الحصينة أسلمت كل من كان في القاعدة الواسعة إلى نوم عميق.. إستغرقت العملية ثلاث ساعات بعد منتصف ليلة دامسة الظلام تمكن رجال التنظيم المزودون بأقنعة وكمادات واقية ضد الغاز من أخراج الرأس النووي الحديث، الذي وصل قبل غروب تلك الليلة إلى القاعدة، والذي كان سيركب على أحد الصواريخ، وتم وضع رأس مزيف بإتقان شديد يحمل نفس المواصفات الظاهرة والعلامات المؤشرة التي كانت على الرأس الاصلي الذي صار منذ تلك اللحظة إسلامياً، ثم خلع إرساله الكماد الواقية عن وجهه وسلّمه

لأحد المجاهدين ليشارك جنوده النوم، بهدف إيهام القيادة الروسية بأنه تأثر بالغاز ونام أسوة بالآخرين.

وقبل إنجلاء سواد تلك الليلة كان الرأس الغنيمة قد قطع مسافة أربعمئة كيلومتر، ليصل إلى نقطة قريبة على الحدود الأفغانية، حيث ظل طيلة أسبوعين بانتظار الفرصة الملائمة، فرجال تحالف الشمال كانوا ناشطين يبحثون عن كل من يتواجد في مناطق نفوذهم من رجال التنظيم.

- يخيل لي انك كنت هناك في أفغانستان، فهل صدق ظني؟

- كلا بالتأكيد، فقد كنت أشغل منصب رئيس أركان فرقة في الجيش وقتذاك، وعندما سُكِّل جيش القدس في مطلع عام 2001 نقلت إلى منصب قائد رديف للقيادة التي كان مقرها في كركوك.

- وما هو مصدر هذه المعلومات الدقيقة إذاً؟

- المصدر هو ضابط كان قد هرب من الجيش وذهب إلى أفغانستان مجاهداً، لا أظنك تعرفه فهو من الدورات التي تخرجت بعد خروجك من الجيش، لقد كان هذا الرجل من الأشخاص القلائل الذين ساهموا في عملية نقل القنبلة إلى الأماكن الحدودية الآمنة، ثم إلى وزيرستان.

- وهل مازال صاحبكم هذا هناك؟

- كلا طبعاً..

بدا وكأنه يحاول تذكر شيء.. ثم واصل بعد تذكّر:

- انه أحد العناصر التي إختطفتك وجاءت بك إلى هنا. هل هذا الشرح كافي؟

- لم تخبرني عن إمكانياتكم وحدود قدراتكم.

- سبق وان أجبت على هذا السؤال.. تخيل ما تشاء ودون خيالك على الورق، وستجدنا نقبل بما يوجد به خيالك.

- لقد صممت بداية فكريتي على أساس أن تكون المرحلة الأولى لرحلة القنبلة من السعودية وليس من الباكستان فثمة أمور كثيرة تساعدني على رسم معالم تلك الرحلة.. عموماً هل أستطيع إعتبار القنبلة الآن في السعودية؟. ان هذا يجعلني أختصر من حجم السيناريو.

- ليكن ذلك.. ولو انه سيضيف إلى التنفيذ صعوبات يستلزم تلافيها إعداد خطة حصيفة.. كم من الوقت في تقديرك يستغرق إِيصال القنبلة الى الهدف؟

- في الحقيقة سهرت في الليلة الماضية أفكر في هذا الأمر، فوجدت ان أفضل وقت أستطيع إِيصال القنبلة خلاله إلى الهدف هو شهر أيلول القادم.

- هل إنك فكرت في أن يكون التفجير بمناسبة ذكرى أحداث أيلول؟
- كلا..حقا ان ذلك أمر لم يخطر ببالي إطلاقا، وانت الآن لفت انتباهي اليه، ولكن ثمة أمر دولي ساستغله لهذه الغاية.

ساد صمت استغرق دقيقتين كان سلمان خلاله يستذكر أمورا
آخر يريد أجوبة عنها، وبشكل مفاجئ سأل:

- هل تعرف شيئا عن تماثيل بوذا في باميان؟

- باميان في الهند؟

- لا..لا انها في أفغانستان، وتحديداً في جبال هند كوشي
كانت أهم مركز ديني بوذي طيلة أربعة قرون أي منذ القرن الثاني
إلى القرن الخامس الميلادي، وكانت خلال تلك الفترة والى
قرنين بعد تلك الحقبة واحدة من مراكز التجارة العالمية المهمة
كونها تقع على إمتداد طريق الحرير. فيها أضخم تماثيل لبوذا ربما
هما أضخم تماثيل في العالم على الإطلاق.

- لم أسمع شيئا عنها ولا عن تماثيلها..كنت أظن إن الديانة
البوذية في الهند فقط.ماذا تقصد بطريق الحرير؟ فقد إنصرف ذهني
الى الشارع الذي ينحدر من جسر الخر قرب مقر المخابرات السابق؟

وجد سلمان أن الرجل ظل على ذات المستوى الثقافي
الضحل كعهده به منذ خمس وعشرين سنة، فهل يعقل أن شخصاً

مثله يحمل رتبة لواء ركن وشغل منصب قائد، وكان عضواً قيادياً في حزب السلطة لم يسمع بعملية تدمير تماثيل باميان؟ لذا رأى أن يغيّر اتجاه الحديث كون الحديث الجاري مضیعة للوقت. بينما رأى عبد الرحمن أن ينهي الزيارة.

رسخت في بال سلمان مسألة توظيف قضية التمثالين الذين عرفهما المسلمون منذ فتحة تلك البلاد وعرفوا إسميهما سُرخُبد و خُنكُبد، فلقد تابع قضيتهما وقرأ كل ما نشر بخصوصهما، حتى انه فكر ان يؤلف عنهما وعن مصيرهما كتاباً. إستحضر في ذهنه الإحتجاج العالمي ضد قرار طالبان القاضي بتدميرهما والحملة التي اطلقتها اليونسكو لحمايتهما، وقيام وفد من الأزهر بمحاولة إقناع زعماء تلك الحركة بالعدول عن تدميرهما حرصاً على سمعة الاسلام، الا ان رجال طالبان دمروهما بالمدافع والدبابات والعبوات الناسفة.

المفيد في الموضوع مما جعله سلمان أساساً سيبنى عليه قسطاً كبيراً من السيناريو هو تأكده من وصول رأس أحد هذين التمثالين سرّاً إلى السعودية لأسباب سياسية ودعائية، الا أنه شعر بأسف شديد ان مصدر معلوماته الوحيد وهو عبد الرحمن لا يملك اية فكرة عن هذا الأمر الخطير الذي يريد ان يعوّل عليه وينطلق منه في تحقيق نقل القنبلة وإرسالها إلى واشنطن على أساس انها ذلك الرأس الحجري.

لذا قرر الإعتماد على ما علق في ذاكرته مما قرأه في بعض مواقع الانترنت الرصينة والتي يحترم منشوراتها، عن قيام عبد الله بن عبد الكريم الملحق الثقافي السعودي في كابل وقت تدمير التماثيل الضخمة من سرقة وإخفاء رأس أحد التمثالين وتهريبه إلى المملكة حيث أوصى وزارة الخارجية بإستثماره في سبيل تحسين صورة المملكة والمسلمين عموماً بنظر الغرب من خلال تقديمه هدية إلى منظمة اليونسكو بإحتفال عالمي تسخر له كل وسائل الإعلام. إجتهد في تذكر كل شيء عن دور الملحق السعودي ومحاولته إنقاذ التمثالين.

فذلك المسؤول السعودي وعلى وفق ما يتذكر سلمان هو مؤرخ وحاصل على شهادة في إدارة المتاحف من جامعة القاهرة، ذهل عبد الله وهو يرى إصرار رجال طالبان على تدمير الأثرين الضخمين، وشارك شخصياً في المحاولات الاخيرة واليائسة لشني الملا عمر خليفة طالبان عن المضي في هذا الأمر وقابل الملا أكثر من مرة، كانت أول مقابلاته له بصحبة السفير السعودي الذي رجاه الذهاب معه إلى (أمير المؤمنين) كما يلقيه أتباعه لإقناعه بالعدول عن تدمير الاثرين، وأخبره أن هذا الأمر سيؤثر على سمعة الإسلام في عموم العالم، وزاره مرة أخرى ضمن وفد الأزهر، ولكن الملا

الذي تدرج من راعي غنم بسيط إلى أمير للمؤمنين، كان يهمله تقليد أسلافه في السلطة من خلفاء راشدين، الذين لاتأخذهم في الله لومة لائم، فأصدر أمره بحضور بعض أعضاء الوفود التي قدمت لغرض إنقاذ الاثرين الضخمين بالشروع فوراً بتدميرهما.

وظل ينبش في ذاكرته عن كل ما تحوي من معلومات عن تمثالي باميان..، الأهم انه كان يريد تذكر قياسات رأس التمثال الكبير، فهو الوحيد الذي سلم من التدمير، وهو الذي سيكون محور السيناريو.



أخذ سلمان يراجع حصيلته من المعلومات التي تبرع بها عبد الرحمن.. فهل يعقل ان عقله كنز سري من معلومات تخص كيفية الحصول على القنبلة الفتاكة وإنه يتبرع بتلك المعلومات بهذه الطلاقة اللا معهودة من غير خوف أو وجل؟.. كيف وثق به وأتمنه على كل تلك المعلومات؟ ألا يخشى هروبه أو إباحتها بتلك الاسرار التي تقشعر لها أبدان مليارات البشر في كل أرض ومكان؟، فأميركا ربما ستدفع له مليار دولار لو أبلغها بتلك المعلومات، إذ ستمنع وقوع كارثة تمحو عاصمتها..لذا بدأ

الخوف يقوى في داخله، فلا شك ان عبد الرحمن وهو يودعه هذه المعلومات الخطيرة، إتخذ قراراً بتصفيته حال إكماله كتابة السيناريو وإلا كيف ولماذا إطمأن له ووثق به وأعطاه تلك الجرعة الكبيرة من المعلومات؟. فكيف سينجو؟!!

ضحك ضحكة طويلة.. متسائلاً مع نفسه أليس مضحكاً أن رجلاً يعكف في غرفة قدرة فقيرة كهذه يخطط لشن حرب لم ير البشر بحجم ضراوتها، هدفها تدمير أقوى عواصم العالم.. بينما يعجز عن التخطيط للنجاة بجلده من بين براثن رجل ساذج لا يميز بين طريق التحرير وشارع الاميرات النازل من جسر الخر؟ انها مفارقة كبيرة تصلح أن يستثمرها كرواية من الروايات الناجحة، لو كتب له الخلاص من هذا السجن.

وعاد يسأل نفسه:

- أين أنا الآن وما هي طبيعة المكان الذي أُحبس فيه، ما حجم الحراسات التي تصادر حريتي، ما نوع المراقبة المفروضة عليّ . كيف العمل على النجاة من موت مؤجل؟

كان نظره مُركّزاً على الغلاف الاخضر للمصحف الذي لم يفتحه حتى تلك اللحظة، وقال مع نفسه:

- هل سيجعل الله تعالى خلاصي بواسطة هذا المصحف الذي لم تكن فكرة توظيفه في مخطط الهرب والنجاة قد تولدت قبل الان؟. الفكرة سهلة فلدي مفتاح مهم، هو عنوان سكن عبد الرحمن.. سأرسل رسالة إلى أهلي داخل هذا المصحف وسأذكر فيه اسم أسري اللواء الركن عبد الرحمن تركي الذي يسكن السيديّة في الشارع الفرعي على يمين النازل من جسر المرور السريع المقابل لجامع الإمام علي. وبذا ستهتم السلطات المختصة بمتابعة الرجل أو القاء القبض عليه ومكاشفته بالحقائق فيعترف ويقود الشرطة إلى هذا المكان. ولكن كيف سأضمن انهم لن يفتشوا المصحف ومن يضمن انهم سيوصلونه إلى حيث أريد؟

تراجع بادئ ذي بدء عن الفكرة فهي عبثية غير منطقية، قد تسبب هلاكه، ربما حتى قبل ان يكتب السيناريو الذي روّعت زوجته وأحبائه من أجله. ولكن.. لا.. فليس من المعقول انه يكتب سيناريو يدمر فيه عاصمة أميركا وقبلة سيناروهين لو طبقا لهذا الشرق الأوسط بل العالم، ويعجز عن إعداد خطة يهرب بواسطتها من سجن يحرسه جماعة من السدّج؟. فلماذا لا يجازف؟.. وما نتائج المجازفة في حالتي النجاح والفشل؟.

عاد يقنع نفسه ان النجاح ممكن.. والنتائج الايجابية تكاد تكون
مضمونة:

- هؤلاء لا يعرفون اللغة الكردية، سأكتب مجريات الأحداث
منذ خطفت وحتى ساعة كتابة الرسالة بالكردية، بين أسطر
المصحف، وسأرسله إلى أهلي وأحاول أن أثبت لعبد الرحمن
بسيط التفكير، أن المصحف خلو من أية ورقة وبأمكانه فحصه
بنفسه، وطالما إنغمس في الإيمان فسأخذ منه موثقاً من الله ان
يرسل المصحف إلى أسرتي ليكون كلام الله وسيلة لإدخال الأمان
والطمأنينة على قلوب أفرادها، أليس بذكر الله تطمئن القلوب؟.

وكم يحاوره شخص آخر: وهل ان هذا الرجل من السذاجة إلى
درجة انه سوف لن يحاول معرفة ما على المصحف من كتابات؟.
لا أعتقد انه يعلم بالمامي باللغة الكردية لذا سأحاول افهامه بوقت
مبكر عن طريق الملاطفة ان رجاله فيدراليون فهم مزيج فيدرالي من
عرب وأكراد، بدليل ان كردياً كان يستخدم هذا المصحف الذي ترك
عليه ملاحظات بالكردية تسهل عليه القراءة وفهم المعاني، وبذا
سأجعله يتعايش مع فكرة وجود كتابات كردية بين أسطر المصحف.

بدأ يكتب مذكراته التي تتضمن مسلسل الأحداث منذ
اللحظات التي خطف فيها والطريقة التي نفذت بها عملية

الإختطاف، كتب كل شئ بتفصيل ممل وعندما وصل إلى اللحظة التي زاره فيها اللواء الركن عبد الرحمن تركي أول مرة، وتوقف، إذ داهمه النعاس، فهو اليوم ولمناسبة فرحه الغامر بفكرة كتابة المذكرات/ الرسالة نسي قيلولته التي لم تكن تغادره حتى أثناء المعارك الشرسة التي خاض غمارها.

وصباحاً، تناول المصحف قبل موعد قدوم عبد الرحمن وراح يرتل بعض آياته، دخل عليه وهو يرتل، ووضع المصحف على المنضدة.. كان يفكر في كيفية إعطاء عبد الرحمن الجرعة الخطير من المعلومات:

- يبدو أن من عناصركم أفراد من القومية الكردية.

- لا ليس عندنا أكراد.. ما مبرر سؤالك؟

- هذا المصحف.. فيه كثير من الكتابات الكردية ربما كتبها قارؤه لتعينه في فهم تفسير بعض المعاني التي يجهلها.

فتح المصحف وراح يريه الكتابات التي بين سطور سورة البقرة وهو يقول: لم العجب فنحن بلد فيدرالي ديمقراطي..

رمى عبد الرحمن صهره بنظرة تحمل دهشة:

- لمن هذا المصحف؟

- لا أدري اعتقد انه للمرحوم عواد الذي استشهد قبل اسبوعين .
- فمن اين جاءت الكتابات الكردية إذا؟
- لا تستغرب..ربما كانت الكتابات عليه وقت حصل عليه المرحوم.
- قال سلمان محاولا ان يرسخ الأمر في ذهن عبد الرحمن ويطبّعه في عقله.



- كفى تفريطاً بوقت دراستكما.لقد تغيّيتم أياماً عن كليتيكما منذ أن غاب والدكما. نحن على أبواب الامتحانات النهائية وعلى مقربة من تخرجكما، اضغطا على اعصابكما طيلة الاسابيع القليلة القادمة.

قالت پروين عباراتها تلك بتشدد واضح وجدية قلما بدت على مثلها من قبل.لم يجب الولدان ولا بد من ترويض النفس على قبول الواقع والتأقلم مع الظرف الجديد، بدءا يراجعان جداول الدروس.أما الأم فقررت قطع اجازتها فطلابها بحاجة اليها.

بينما كان عمار منهمكا بترتيب كراريسه، عثر على رسالة كانت قد بعثت بها اليه ندى الزميلة الحبيبة التي غيّبتها الظروف، ومع

الرسالة صورة تذكارية لهما قرب برج برس نمرود الأثري القريب من الجامعة.. غرق في لجة من الأفكار، فإن كان أبوها، جدياً كان مستفيداً من النظام السابق، وانه تسبب في أضرار معروفة لبعض المواطنين، فهو الآن صار في عداد الأموات، إذ قضى وهو يقاتل الأيركان. كم كانت حواراتهما جميلة وشيقة ولذيذة، فيها الحب والسعادة والتهكم.. وراح يسترجع شيئاً منها.

- هل يذكرك ذاك البناء العالي القديم بشئ؟..

سألته ندى ذات مرة وهي تشير إلى برج بورسيبا.

- بالتأكيد فهو يذكّرني بالآجر المفخور المزجج الذي جعل بعض المؤرخين يعتقدون أن هذا المكان هو المحرقة التي القي فيها ابراهيم الخليل عليه السلام، وكان حجم الكتلة النارية الهائلة قد عمل على تزجيج الآجر. وقد إعترض فريق آخر على ان احتمال سقوط نيزك أدى إلى هذه النتيجة أمر وارد، أما أنا فأرى...

لم تدعه ندى يكمل فقاطعته:

- ايها المهندس الفاشل هل تظن انني أسأل عن أساطيرك وخرافاتك.. أنا أسأل عن الصور التي التقطناها هناك عندما زرنا المكان للإطلاع على تصميمه المتخيل، فانت لا تتذكر الأشياء الحلوة بل الأشياء الخرافية والاسطورية.

- أنا لست مهندساً فاشلاً فسوف أزواج بين المعمار والأسطورة
لأخلق من هذا التزاوج مجالاً خصباً لدراسة الآثار هندسياً في
ضوء الأساطير وعلى هذا الأساس وهو ما اشتغلت عليه في
مشروع التخرج. أما في الدراسات العليا فسأتخصص بدراسة
العلاقة بين تصميم وإرتفاع زقورة أور ومتطلبات عبادة القمر في
الفكر السومري، وساختار موضوعاً عنوانه تأثير الفكر الديني على
الفن المعماري في العراق القديم- زقورة أور أنموذجاً. ليست
هذه مزوجة بين الاختصاص والهواية؟

- وأين هي المجالات التطبيقية لهذه الخزعات؟

- انها ليست خزعات وإنما قرارات قطعية غير قابلة للطعن
والمراجعة، أما المجالات التطبيقية فما الضير في أن أكون خبيراً
معمارياً في مجال الآثار السومرية؟..

ذاك الكلام جعل ندى ذات الطموح المحدود تضحك مقهقهة:

- الناس تتطور وتدرس آخر ما توصل اليه فن المعمار ونحن
نبحث في الخرائب وقبور الموتى. سأفكر من جديد وأراجع
عقلي.. هل مازلت قابلة بك بعلاً؟.

فصرخ بحبور شديد وهو يتلقف كلمة مما قالت ويشدد عليها:

- بعلاً..نعم بعلاً.. أحسنت ياندى، أنت الآن تعجبيني أكثر فقد قادت عقلك إلى منطقة إهتمامي. أتعرفين من هو بعل؟ انه كبير آلهة الكنعانيين ومعنى اسمه المالك وكانوا يقدمون له قربان بشرية، وقد كان اليهود معجبين به بل منبهرين به إلى درجة أنهم أطلقوا اسمه على الههم، ثم عدلوا عنه، هل تعرفين إيزابيل سالم في كلية العلوم، انها صديقة سناء ابنة خالتك، اسمها يدل عليه، فإيزابيل الفينيقية كانت ملكة اليهود جلبت عبادة الهها الوثني بعل الذي تسمت به وأجبرت بني اسرائيل على عبادته، إسمها يحمل تمجيذاً لإسم الإله بعل..ومنه أشتق إسم اليزابيث.

- اذا ستجد في خرافاتك وأساطيرك وسائلًا للتوصل إلى من تشاء من البنات، وقد يظهرن إعجابهن بثقافتك التخريفية.. لا لا هذا أمر غير مقبول.. إما أن تكرس نفسك للهندسة وأما أن أستحصل أمرا بطردك لأنك تسخر العلم من أجل الخرافات.. لا تنس ان الوالد هو مساعد رئيس الجامعة، بل هو الرئيس الحقيقي للجامعة..

- أزيدك معلومة بشأن البعولة والبعل والآلهة والزوجية.. هل ان أمك ستمارس الحداد على أبيك اذا مات بعد عمر طويل؟

- فال الله ولا فالك..طبعاً فهي امرأة كلاسيكية تقليدية من الموديلات القديمة تعتز بهذه الأمور.

- عظيم.. لقد أخبرتني أم زينب المنظفة ان الرجل عندما يموت سيكبل بالحديد وسيطلق سراحه إذا ما لزمته زوجته الحداد بشكل سليم، وعندما لا تلتزم بالحداد فان الزوج سيتحرر من الأغلال بعد موتها لتكبل بها.. أتعلمين ان في قصة عشتار وديموزي ما يشابه هذا الامر، فسيظل ديموزي مكبلاً بالأغلال إلى أن تأتي عشتار كما في المأثور الشعبي؟ اليس هذا تواصلاً فكرياً؟

- تواصل مع الفكر العجائزي والمتخلف ولكن ليس مع آخر مبتكرات العلم وخاصة في مجال المعمار!

نهض بعد أن أدرك انه كان يحاور خيالها وإنها قد لا تعود إلى مقاعد الدراسة، بل ربما لم يعد لقاؤهما ممكناً، فثمة من يحارب عودتها. ولا حقاً سأل أمه:

- أمي ماذا تحقق بشأن قضية تزويد ندى بوثيقة نقل إلى جامعة بغداد؟

- عجيب أمرك ألم أخبرك بأن هذا الموضوع صار مستحيلاً، فالإنهازي طاهر عبد الواحد صاحب الثقل المؤثر في الجامعة عرقل المشروع، وتم وضع إشارة على إسمها فلم يعد أحد يقدر على تقديم شيء مفيد بخصوصها.

كان النعاس يداعب جفون لينة ولكن وجدت ان عندها ما
تضيفه إلى هذا الحوار الحميمي:

- كان من بين زملائنا طالب وهو ابن قيادي في النظام السابق،
تمكن أبوه من بلوغ اليمن وعيّن تدريسياً في جامعة صنعاء، فهو
حائز على الماجستير في التاريخ الاسلامي.. أما ابنه فقد تمكن من
الحصول على وثيقة صادقت عليها وزارة الخارجية وهو الآن يكمل
دراسته الطبية في اليمن بعد أن فاتته سنة دراسية واحدة.

- تصوري أُمي انهم يحصلون على وثيقة إلى دولة أخرى
ومصدقة من قبل وزارتي الخارجية والتعليم العالي بلا شك،
ونحن نعجز عن الحصول على وثيقة إلى جامعة عراقية لا تبعد
عن جامعتنا أكثر من مائة كيلو متر ولا تحتاج إلى تدخل وزاري؟
كانت الأم قد نامت أو تظاهرت بذلك، وعندما رأى أن أخته قد
إستسلمت للنوم، عاد إلى حبيبة القلب لتكون آخر ما يرد على باله
علّها تزوره في المنام.



استقبل زملاء عمار زميلهم الحامل لمأساته في داخله معبرين
عن مشاطرتهم الوجدانية، الا راقية وجماعتها، فلم يهتموا به ولا
بعودته ولا بما أصابه.

- إلى هذا الحد تكرهك هذه النمرة السوداء؟، لقد أحسستُ
أنها شامتة بخطف والدك.

قال له شاكر الذي يسميه الزملاء واش (أي وكالة أنباء شاكر)
فهو وكالة انباء فردية متكاملة المواصفات، وان من يريد أن ينشر
خبراً كاذباً أو صحيحاً أو يروج لإشاعة أو يطلق نكتة من الطلاب،
مأليه الا أن يضعها في أذنه، فتتشر انتشار واسعاً بسهولة ويسر.

- قصتي معها طويلة، تمتد إلى خمس سنوات هي مدة دراستنا
في الكلية.

- هي تكرهني لأسباب عقائدية كوني شيوعي ملحد كما
تصمني، وأنا فرح ومسرور جداً بهذه الكراهية، أما أنت فلماذا؟..

- كان مساعد رئيس الجامعة الدكتور حازم شريف وهو قيادي
في حزب النظام السابق، وخلال الغزو منح رتبة عقيد وقتي في
جيش القدس وقاد فوجاً من الطلاب المتطوعين. عندما كنا في
السنة الاولى، تعرفت على إبنته زميلتنا ندى التي كانت معي في
نفس الصف. حاولت راقية أن تسبقها للحصول على موقع في
قلبي، ولكن ندى كانت أسرع.

- حقا ان ندى تستحق الإعجاب والتقدير فأنا على ثقة انها
أفضل بكثير من هذه المعزى التي تسمونها النمرة، لا بل لا مجال
للمقارنة بينهما اساسا.

- فعلا .. هذا هو الواقع فأين هذه المعزى من تلك الغزاة.
دخلت ندى قلبي بسهولة وإستقرت فيه بيسر. لذا شعرت راقية
انها خسرت الجولة ضد ابنة أخ قاتل أبيها، فبدأت تكرهني..
حاولت أن تستفيد من عمها الذي كان أبوها قبل الاحتلال، ولكن
أمي زارت العميد وأفهمته بالسلوكية الشائنة للبنت ولعمها، وبذا
خفّت المضايقات، ومن ثم أجبرتها على السكوت تماما بعد أن
أرسلت لها تهديدا بابلاغ مساعد رئيس الجامعة بالأمر، ولم أكن
حينها أعرف بحقيقة اعدام ابيها على يد أخ الدكتور حازم فنحن
نعرف ان أباهما هو طاهر مدير مكتب رئيس الجامعة.

- وهل وصلتكم معلومات عن ندى وعن أبيها؟

- عندما إنتهت المعركة بالاحتلال إختفى الدكتور حازم ولم
تعد ندى إلى قاعة الدرس، فقد انتقلوا سرّاً إلى بغداد، وخسرت
ندى مستقبلها بتركها الدراسة، تصور ان راقية وعمها يقررون
مستقبل ندى. فالعم متعدد الأدوار منع الجامعة من تزويدها
بوثيقة نقل إلى جامعة بغداد. أما أبوها الذي كان الكثير من الطلاب
وغيرهم يبحثون عنه ليصفّوا معه حساباتهم الشخصية، فإنه إنظم
إلى الفصائل المسلحة ضد الاميركان، ومات في معركة الفلوجة
متأثرا بجراحه، حيث دفن في ملعب المدينة.

- وهل إستمرت العلاقة بينك وبين ندى بعد ذلك؟

- بالتأكيد وكنا وما نزال نتواصل بالتلفون.

- بنية الزواج؟

- بلا شك.

- إذن سوف لن يختلف مصيرك عن مصير أبيك، فموتك سيكون على يد النمرة السوداء.

لاحظ الزملاء أن راقية تعيش حالة من الهياج والإنفعال الشديد منذ الصباح، وخمنوا أن عودة عمار إلى الدوام كانت السبب الأكبر في الحالة. فهم يعرفون جيداً أنها لا تطيق رؤيته، لقد كانت صريحة وواضحة عندما قالت:

- يحيا العدل، اليس سلمان نوري ضابطاً من أزلام النظام البائد ممن كانوا يسمون الناس سوء العذاب؟، ألم يكن يقود أبناء البائسات إلى المحارق في حروب لها بداية وليس لها نهاية ليحصل على نوط شجاعة؟ لقد لقي مصيره العادل والى جهنم وبئس المصير.

تصدى لها سمير وهو طالب مثقف لا ينتمي إلى أي اتجاه سياسي أو ديني:

- زميلة راقية أنت بعيدة كل البعد عن العدل، فالعم سلمان من متضرري النظام إذ سجن وطرد من الجيش، إن مثل هذا الرجل المضحي ليس من أزلام النظام، ثم إنه خدم الوطن والثقافة بإبداع نتعشش اليه جميعاً ولا أحد ينكر جهوده الثقافية إلا جاحد.

- لو لم يكن من أزلام النظام ماكان ابنه عمار ليُقبل في هذه الكلية، فقد حصل على عشر درجات على المعدل أهله للقبول كان نصفها لأن اباه من حملة الأنواط والنصف الآخر لأن أمه أستاذة، وإلا لكان قد تخرج منذ العام الماضي معلساً أو موظفاً بسيطاً في إحدى دوائر الطابو، لذا ساطالب بطرده من الكلية.

- المُعلّم الذي تسميه معلساً هو صاحب أشرف مهنة على مدى التاريخ، أما أن يكون القياس هو الإضافة على المعدل فأنت حصلت على عشر درجات كونك عضوة مكتب سكرتارية، وخمس درجات بسبب كون أبيك الذي تبين انه عمك من أصدقاء الرئيس سابقاً.. فمن هو أحق بالطرد هو أم أنت؟

- أنت وقح ولست مؤدباً وتحتاج إلى من يلقنك درساً في التربية وحسن السلوك وسوف أضمن لك ذلك.

- إذا أنت تهددينني.

عندما بلغا هذا الحد من الحوار الساخن دخل الأستاذ المهذب اللطيف الدكتور عبد السميع الذي أحس بوجود مشاحنة من خلال إرتفاع صوت راقية وسماعه من مسافة بعيدة، فأراد أن يلطف الجو:

- راقية.. يبدو ان مقعدك في الوزارة الجديدة قد صودر لصالح أحد الرجال فأنت اليوم مُستفزة.. سأضمن لك الحصول على منصب نائب رئيس الوزراء فهم يبحثون عن عنصر نسوي ليبلغ العدد سبع وزيرات، فلا داعي للعصبية.

- دكتور .. هذا المنصب مخصص للتركمان، فربما تحولت الزميلة إلى تلك القومية، وهذا ليس صعباً فهي قبل سنتين كانت راقية طاهر واليوم راقية ظاهر فهي تستحق المنصب بجدارة، كونها تستطيع اكتساب اللون الملائم.

قال سليم جابر المعروف ببساطته وطيبة قلبه متندراً مع الأستاذ الذي يحبه الجميع.

- هذه ليست كلية يظهر اننا الآن في سوق الهرج فالتهريج الممل يصك الاذان..

قالت راقية.

- راقية.. لا يجوز ان تتكلمي بهذا الاسلوب فأنا أستاذك وأنا من بدأ بالمزاح وكنت أهدف إلى تلطيف الجو، أما ان نتحول إلى مهرجين فانت تتصرفين بشكل غير مقبول.

- دكتور: انك تسببت في كل هذا الموقف وأطالبك باعتذار.

شعر الاستاذ الذي يحبه الطلاب بالحرص الشديد. ساد السكون القاعة، ووقف الأستاذ يتطلع إلى وجه طالته، ومعالم وجهه لا تنبئ عما في داخله.

- دكتور أكرر مطالبتني بالإعتذار..أما سليم الفضولي فإن لي معه شأن آخر، انه أساء إلى روح والدي الشهيد كذلك إلى عمي المجاهد المحترم.

فما كان من الدكتور عبد السميع، غير أن يقول لها بصوت منخفض آسف.. أعتذر.. وأعاد كتبه التي أخرجها تواء من الحقيقة إلى حيث كانت وأغلق حقيته وحملها، وغادر القاعة. لم يتحرك أحد من الطلاب وظل الجميع في أماكنهم بضمنهم فريق راقية. ولكن شاكرًا مال إلى جانب عمار مؤثرًا بأصابع كفيه بالغلق والفتح مرات متكررة، ثم همس بإذنه شيئًا ما:

- عاجل..عاجل..وردنا الآن ماييلي: علمت واش من مصادر موثوقة ان النمرة السوداء تعاني من حالة شد عصبي قبل موعد دورتها الشهرية بيوم في كل شهر، وهي اليوم تعاني من حالة شد عصبي عنيف يعني إنها ستحيض غدًا.

تناول سعيد الذي التقط الخبر العاجل ورقة وقطعها أربعة أقسام، وكتب الخبر على كل قسم منها وباشر بتوزيعه على مقاعد الطلاب، علم بالخبر الذي كانت مصدره زميلتهم علياء خطيبة شاكر، كل طلاب الصف، وتبلغ به جميع الطلاب عدا راقية وفريقها الذين يجلسون في المقدمة، فهم يجهلون ما يجري خلفهم.

ظل الصف هادئاً بعد إنصراف الأستاذ لأكثر من خمس دقائق، ثم بدأ الهمس يتصاعد، وعملت الأوراق التي حملت الخبر الذي أطلقه شاكر على إشاعة جو من الحركة وتصاعد مستوى الهمس أكثر، قررت راقية مغادرة القاعة، فخرجت معها سلمى، وبعد مدة قصيرة خرج زميلاها الاخران، الامر الذي وظّفه شاكر:

- سيعقدون اجتماعاً استثنائياً بعيداً عن الأعين الفضولية.

جاء معاون العميد لشؤون الطلبة ليستقضي الأمر من الطلاب:

- لقد اخبرني أستاذكم الدكتور عبد السميع بما جرى واني لشديد الإستغراب أن تقع مشكلة بين الطلاب والدكتور عبد السميع الذي كما تعلمون هو صديق الجميع، فهل تستطيع يا كمال ان تشرح لي ما جرى؟..

شعر كمال بالحرَج، فهو يخاف من راقية وفريقها، ولكن لا بد له من الاجابة، وكما رأى:

- كانت الزميلة راقية قد دخلت في نقاش حاسم يخص الواقع الراهن مع بعض الزملاء، وكان صوتها مرتفعاً، فحاول الدكتور عبد السميع الذي دخل على أعقاب تلك المناقشة تلطيف الجو، الا أن الزميلة كانت مازال منفعة فطالبت الأستاذ بالإعتذار، فقدم إعتذاره وخرج.

- وأين زميلتكم؟

- هي ومجموعة من الزملاء من أصدقائها خرجوا من الصف ولعلمهم في الحديقة أو في النادي.

- هذا يكفي لإعطاء العميد فكرة عما حدث وسأطالب بعقد جلسة لمجلس الكلية للنظر في هذا الامر، هذا تصرف لا يمكن السكوت عليه لقد كثرت مشاكل هذه الطالبة مع زملائها وأساتذتها ولا بد من إيقافها عند حدها. شكرا.

وخرج وسط إبتهاج الطلاب الذين تسميهم راقية بالفاسقين المردة الذين لا بد من اعادتهم إلى صف الايمان حتى ولو تطلب ذلك اللجوء إلى القوة.. فَسّر شاكر ذلك بأنه كما قال لزملائه وهو ينشر الخبر بينهم:

- اللجوء الى القوة يعني التصفية الجسدية. هل تتذكرون زميلنا عباس لازم الذي كان لا يتورع عن الصدام مع عصابة الاربعة؟ انقطع عن الدوام، وعندما حضر بعض أهله إلى الكلية للاستفسار

عنه تبين انه لم يرجع إلى البيت. وما زال مصيره مجهولاً. اليس هذا تطبيق عملي لإعادتهم الى صف الإيمان حتى ولو بالقوة.

- ننتظر نتائج التحقيقات قبل أن نحكم..فهذا ظن وإن بعض الظن إثم..

قالت له زميلته زهراء.



رأت ثلة من الطلاب أن يتمتعوا باستراحة يمنحونها لأنفسهم خارج القاعة، وسرعان ما تبعهم من بقي في القاعة، لذا كان الجميع يتسكعون في الحديقة الرئيسة قرب النادي، بينما دخل بعضهم النادي، ومنهم الجماعة التي يرتاح لها عمار ويقضي الإستراحة معهم ساهر وشاكر وعلياء وربما شاركهم الشائبي عدنان ونضال.

بأنقضاء الإستراحة ودخول الطلاب الصف، فوجئوا بعبارة مكتوبة على اللوح بخط ركيك ربما لأنها خطت باليد اليسرى تقول(اهنئ الزميلات والزملاء الاعزاء لمناسبة اليوم الوطني الذي سيصادف غداً 2005 / 4 / 9 المتمثل بطمث الزميلة راقية)..أثارت العبارة اشمئزاز اغلب الطلاب الذين ابدوا مخاوفهم من احتمال حصول مشكلة تقودهم جميعا الى التحقيق، فقام أحد افراد هذا الاتجاه ليمسح العبارة، الا أن دخول راقية وجماعتها القاعة حال

دون انجازه ما عزم عليه خوفاً من اتهامه بكتابتها. كان عمار الطالب الوحيد الذي لفت انتباهه التاريخ 4 / 9 فهمس بإذن جاره رابطاً بين ما كتب على اللوحة وما حصل في هذا اليوم قبل سنتين.

ما أن قرأت راقية العبارة حتى همّت بمحوها، ولكن زميلتها سلمى سبقتها فمحت العبارة، وقبل أن تنته، حضر أستاذ الحصة التالية وقد ساد القاعة جو من الهدوء الشديد والانضباط العالي والجدية الطاغية فالجو مشحون بالتوتر أساساً، زاده شحنة تجهم وجه الأستاذ الذي جاء مزوداً بتعليمات صارمة على ما يبدو على الرغم من عدم علمه بما حصل قبل ثوانٍ من دخوله القاعة.

وبعد أن مضى نصف المحاضرة وكان الطلاب منهمكين بالإستفسار عن الأمور التي صعب عليهم فهمها خلال مدة المذاكرة والتهيئة للامتحان، طرق القهواتي أبو جاسم باب القاعة وكان يحمل رزمة سوداء بحجم الساندويش. إنتهب الجميع إلى الطارق وتوجه إليه الأستاذ:

- تفضل حاج.

- أشكرك أستاذ هذه هدية كلفني أحد الطلاب بإيصالها إلي
الست راقية لمناسبة عيد ميلادها.

- أنا؟.. من قال لك إنني أحتفل بعيد ميلادي؟.

- ما على الرسول الا البلاغ المبين يا بنتي .

- ماهي الهدية، أرجو أن لا تكون عبوة ناسفة..

قال الاستاذ المعروف بحزمه، محاولاً تبديد شحنة التوتر التي سادت القاعة. وبينما غادر القهواتي القاعة شرعت راقية بتمزيق الغلاف البلاستيكي الأسود الذي هو قطعة كبيرة من كيس قمامة. كان الأستاذ مهتماً بمعرفة طبيعة الهدية، وشاركه الجميع يراقبون منتظرين.. صرخت راقية ورمت الهدية بحركة لا إرادية صوب المنصة التي يقف خلفها الأستاذ متوجهة بسرعة نحو الباب وهي تنظر إلى معلق على قفازيها، وقبل أن تصل الباب تقيأت، ففرصت لتطرد ما تهيج داخل أحشائها، خلعت القفازين الملطخين بالدم وقذفتهم نحو الحديقة، وبان سمار كفيها، نظر الأستاذ إلى الهدية المقززة الملقاة على أرض القاعة، كانت محرمة نسائية ملطخة بالدم.. سارعت سلمى إلى سلة القمامة لتستخرج منها القطع الورقية الكبيرة لتحمل بها المحرمة والقت بها في السلة وحملتها بما تحتوي نحو الخارج، غادر الأستاذ والإنفعال باد على وجهه وحركاته.

عادت سلمى ممسكة بماسحة بلاط وسطلاً فيه ماء، وغسلت

باب القاعة وأزاحت ما لطّخ أرضها...

- يستمتعون بخمرتهم ليلاً ويقززوننا بقيئهم نهاراً..

علق أحد طلاب صف مجاور، دون ان يعرف هوية المتقيء.

بدأ الطلاب يتسللون نحو بيوتهم لواذاً، فثمة بواذر مشكلة خطيرة تلوح في الأفق، والذكي من تفلّت. حملت راقية رزمة كتبها ومثلها فعلت زميلتها، فلحقهما معين شلال، وكذلك فعل الشنائي علياء وشاكر، اللذان وقفا خارج السياج الرئيس للكلية ينتظران الباص، تقدمت راقية صوب علياء جارتها في السكن، وقالت لها:

- ألم تشعري بالخجل وأنت تشرين هذا الغسيل القذر بين الطلاب؟

- أي غسيل ماذا تقصدين؟..

أجابتها علياء وهي تتراجع إلى الخلف تحسباً لهجوم زميلتها.

- أيتها الملحدة الفاسقة..من غيرك يعرف بموضوع الدورة والأمور السخيفة التي كتبت على اللوحة وما وردني في الرزمة التي لا أشك انك ربت أمرها..

زادت سرعة تقدم راقية التي أغراها تراجع علياء السريع، كان شاكر ومعين يراقبان المشهد من مكانين متباعدين، ومع زيادة سرعة تراجع علياء، تهيأت راقية للهجوم.توترت الأعصاب، رمت النمرة

كراساتها..تطايرت الاوراق بعيداً زاد تراجع علياء، تقدمت النمرة
أسرع لتغتتم الفرصة، إصطدم كعب حذاء علياء بحافة الرصيف
فسقطت إلى الخلف، هيات مرفقيها لتلقي الارض، بينما سحبت
رجلها اليسرى لتضعها تحت مقعدها خشية أن يرتفع ساقاها نحو
الأعلى، إستقرت الرجل المتراجعة على الموضع الخطأ حيث آجرة
ملقاة على الرصيف، تهاوى الجسم ليستقر العجز فوق الساق التي
كانت الآجرة تنتظره، صرخت صرخة يتيمة، ركلتها النمرة بقدمها
في خاصرتها، تحفزت نضال للقفز إلى ساحة المعركة، أمسكت بها
سلمى لتعيق تقدمها، لفت منظرها المتوثب أنظار الآخرين، تساءل
البعض: لأي فريق تنتمي الزميلة نضال؟.

- كانت معركة عامة إختلط فيها الاسلامي بالشيوعي بالبعثي..
ألم يكن قبول الزميلة نضال عن طرق مكتب سكرتارية الإتحاد
الوطني؟..

قال زميل طالما وقف على الحياد.

قلة من الزملاء شاركوا عماراً معرفة الدوافع الإنتقامية لزميلتهم
نضال فطالما تلقت سيولا من الإهانات من راقية التي ترى انها
سرق عدنان منها.

انبثق الدم من أسفل الجسد المتهالك وإمتقع الوجه الجميل الذي ما فتى الزملاء يتطلعون اليه إعجاباً فصار أصفراً كالكرم انطلقت أنات خفيفة من كوم اللحم المعفر بالتراب الذي مازال يتلقى الركلات، لم يستطع شاكر فعل شئ للحبيبة التي تتعرض للإهانة والألم البدني، فسوف يرتكب خطأ يوقعه في إشكال العرف العشائري وتبعاته.. يبدو أن صرختها الوحيدة لم تكن بسبب الركلات، فهي صرخة مؤثرة جداً..

بالمقابل لم يخف معين فرحه، إذ كان يسند الهجوم بمزيد من التشجيع الذي تحول إلى شحنات معنوية عالية تغمر زميلته راقية.. لقد فرض معين رقابة شديدة على شاكر لمنعه من التقدم وإسناد ندى. رمت نضال رزمة كتبها وقطعة الموطا التي بيدها وإنقضت كالصقر على راقية التي مازالت تمارس ركل البدن المدمى. صرخ طالب لم يعرفه الواقفون في ساحة المعركة:

- لقد كسرت ساقها وانخفض ضغط دمها، ارفعوا ساقها إلى الأعلى.. انا زميلكم فهد طالب في كلية الطب.

أدرك شاكر سر الصرخة غير العادية التي أطلقتها عليها، فهي تتألم من الكسر وليس من الركلات. ساهم الطالب الغريب في

رفع ساقى علياء، فإنساحت التنورة نحو الخصر وبان بياض
الفخذين الذين إصطبغ أحدهما بالدم المتدفق من جرح سببه كسر
مضاعف، إستقر الدم عند ملتقى الفخذين.

لم يكن بمقدور معين إعطاء إنذار مبكر، فقد بلغت نضال مكان
وقوف راقية وجذبتها بعنف وسرعة من فوطتها التي تمزقت، ظهر
الشعر الذي كان الطلاب يراهنون على شكله ولونه، أسود متجعد.
- لاحظوا شعرها الذي كانت تخفيه بالفوطة، بدا وكأنه شعر
معزى ملوث بالتراب.

قال شاكر.. مالت راقية صوب غريمته الجديدة التي ضربتها
بركبتها اليمنى في أسفل بطنها فبان لباسها الاصفر وهي ترفع
فخذها اثناء الركلة، لم يعلق أحد فالجميع أظهروا فرحهم،
كررت الركلة بالركبة مرة أخرى فحطمت أنف راقية، وسرعان
ما شوهد رعاف شديد ساح من الأنف المضروب حتى صبغ
حافة الرصيف.

- لقد كان عدنان موفقاً في اختياره على ما يبدو، فنضال رياضية
مثله تجيد القتال الأعزل.
قال عمار لمن حوله.

تكوّمت راقية على الأرض والركلات تتوالى على أنحاء
جسدها وسط فرح الزملاء الذين وصف أحدهم راقية
بقوله: ديسـت كأى حشرة حقيرة. همس عمار باذن زميل له من
كلية اخرى كان يقف قربـه:

- ظهر انها نمرة من ورق. لم يعد يليق بها لقب النمرة السوداء.
كان معين يهم بالهجوم على الفتاة التي غيرت مجرى الحدث،
حدّره عدنان من أنه إذا تعرض لنضال سيقتله حالاً، فتراجع يكظم
غيظه. حضرت سلمى التي غابت عن المشهد لدقائق، لتفاجأ
بسقوط راقية وتعرضها للركل والدوس بالحذاء.

هاجمت سلمى نضال من الخلف فضربتـها على عاتقها، التفتت
نحوها نضال وإكتفت بلكمها على وجهها فخلطت المخاط بالدم.
ثم انسحبت سلمى من المعركة. خلع شاكر قميصه الأبيض ولف
به فخذي الحبيبة المرفوعين عالياً ليستر بياضهما الجذاب لنظر
المتفرجين، سرعان ما إصطبغ القميص الأبيض بلون الدم، ولم
يحل ذلك دون ان تسري عدوى خلع القمصان إلى فهد طالب
الطب المتبرع بجهدـه وعلمـه، فلم ييـخل بقميصه، فلف به الجرح
النازف، تجرد كمال عن قميصه فسلمه إلى فهد ليحوـله الى ضماد.

فسر أحد الطلاب لمجموعة من زملائه هذا التعاضد بين سلمى وراقية بقوله:

- إنهما سحاقيتان وقد ضبطتهما إحدى الزميلات متلبستين بالجرم المشهود خلال قيامهما ببعض الأعمال المقززة في دورة المياه، فتظاهرت سلمى انها تحاول إخراج حشرة من بين نهدي راقية.

- القذرتان المذمومتان ألا تكفيهما خلواتهما حتى يمارسا شذوذهما علنا؟

قال الهامس الثاني متذمراً ممتعضاً مما يسمع: الا رحمة الله على هذا الدين الذي صار ستاراً لكل الساقطين والمنافقين.

عند هذا الحد من انتصار نضال الذي حمده أغلب الزملاء الواقفين من خلال رفع أياديهم بعلامات الإعجاب، قرر عدنان أن يمارس رجولته ويستخدم قوته، تقدم نحو نضال التي بدت متعبة، فسحبها من زندها الأبيض الممتلئ حاولت التمتع بعض الشيء ولكنها أضافت خلال ذلك التمتع الذي لم يخل من عنف ثلاث ركلات ثم داست برجلها على رأس راقية ومسحت جبينها بحذائها كما يفعل بطل أحد افلام العنف الامريكية.. نهضت راقية

تبحث عن فوطتها، عثرت عليها بين أرجل الشامتين، كانت غير صالحة للبس، نفضت التراب عنها ووضعتها فوق رأسها بشكل أثار استهزاء وسخرية الزملاء الذين تنبئ سخريتهم وهزؤهم انهم لم يعودوا يخشون سطوة الفريق المتسلط.

سحب معين زميلتيه والدم ينزف من أنفيهما.. وكان فيصل رابع الفريق قد التحق بالمشهد متأخراً، أوقف معين سيارة أجرة، أركب بها زميلتيه وطلب من فيصل مرافقتهم، بينما بقي يراقب الموقف، ليسجل التعليقات التي قد يطلقها الزملاء ضد زميلتيه.

حرك أحد الزملاء سيارته وأوقفها قرب جسد علياء فتجمهر الباقيون حوله ورفعوها على مهل، كان فهد الذي يوجه باقي الزملاء ويعلمهم كيفية رفع الجسد لكي لا يضاعفوا الألم، الذي كان ينوء بالثقل الأكبر منه، بينما راح شاكر يمسك قميصه الذي ستر به فخذيها، إنطلقت السيارة نحو مستشفى الحلة التعليمي تطلق صوت منبه مستمر.



قص عمار ما حدث على والدته التي حكمت على ما جرى بأنه:
- تخريب متعمد للمستوى العلمي في واحدة من أهم الكليات العلمية.

- كانت راقية تشك في ان علياء هي التي أشاعت نبأ إصابتها
باضطرابات نفسية وشد عصبي عشية طمئتها وربما هي التي أرسلت
المحرمة المملوطة بالدم.. أما نضال فيعتقد ان تدخلها كان كرها
للنمرة وانتقاماً لمواقف سابقة وليس حباً بعلياء. بعض الزملاء قالوا
ان ما علق على المحرمة ربما يكون صبغة حمراء وليس دماً.

- انه إسفاف وسقوط أخلاقي ..

وبعد ان التقطت أنفاسها واصلت :لقد كنا مجتمعاً هادئاً هائئاً
على الرغم من المشاكل التي عانينا منها، الا اننا لم نعرف هذه
المشاكل التي يبدو انها صنعت خصيصاً لمجتمعنا، الا بعد ان
وصل هؤلاء الطارئون الى مواقع اتخاذ القرار في كل المستويات.

ثم وجهت سؤالاً لعمار:

- اليس كل ما حصل في كليتكم هذا اليوم حصيلة المرحلة التي
تسودها العداوات الفكرية والنزاعات المصلحية عند المستويات
العليا، فتجسد بعراك بين الصغار الذين ينفذون أرادات قاداتهم
عملاء الأجانب؟.

- خَطْفٌ والدي وتغييبه هو بعض افرازات هذه المرحلة. قال
لنا الدكتور رافع، وقد كنا نحن مجموعة من الطلاب نزوره في

بيته أثر اصابته في حادث اطلاق نار عشوائي قرب بيته: ان كل
مخابرات الدنيا وجدت لها مجالا خصباً للعمل في العراق.

غاب طالبان عن محاضرات اليوم، هما علياء التي ترقد
في المستشفى منذ أمس، وشاكر الذي لم يعد إلى مقعده، اتفق
الجميع باستثناء فريق راقية التي جاءت وعلى أنفها ضماد كبير،
على التوجه إلى المستشفى بعد الظهر بصورة جماعية.. وما أن
توقف الباص بباب المستشفى حتى شاهدوا جمهوراً كبيراً يركض
باتجاه نقطة محددة على الرصيف المقابل للمستشفى. هرع أسعد
نحو نقطة التمرکز الجماهيرية وتدافع بالمناكب مع الواقفين
ليعرف محتويات تلك النقطة واذا به يصرخ والدموع تتقاذف من
عينيه عائداً نحو زملائه:

- ها.. أسعد.. خير ان شاء الله..

صاح أحد الطلاب.

- من أين يأتي الخير؟.. لقد قتلوا شاكر.

- مرّت سيارة بي أم دبل يو تحمل علامة تسجيل وقتية، نقل
شخصين ملثمين، أطلق الشخص الجالس إلى جوار السائق

طلقتين من مسدسه أصابت الاولى رأس صاحبكم، والاخرى كتفه اليسر.

هكذا سرد أحد شهود العيان تفاصيل الحادث لزملاء المغدور. إنشغل الطلاب بالأمر وأبلغوا إدارة المستشفى بينما شرع ضابط شرطة بفتح محضر، ضبطت إفادة صاحب متجر بيع الزهور الإصطناعية وعلب الشكولاته، وإثنين من المتبضعين، نقلت الجثة إلى المستشفى، فيما قرر الطلاب الغاء الزيارة لإفتقارهم الى الجرأة الكافية لإبلاغ زميلتهم علياء بالحادث خصوصاً وإنهم غير قادرين على إخفاء مشاعرهم بمقتل شاكر..

عاد عمار المنتظر خروج أمه من محاضرتها الى النادي حيث كان ساهر الذي تخلف عن مرافقة زملائه إلى المستشفى جالساً يتناول البسكت مع الشاي، سأله عمار بإهتمام بالغ:

- هل شاهدت إخوان الريف؟
- انهم في المكتبة.
- كلهم؟
- نعم.. ماذا جرى؟ اهتمامك بهم غريب.
- قتل شاكر أمام باب المستشفى.

- لا...صرخ ساهر بصوت عال وضرب بقبضته المنضدة بشدة فانقلب قذح الشاي ولم يتمكن عمار مسكه فهو لى لىتحطم على البلاط، لفتت تصرفاته وصرخته وكسر القدح، نظر الطلاب الجالسين.الح ساهر على عمار لىخبره بمن يظنه القاتل، تذكر مشكلة الأمس واتفقا من غير تصرىح على هوىة القتلة.

- ألا ترى ان الكلية منذ العام الماضى وهى تتعرض إلى نزىف قاتل؟فهل سىكون شاكر آخر قطرة فى هذا النزىف؟

- لىست الكلية وحدها تنزف..العراق من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه ينزف وكأن لىس منا رجل رشىد.

- أحسنت يذكرنى استشهادك الكرىم بجواب بالمستوى ذاته.. هو:ان هذا لىشئ ىراد.

- ىقول الشاعر موفىق محمد:

من رأى منكم عراقىا فلىقتله بىده

فان لم ىستطع فبمدفع هاون

ومن لم ىستطع فبسىارة مفخخة

رواه بعض أصحاب الفتاوى

وهو يقول:

من يقتل عراقيا خيرا يره

ومن لم يقتل عراقيا شرا يره

إنّبه عمار إلى ان القهواتي، الذي رآه أساس المشاكل التي بدأت منذ أمس، لم يكن موجودا خلف أباريقه وأقداحه.. قال لساھر: انه غياب المفاجئ لم نعتده.. فنهض يستفسر من الصبي الذي يبيع الشاي بدلاً عنه:

- اين العم أبو جاسم؟

- استدعاه السيد العميد منذ ساعتين ولم يرجع لحد الان.

وعقب دقائق دخل أبو جاسم النادي منزعجاً مضطرباً عبوساً.

- عزّل يا ولد.. اللعنة على الكليات وعلى من يشتغل فيها..

أصدر أوامره القاطعة للصبي بإطفاء الطباخ وجمع الأقداح وإطفاء الأضواء، فأسرع نحوه عمار:

- خيراً ان شاء الله عم أبو جاسم؟

- وهل ظل أحد من أهل الخير حتى ترجو خيراً؟ لقد مات الخير وأهل الخير.

- من مات اليوم؟

- منذ الصباح وهم يحققون معي..من أعطاك اللفة السوداء التي سلمتها إلى راقية؟ ما شكله؟ من أين جاء؟ أين ذهب؟ ماذا أكل؟ ماذا شرب؟ أنا رجل بسيط أركض وراء من يعطيني درهما، كيف لي ان أميزه من بين آلاف الطلاب؟

رأى ساهر الفرصة ملائمة فليطرق على الحديد الساخن ولتحترق كل الاوراق:

- عم أبا جاسم هل تعلم ان راقية أم المشكلة هي بنت طاهر عبد الواحد مدير العلاقات العامة في الجامعة؟

جحدت عينا الشيخ وفتح فاه لتبرز آثار أسنان متباعدة..إمتزج الخوف بالغضب بالإحتقار، وظل يتمعن بوجه ساهر يبحث عن كلمات مناسبة ولكنه ظل صامتاً، ليس لأن السكوت أبلغ ولكن المفاجأة عقدت لسانه، والتفت صوب عمار مكتفياً بالنظر المشوب بالدهشة.

- تماماً مثلما قال ساهر فهي ابنة طاهر التي أصبحت في العهد الجديد ابنة الشهيد ظاهر.

- ابنة الزنا..كم لاقيت من عنت وجور من عمها الذي كان رفيقا، فقد جرجرني مرتين ليَجبرني على التطوع في جيش

القدس؟ فهل كتب عليّ البقاء تحت سقف مشاكل هذه العائلة الساقطة منذ كان أبوها الذي طالما وشى بي لرئيس عرفاء السرية قبل أن يهرب من الجيش ويعدم ويذهب إلى جهنم وبئس المصير وما لاقيته من عمها المسؤول الحزبي. عموماً أفضل مغادرة الكلية قبل أن يرتبوا لي مأزقاً لا أستطيع الخلاص منه.

- وهل تظن انك ستنجو منهم؟..

قال ساهر طمعاً في مزيد من التصريحات النارية وبمزيد من الاستفزاز، فالرجل لا تبدو عليه سيماء وحكمة الشيوخ مما يسهل سحب الكثير من المعلومات منه.. كما همس ساهر في إذن عمار. ثم حول الهمس الى كلام مسموع إلا أنه مموه:

- ربما هو هكذا بسبب طبيعة التحقيق الذي تعرض له أو بسبب المفاجأة التي لم يكن يتوقعها، فإبنة السفاح هي التي تقرر مصيره، رضاها يسعده وغضبها يشقيه.

- دنيا دنيئة تجعل إبنة علاهن التي كانت تفرش نفسها ليرتقيها من يدفع ديناراً.. تتحكم في مصائر الناس، هي جارتني وأنا أعرف الناس بها.

- لقد نجحت إذ بدأ الرجل الكبير يكشف ما عنده من خزين عفن..

همس عمار بإذن ساهر.

- بشرفك ياعم أبا جاسم هل يحتمل أن تكون راقية من صلبك
مثلاً؟

سأله ساهر بخبائثه المعهودة.

- ولم لا فقد انفقت كثيراً من المال والجهد على معاشرة علاهن
وقت لم أكن اعرف الصلاة، كنت أتسلل إليها خلال إجازتي التي
كنت أحرص على أن تكون في الأيام التي كان يقضيها زوجها في
الجبهة، تحايلت من أجل أن لا نتمتع بالاجازة سوية.

- ألم اقل لك أنك ورطته ليتعمق في كشف الحقائق؟..

قال عمار لساهر هامساً ثم وجه كلامه صوب أبي جاسم:

- صار ممكناً معرفة الحقيقة بواسطة فحص معين فماذا تقول
لو أثبت الفحص أنها من صلبك؟

- تريد أن يقتلني هذا السافل المتلون طاهر الذي يميل مع
الريح؟ العياذ بالله نستجير بالله منه ومن شره.

ليلة الصلب

نظّف سلمان الفانوس وتأكد من إملائه بالنفط فهو يحتاج الى كل ساعات الليل للكتابة، فساتع إنقطاع التيار الكهربائي طويلة. شعر انه أنجز مهمته الاخطر، إذ أتم كتابة كل ما حصل له في الأيام السبعة التي تلت إخطافه على شكل مذكرات مختزلة، إمتدت تلك المذكرات المكتوبة بالكردية وبقلم الرصاص وبخط باهت على مدى خمسة عشر صفحة من صفحات سورة البقرة، كان يكتب على الصفحات الخلفية فقط وبين أسطر السورة، سيضع بين أيادي أسرته كل المعلومات.. وسيسهل وصول المعنيين الى محبسه عندما يعرفون أسرته.

جهّز مستلزمات الكتابة، إستحضر الآيات القرآنية التي تتطرق إلى عقاب قوم لوط، واختار واحدة هي الأقرب إلى هدف السيناريو ليضعها اسفل العنوان وعلى جهة اليسار كما كان يفعل عند كتابة أوراق الخدمة. سيعمل بواقعية وصدق، المهم ان عبد

الرحمن سيقنتع بما يكتبه، ثم إنه يريد أن ينفذ السيناريو الذي بباله فهو بلد عدو دمر وطنه.

وتراجع ..

- ليس كل من في أميركا مجرم وعدو ويستحق الموت بهذه الطريقة الشنيعة.

إنه يتمزق ويعاني، ولكنه سيكتب على أمل أن لا يجد المنفذون فرصة لتطبيق كل ماسيكتبه، ثم هو يأمل في أن تسعى زوجته إلى تحريره بعد أن يصلها المصحف وتستوعب فحوى الرسالة المشفرة. الأوراق على المنضدة والقلم باليد والرأس يستند على الكف اليسرى، وهو ما فتى ينتظر الأفكار التي تصلح مفتاحا لولوج أمر خطير كهذا.. فجأة ظهرت أمامه فأرة صغيرة تنكئ على مقعدها رافعة رأسها نحوه..

- اترك تراقبيني أم تستجديني؟ فغرفتي فقيرة بائسة ليس فيها ما يصلح طعاماً حتى لفأرة، فالحصران التي كانت تصنع من خوص النخيل والتي كانت تقات عليها فئران بيوت الفقراء، صارت تصنع من النايلون الذي لا تجيد اسنانك ولا معدتك التعامل معه.. ربما حصلت على عشائك خارج الغرفة، وأتيت الى هنا لتنامي،

فعلام الإستئذان فأنت صاحبة الدار بلا شك وأنا الضيف..لالا..
أراك تسأليني متى أنتهي من عملي السخيف هذا وأغادر لأجعلك
تضعين صغارك بحرية وأمان؟..ألا يمكن أن تكون زيارتك إلى
هذه الغرفة هي الأولى؟..

أطلق ضحكت ربما سمعها الحرس، فهكذا تستدرجته فأرة
مرتعشة إلى البير كامو وطاعونه الرهيب وما كان قد قرأه عن هذا
الوباء الفتاك عبر عصور التاريخ الغابرة، فهو مرض القى به العلم
إلى كوكب بعيد ليفتك باللاشى...ثم استدرك :

- الغابرة؟..قلت الغابرة؟كلا ان الطاعون وزملاءه من الاوبئة التي
يفترض انها صارت تاريخاً،.. الطاعون..الطاعون..انه قادم اذاً..

وكمن أفاق من غفوة..هل يُعقل انه يكتب سيناريو ليدمر أكبر
امبراطورية عرفها التاريخ، وتسرقه من عمله وافكاره فأرة حقيرة؟.
مفارقة أخرى.فلقد تمخض الجبل فولد فأرة؟ياللعار سيلد رعباً
نوويًا. وبحركة هادئة وقورة كوقار طفل عابث في فناء منزل هادئ
رمى الفأرة الطفيلية بالمبراة..وقبل أن تصلها المبراة نطت وهرولت
فتسللت من تحت الباب هاربة إلى فضاء الحرية..إنه يحسدها
ويتمنى لو انها عادت لتستصعبه إلى هذا الفضاء الواسع الرحب

خارج الغرفة الكثيفة..ثم أصغى لما في داخله من سخرية وعتب:مرة أخرى ياسلمان تشغلك فأرة وتلهيك عن عملك الخطير؟

خط العنوان في وسط أعلى الصفحة(سيناريو تفجير قنبلة نووية في سماء واشنطن)وتحتة والى اليسار الآية القرآنية(إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر)وتحتها عائدية تلك الاية:القمر:31.وشرع يفرغ ما تكدّس في دماغه ببداية سريعة إجتاز بها العتبة التي لا يبدو إنها من كزاز كما أخبر عنها عبد الرحمن، بل أسهل مما توقع وكانت على الشكل التالي:

من المقرر مغادرة سعود الفيصل وزير خارجية السعودية إلى نيويورك في شهر أيلول 2005 بهدف حضور جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة والقاء كلمة المملكة فيها..يقع في مبنى وزارة الخارجية حالياً رأس لتمثال من أصل تمثالين كانا قائمين في مدينة باميان الأفغانية منذ أكثر من ألفي سنة وقد دمرتهما قوات طالبان، إذ تمكن الملحق الثقافي السعودي السابق في كابول السيد عبد الله بن عبد الكريم وهو ذو اهتمامات تاريخية واثارية، من الإستحواذ على هذا الرأس وجلبه إلى المملكة سرّاً تحاشياً للمعارضة الشديدة التي سيبديها علماء الدين السعوديون

المتشددون والذين أيد أغلبهم نظام طالبان في تدمير الأثرين الضخمين باعتبارهما وثنين. كان الملحق المذكور يهدف إلى استثمار الرأس الحجري المتصدع لأغراض سياسية ودعائية تفيد المملكة وبالتالي تفيد الدين والأمة كما يعتقد.

لقد تمكن الملحق بعد أن نجح في إقناع السفير بأفكاره، من تسريب الرأس الحجري مغلفاً بصندوق ضخّم من الخشب ذي النوعية الجيدة صمم خصيصاً لإستيعابه وختمه بختم السفارة، وأرسله إلى المملكة على أساس انه بريد دبلوماسي، لم تكن حركة طالبان مهتمة بمعرفة هذا البريد الضخم والثقيل فالعلاقات بينها وبين السعودية علاقات متميزة، وان المملكة هي واحدة من ثلاث دول فقط ممثلة دبلوماسياً في كابول، لذا فقد كانت طالبان شديدة الإمتنان للسعودية التي لها أياد بيضاء على الحركة منذ كانت مجرد مجموعة من طلاب العلوم الدينية ولحين إستلام زعمائها السلطة.

كان عبد الله بن عبد الكريم يهدف من وراء جلب الرأس الحجري الضخم إلى المملكة تقديمه هدية إلى منظمة اليونسكو، بإعتباره البقية من التمثالين الهائلين اللذين حاولت اليونسكو

انقازهما ففشلت حسب إدعاء الملحق، والتي ساهمت المملكة بإنقازها..الا أن قوى نافذة في الوزارة ارتأت تقديم الرأس إلى معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو لما لهذا المعهد من دور في التنقيب في الدول العربية، وان تلك الهدية ستساعد على تليين عريكة المتشددين وخاصة من فريق الصقور المحافظين الجدد تجاه السعودية في أميركا، كون الأميركان منطوين على أنانية و نرجسية عالية تجعلهم يغيّرون آراءهم تجاه الطرف الآخر الذي يتملقهم أو يخصهم بأمر ما. في حين ان هذا الأمر الذي سيُخصّصون به من فرائد الإرث الحضاري الإنساني العظيم يفوق بحجمه النصب الأميركي المسمى ريتشموند ملايين المرات على الرغم من الخصوصية الوطنية الأميركية لذلك النصب، ويمكن إختلاق مناسبة تاريخية لهذا الإحتفال وتلك الهدية ولتكن المناسبة هي الذكرى التاسعة والثمانين لإصدار جيمس هنري بريستد مؤسس المعهد للطبعة الاولى لكتابه القيم عن حضارات الشرق.

ولما كان المدير الحالي للمعهد الشرقي صديقاً لسفير السعودية في واشنطن الأمير بندر بن سلطان وكذلك ابن عمه وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل فان حمل الرأس المذكور في طائرة الوزير الذاهب لحضور إجتماعات الجمعية العامة للأمم

المتحدة وتقديمه إلى المعهد في إحتفال يخصص للنخبة الثقافية والسياسية، يسعد النسق الاعلى الأميركي.

لذا ستسعى الإدارة الاميركية الى الترويج لهذا الحدث، ضمن جهودها المصلحية الرامية إلى تحسين صورة السعودية لدى الشعب الأمريكي، خصوصاً بعد الزيارة المتميزة التي قام بها الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد إلى أميركا بدعوة من رئيسها واستقبال الأخير له في مزرعته بولاية تكساس وهذا الإستقبال بحد ذاته شكل إمتياز لا تحظى به الا نخبة محدودة من الرؤساء الذين تكن لهم أميركا ودأً خاصاً. يُفَضَّل أن تدعى للإحتفال الذي سوف لن يتم المقترح وزيرتا الخارجية والترية الاميركيتين وعرّاب المحافظين الجدد المستشرق برنارد لويس وثلة من مفكري الجناح المحافظ.

قبل موعد رحلة الوزير إلى نيويورك بيومين يتم إجراء عملية تبديل في الصندوق الذي يُحفظ بداخله الرأس الحجري منذ كثر من خمس سنوات. فثمة صندوق مشابه لذلك الصندوق تماماً يحوي الرأس النووي يجلب إلى نقطة ما من الطريق المؤدي إلى المطار، وعندما يتوجه الصندوق القادم من مبنى الوزارة والحاوي

على رأس بوذا، يتم تبديله في تلك النقطة بالصندوق الذي يحوي الرأس النووي وتلصق عليه اللوحة النحاسية التي تحمل عبارات الإهداء الرقيقة مع الإشارة البيئة إلى أن المحتوى هو الرأس البوذي الرائع الذي سيكون آصرة قوية جديدة تمتن العلاقات بين الشعبين الاميركي والسعودي.يراعى وجود رافعة في موقع التبديل لتسهيل عملية التبديل بدون فضائح.

وبعد إنجاز عملية تبديل الصندوقين يتجه الرأس النووي نحو المطار بينما يحمل الرأس الحجري ليرمى في البحر، واذا ما تعذر ذلك فيمكن دفنه في حفرة لا يسمح بمعرفة موقعها لغير حافريها. سيكون الرأس النووي مربوطاً بسلك يخرج من الصندوق بطريقة فنية لا تسمح برؤيته، هذا السلك مربوط بجهاز إستقبال للإشارات اللاسلكية وحال استقرار الصندوق في الطائرة، يربط السلك مع سلك مهوى سابقاً ويرتبط بأريل الطائرة. هذا العمل بالذات يتطلب خبرة في مجال التفجير الإلكتروني مما يستوجب اناطة مسؤوليته بخبير..سيكون الرمونت كونترول الذي يفجر القنبلة بيد مساعد قائد الطائرة الذي يجب ان يختار بعناية، وعند تعذر تأمين مساعد ملائم، فان شخصاً آخر من الطاقم هو الذي سيتسلم الرمونت كونترول الذي سيعتمد على نجاح تلك العملية، لابد من إختيار

شخص انتحاري نادر الشجاعة لتنفيذ هذا الأمر كون العمل صعب، وان الرحلة ستدوم عدة أيام مما يعني احتمال تراجع الشخص المكلف بالتفجير قبل حلول الموعد وتحلو الدنيا بعينه فيبوح بالسر بالوقت الحرج، ما يفرض ان يكون الإنتحاري المختار شخصاً رابط الجأش.

إن طريقة الرمونت كونترول وسيلة احتياطية إذ ان احتمالات التفجير ستتم عن طريق تدمير الطائرة من قبل المقاتلات الأمريكية في سماء العاصمة، أو أن تهوي نحو الهدف، أو تفجر باللاسلكي. قد تكون الوسيلة الأفضل في حالة عدم التمكن من إناطة الأمر بأحد أفراد طاقم الطائرة تفجيرها من الأرض بإشارة لاسلكية من انتحاري يقبع في إحدى عمارات واشنطن على أن يحاط علماً بموعد إقلاع الطائرة من نيويورك.

يتم تحميل الصندوق الذي سيحمل العذاب والهلاك لسكان واشنطن علناً وعلى رؤوس الأشهاد ليشحن في حيز الحمولة في طائرة الوزير التي ستكون مهيئة لتغادر بعد ساعات إلى الهدف. يجب إفهام عمال التحميل ان الهدية الرائعة تعرضت إلى تصدع كبير مما يلزم حملها بتؤدة وأناة لمنع زيادة عمق التصدع، إن

الغاية من تلك التوصية هي ضمان عدم تعرض الرأس النووي لصدمات قوية قد تتسبب في تفجيره قبل بلوغه الهدف خصوصاً عندما يعلم الحمالون انهم يحملون رأساً حجرياً لصنم وثني تافه لا قيمة له بنظرهم.

سيكون ملائماً جداً تخلف الرئيس الأمريكي عن حضور حفل إفتتاح جلسات الجمعية العامة، حتى ولو أختلق سبباً لتعويقه عن الحضور، فإن من شأن ذلك جعل وزيرة الخارجية هي التي ستلقي كلمة بلادها. وسواء حضر الرئيس الاميركي أم لم يحضر، فإنه يجب تعويق حركة الوزيرة وإغرائها بعدم التسرع في العودة إلى واشنطن قبل لقاء الوزير السعودي كلمته، وحتى لو غادرت فعلاً فلا بد من إفتعال مناسبة في نيويورك لدعوة الوزيرة إليها وتوقيت ذلك مع تاريخ إنتهاء فعاليات الوزير في نيويورك كتنظيم أسبوع ثقافي سعودي في تلك المدينة يخصص ريعه لإقامة نصب لضحايا تفجيرات مركز التجارة العالمية. فالهدف من تأخير الوزيرة هو دعوتها لأن تطير مع الوزير السعودي على متن طائرته إلى واشنطن، فالطائرة التي تحمل وزير خارجية السعودية وعلى متنها وزيرة الخارجية الامريكية طائرة مأمونة الجانب حتى ولو حلقت فوق البيت الابيض، بل حتى ولو أنيرت أضوية الإنذار الصفراء والبرتقالية والحمراء وكل

الوان الخطر والخوف والرعب الذي إستحدثته إدارة الرئيس بوش .
الم تنجح طائرة صغيرة في التسلل في هذا الشهر إلى مسافة -3
4 كيلومترات من البيت الابيض؟ مما يجعل من إمكانية وصول
الطائرة الملكية إلى مثل تلك المسافة أمراً مقبولاً.

الأمر المعتاد هو ان الطيران فوق واشنطن محدد بانطقة معينة،
وخلاف ذلك فان الطائرات الحربية ستقوم بإجبار الطائرة المخالفة
على العودة إلى المناطق المسموح بالطيران فيها أو تدميرها في
الجو عندما يرتكب قائدها حماقة أو عناداً.

في حالة ملاحقة الطائرات الحربية للطائرة القتالة فانها
ستندفع باقصى سرعة نحو الأمام لتجعل أرض الصفر في التفجير
المساحة المحصورة بين الكونجرس والبيت الابيض على أن
يكون ذلك في ساعة من ساعات الدوام الرسمي، ويفضل ان
يكون ضمن الأوقات التي يتواجد فيها أكبر قدر ممكن من أعضاء
الكونجرس، يجب التفكير في ان يكون الطيار انتحارياً. إذ يتطلب
الأمر الاحتفاظ بقدر من سرعة الطائرة قبل دخولها أجواء واشنطن
لتسريع حركتها في الجو عندما تطارد.

عموماً فإن الطائرات الحربية التي قد تضايق الطائرة ستطالبها
بتغيير خط سيرها وخلاف ذلك ستدمرها في الجو، سيستهزئ

الطيار الذي يقود طائرة الرعب من النداءات التحذيرية وسيتجه نحو المنطقة المختارة ولا بأس من توجيه صواريخ المقاتلات نحوها وتفجيرها في الجو، هنا سيكون التفجير جويًا وليس ارضياً مما يعني إن الإشعاع سينتشر على بقعة واسعة جداً من الأرض وقد يدمر أو يخترق التحصينات تحت الأرض ممن لم يزود بحماية ضد أسلحة الدمار الشامل. يجب التأكيد على ضرورة كون الاشخاص الذين سيحاطون علماً بالأمر من طاقم الطائرة من الانتحاريين الصليبين..

عندما خط سلمان تلك العبارة، اكتشف انه لا يستطيع المضي بالكتابة أبعد مما بلغ، وأكثر مما سطرّ على الورق، وانه ليس مسؤولاً عن صغر حجم السيناريو الذي أرادوه عشر صفحات أو خمس على الاقل، فهم شحيحون بالمعلومات، إذ لم يزودوه بغير ما ينبأه بمكان القنبلة وكيفية الحصول عليها وهما معلومتان لم تنفعاه في الكتابة ولو ان ما قصه عليه عبد الرحمن بشأن قضية سرقة القنبلة، بهره وأذهله. وتساءل مع نفسه: ترى الم يكن الخزين النووي الباكستاني أقرب إلى متناول يد الجماعة، خصوصاً وان تدمراً إسلامياً من سياسات الرئيس برويز مُشرّف الممالة لأميركا يضمن المساعدة في تحقيق شئ من هذا، من يدري فلربما تكون

القنبلة التي ستدمر بها عمورة هي القنبلة الباكستانية بعد ان تكون سدوم دمرت بقنبلة روسية.

وفتح فمه واسعاً:ياه.. ما هذا التوافق الرهيب، اما أن أكون جننت واما أن الأقدار تسير بشكل معكوس، فالروس خلفاء السوفيت الذين كان الرئيس الأمريكي ريغان يسميهم إمبراطورية الشر، ويصفهم بانهم جيوش يأجوج ومأجوج الذين سيزحفون لتدمير شعب الرب، اليهود وانه سيدمر حشودهم في معركة الهرمجدون بالقنابل النووية. سيدمر المسلمون بقنبلتهم المسروقة من الروس عاصمة ذاك الرئيس. وان المدينة الاميركية المهمة الثانية ستدمر على أيدي إسلاميين بقنبلة إسلامية وعلى نهج الشيطنة الذي نهجه ريغان سار خليفته بوش الأب ثم بوش الابن. كيف تجرأ الرؤساء الأميركيان على تقديم هذا الخلط الخرافي الأسطوري لإقناع شعب يفترض فيه انه علماني ليبرالي حداثوي وما بعد الحداثوي. ثم اليس هذا الإسفاف في التفكير يفترض وجود مؤامرة سوفيتية وثم إسلامية على أمن وسلامة أميركا، فلماذا يتهم هؤلاء الرؤساء الأميركيان ومن يخدمهم من الباحثين والأكاديميين أعداء أميركا بانهم يفكرون على وفق نظرية المؤامرة، اليس ذلك معناه ان النخبة الأميركية تؤمن بنظرية المؤامرة وتخطط لمستقبل العالم على اساسها؟

شعر سلمان بالصداع وهو يتوقف عند النقطة التي تداخلت ألوانها أمام مخيلته، فاخرج نفسه من هذه الدوامة التي لا يزيده المكث في حومتها إلا كآبة وألماً، وراح يستعيد أشياء من الخزين العميق للذاكرة: ما أسعد الأغبياء.. لقد كانت أُمِّي تصف اختي السمينّة سليمة بأنها بقرة، وتوبخها بمثل شعبي معروف يقول لو عقلت ما سمت، أي لو كانت البقرة تملك عقلاً لما سمت فالأغبياء سعداء يملكون العافية والمرح والسعادة، فهل كان سيُخطف وتُرَوَّع أسرته لو كان ساذجاً يحمل عقلاً ضحلاً كعقل عبد الرحمن مثلاً؟ إنها ضريبة العقل واكتناز الثقافة الواسعة والعميقة.



أشخاص طوال القامة تولوا قيادته، وهم يركلون مؤخرته ويصفعون به بشدة وقد ألبسوه بدلة كالتّي يرتديها سجناء غوانتانامو ولكنها مصبوغة بلون أحمر كالارجوان، ووضعوا فوق رأسه تاجاً من حسك، كان يحمل خشبة كالصليب ينوء بها كاهله، بينما الهبت السياط ظهره وذراعيه وكتفه، ووصل لهيبتها إلى اليته وفخذه. وفي الساحة الرئيسة المقابلة للكابيتول، المبنى الذي يحتله الكونجرس الأمريكي، فوجئ ان الرئيس الأمريكي شخصياً كان بانتظار وصوله

على تلك الحالة المزرية، وكان مع الرئيس زوجته ونائبه وكل أعضاء إدارته وأعضاء الكونجرس وقادة الجيش والبحرية والقوة الجوية والشرطة ومكتب التحقيقات والاستخبارات وغيرهم، إضافة إلى كلبه الأسود الأثير بارس الذي يبدو ان روائح سلمان الكريهة أثارته فراح يهر، لكن الرئيس استطاع كبح جماحه ثم راح يلاطفه ويمسح على رأسه.. بينما تحشد كل أهالي واشنطن على جانبي الطريق، لم يتخل أحد منهم عما يظنه حقاً في ضرب أو ركل سلمان أو القاء القاذورات عليه أو رميه بالحجارة والبيض والفاكهة التالفة والأزبال.

بدا الرئيس كعادته التي يحرص عليها دائماً، واقفاً أمام خلفية مكونة من عدد كبير من العسكريين المتهيين نفسياً وعقلياً ويدوياً للتصفيق لكل عبارة يقولها حتى ولو كانت خالية من أي معنى.. وعندما إستقر المقام بسلمان وكاد يموت من التعب والإرهاق والقرف وخيبة الأمل..تناول الرجال الطوال الصليب وعرزوه في حضرة معدة مسبقاً ثم جرى تثبيته. تقدم رجل من المنصة قدّم نفسه إلى الجمهور بإسم صمويل هتكتون ليقرأ على الشعب بياناً، إستقبله الجمهور الحاشد بالتصفيق والصفير والصراخ. قال في خطابه:

- إن هذا المجرم المائل أمامكم، الذي يمثل حضارة تعشق الموت أدخل جرائماً فتاكاً إلى مدينتكم يريد أن يلوّث بها أطعمتكم الشهية، ولكن العيون الساهرة التي تحرس الأمة تمكنت من القاء القبض عليه وعلى جرائمه.. والآن حان وقت القصاص منه...

صاح أحد المتجمهرين مقاطعاً المتحدث وكان صوته مزعجاً وكأن لقمة محشورة في بلعومه تمنعه من التكلم بوضوح:

- بدلاً من صلب هذا المجرم الكلب عاقبوه بجرائمه..

الرئيس شخصياً الذي كان يكتفي بتوزيع الإبتسامات وكأنه يقول لأهل عاصمته: انظروا لولا جهودي لفتكت بكم الأمراض الخطيرة والأوبئة الفتاكّة التي سرّبها هذا اليأجوجي المأجوجي، وتناول مكبر الصوت وقال:

- نحن قلنا منذ أربع سنوات إنها حرب صليبية وما نزال نقول كذلك. لذا سنصلب كل من يحاول إرهاب الأمة الأميركية.. الم يصلب هؤلاء الاوباش الوثنيون من جنود يأجوج ومأجوج يسوع المسيح؟

وارتفعت الايادي صوب الصدور ترسم علامة الصليب.. كانت يدا الرئيس قد سبقت باقي الأيادي.

همست وزيرة الخارجية باذنه وكان صوتها ينتقل إلى الجمهور بواسطة مكبر الصوت الذي لم يكن الرئيس قد أغلقه سهواً:

- سيدي الرئيس من صلب المسيح هم اليهود وان جنود يأجوج ومأجوج سيهاجمون اليهود في معركة هرمجدون لذا فنحن لا نرغب بإثارة هذا الأمر عليك أن تصلح هذه الهفوة التي يمكن وصفها بأنها زلة لسان.

صاح أحد الاشخاص معبراً عن رفضه لما طرحته الوزيرة فقال بأعلى صوته:

- إخسئي ايتها العاهرة ذات الفرج الأزرق..من قال لك ان اليهود، وهم ابناء الله وشعبه المختار صلبوا المسيح.. انك تعملين على أذية الشعب المختار بثرثرة لا سامية، ثم أنت تشقين وحدة المسيحية..ألم يقرر البابا الراحل براءة اليهود من دم المسيح؟، أم لأنك بروتستانتية لم تقري في دواخلك بتلك البراءة؟

فوجئت الوزيرة بان الجماهير التي تجاوز عددها عدة ملايين كانت تسمع همسها بإذن الرئيس، فمنذ متى ومشوراتها التي تقدمها للرئيس صارت علنية بل جماهيرية، إن ذلك حصل بسبب غباء الرئيس الذي تعودت عليه الوزيرة، حاول الرئيس تصليح الأمر بقوله:

- كلا سيدي لم تقل الوزيرة المخلصة لي ولعائلي ولأميركا ان اليهود الذين هم خير من على الارض صلبوا المخلص، فأنا لم أسمع منها ذلك وإنما قالت إن هؤلاء الوثنيين الذين لا يؤمنون بالمسيح ولا بالتوراة هم الذين صلبوه.. المهم لدينا الآن هو تنفيذ مشيئة الرب في صلب أعدائه..

ارتبك الرئيس الذي كان في أشد حالات التلعثم والحيرة التي فرضتها عليه قدرة هذا المواطن البعيد جداً عن المنصة معرفة الأمر الذي كانت تهمس به الوزيرة في أذنه، لذا فهو نسي وجود مسؤول مخول بقراءة قرار التجريم والحكم بالصلب وقال:

- وعلى أساس تنفيذ تلك المشيئة الربانية فسوف نقوم بصلب هذا الوثني القادم من محور الشر ليكون عبرة لكل من يحاول الحاق الأذى بشعب الرب.

صرخ آخر من مكان بعيد جداً عن المنصة ولكن صوته كان من العلو بحيث وصل آذان الرئيس:

- سيدي الرئيس انت تعاقب شخصاً أراد قتل سكان عاصمتك فما علاقة شعب الرب بالأمر، هل تريد ان تقول ان شعب واشنطن هو شعب الرب، أم انك نسيت أن الشعب الإسرائيلي هو شعب الرب.. أرجو الاعتذار عن هذه اللاسامية المزعجة..

ابتسم الرئيس وعاد لتناول مكبر الصوت وقال:

- حقا لقد أسأت التعبير ولم يزعجني أو يحرجني أن أعتذر
أبدأ فهذا الاعتذار لشعب الله المختار، ومن ينزعج من هذا
الشعب فهو كافر وشرير وهو من جنود ياجوج ومأجوج الذين ما
زلت أحاربهم منذ انتخبتموني رئيساً، لذا أنا اعتذر، ان لم تكن قد
فهمت قصدي.

انبرى من بين الجموع الهائجة المائجة الخائفة الفرحة رجل
إعتلى ظهر سيارة كانت واقفة وسط الجموع وقدم نفسه للجماهير:

- أنا تومي تومسون وزير الصحة السابق في ولاية الرئيس بوش
الأولى.. إسمحوالي أن اقول لكم وبأسف شديد ان رئيسنا يكذب،
فقد كنت أنا أول من أخبره بوجود احتمال شن حرب بايولوجية
ضد بلادنا من قبل تنظيمات إسلامية معادية وستعمل على تلوين
أغذية الشعب، ولكن الرئيس الذي لا يقدر حجم الخطر إلا بعد
وقوع الكارثة رفض الاصغاء لمشورتي لذا اضطررت إلى تقديم
تقرير خطي بذلك لم يعره الرئيس ومستشارته لشؤون الامن
القومي التي تقف امامكم الآن بصفة وزيرة خارجية أذنأ صاغية
ما أجبرني على التصريح بمخاوفي لوسائل الاعلام اليس كذلك يا
مستر فرانك بوستا.

والتفت نحو الرجل الذي كان يتسم وسط الحشود المتلاطمة والذي يشغل منصب مدير المركز الوطني للأغذية وحمايتها.. فهز الرجل رأسه موافقاً ثم اكمل الوزير الغاضب خطابه:

- لقد طالبت برفع نسبة الأغذية الخاضعة للتفتيش وزيادة عدد المفتشين.. اضطرت تلك الحماسة التي كنت أعمل بموجبها هذا الرئيس العاجز عن إتخاذ القرار المناسب لتكذيب ما أدليت به لذا قدمت استقالتي كما تعلمون جميعاً في بداية كانون الاول 2004 بالتوافق مع فوزه بولاية ثانية لعدم قدرتي على التواصل معه. تلقى الرئيس مشورة مطولة من وزيرة خارجيته زفته خلالها بسيل من المعلومات التذكيرية ولقنته بما يجب ان يقوله فاستعاد مكبر الصوت ليدافع عن نفسه بقوله:

- ايتها السيدات والسادة، أولاً: ان هذا الوزير لم يستقل، ولكني طلبت منه تقديم استقالته بسبب عدم كفاءته وهددته بإجراء أشد في حالة عدم تركه منصبه. ثانياً: أنتم تعلمون إنني أعمل على وفق إستراتيجية رفع مستوى رفاه الشعب الأميركي وإطمئنانه.. فهل تتذكرون ما حصل عام 1984 أيام الرئيس الراحل ريغان عندما قامت طائفة دينية لايحظرني إسمها.

همست الوزيرة بإذنه مذكرة إياه بالاسم، ولكنه لم يوفق في التقاطه فتجاوزته.

- بتسميم أغذية بعض المطاعم بالسلامونيا ومات على إثر تلك الجريمة أكثر من سبعمائة مواطن.

همست الوزيرة مصححة: سبعمائة وخمسون، ولكن الرئيس تجاوز تلك الفقرة.

- فقد دب الذعر وشاع الرعب في عموم بلادنا العظيمة، فما بالكم والعدو اليوم هو من تعرفون قوة وكراهية.. ماذا كان سيحصل لو اننا نشرنا المعلومات عن هذا الخطر؟.. كان نصف الشعب قد غادر البلاد، ولو انني أمرت بزيادة عدد المفتشين الا يعني ذلك ان دافع الضرائب سيتحمل أعباءً جديدة فوق ماهو يتحمل الآن؟ ثم اننا كنا سنفشل في القاء القبض على هذا المجرم السفاح الشرير لأننا سنلعب على المكشوف. الا ترون اني محق في اجرائي التكتمي؟

صرخت احدى السيدات بالحشود لتسكت الجماهير، لم يستطع احد معرفة رأيها الدقيق والواضح بما قاله الرئيس، فبدأت بالحديث معرّفة الجماهير بنفسها:

- أنا كارولين سميث ديوال، ناشطة في جمعية حماية المستهلك، أدين الاجراءات الرسمية للإدارة في مجال حماية المواطن ضد الأغذية الملوثة ارهائياً، فأغذيتنا غير محمية ضد هذه الأعمال وأطالب بوضع استراتيجية مشددة في هذا المجال. كفت السيدة عن الحديث بعدما وجدت ان ما طرحت لم يقابل باهتمام من قبل الجماهير.

إنبرى للكلام من على المنصة رجل عجوز حاول إعادة مسار الاحتفال إلى سيرته المخطط لها فقدم نفسه:

- برنارد لويس: باحث..أود أن أتطرق إلى أمر ذكره الرئيس بشأن الطائفة الدينية التي عملت على تسميم المواطنين..ان ذلك تصديق لما ذهبنا اليه من أن ثمة حاسدين لأمتنا العظيمة يحاولون تدميرها وإيقاف عجلتها عن التطور....

صرخ به شخص عرّف نفسه بأنه نعوم تشومسكي:

- ايها الأبله المخرّف تتهمني وعصابتك من المحافظين الجدد بأنني أروج لنظرية المؤامرة، وها أنت غاطس حتى أذنك بالمؤامرة..ان من سمم الأميركان هي طائفة دينية أميركية فما شأن

الآخرين والحسد وهذا الفعل الإجرامي..إنكم أنتم الذين عملتم على زيادة كراهية الشعوب الأخرى لنا.

كان سلمان مندهشا، فكل هؤلاء المتحدثين من كبار المفكرين والساسة، قرأ لهم أو سمع أحاديثهم ومؤتمراتهم الصحفية ولقاءاتهم التلفزيونية..أيعقل ان عملية إعدامه جمعتهم على صعيد واحد؟..أيعقل ان جرمه بالقدر الذي قدموه من خطر على الشعب الاميركي؟.

رأى الرئيس الذي لاحظ أن الأمر سينقلب ضده، تقصير المراسم التي كثرت فيها زلات لسانه وهفواته وسوء الفهم والتفسير الخاطيء للتصريحات البريئة وصرخات الاعتراض التي ستشمل السياسات الخارجية والداخلية والشتائم والفضائح، وأن يُسرّع عملية الصلب أملاً في حصول موجة قوية من التصفيق ترفع معنوياته وتعيد له توازنه الذي فقده بسبب هذين المشاغبين حتى بدا وكأنه يترنح، فأوعز بصلب المجرم الكافر والتفت إلى جمهور العسكريين خلفه والذين نسوا على ما يبدو واجبهم الأصلي وهو التصفيق الحماسي الشديد، فلم يخيب القادة والجنود أمل قائدهم الأعلى فصفقوا حتى كاد الرئيس يطرب لهذا اللحن العسكري الحماسي.

أمر هتكتون شخصاً كان يقف بازائه يبدو انه شرق آسوي،
فقال له:

- مستر فوكوياما إخرس صوت هذا الخنزير بوحدة من
نهاياتك الرائعة..

فتقدم الرجل لينفذ الأمر، ووضع شريطاً لاصقاً على فم سلمان
الذي كان يتوسل بالرئيس والشعب أن يسمعوا منه ما يدافع به عن
نفسه، ولكن أحدهم لكمه على أنفه، تعطلت آلية التنفس عنده
فالفم مغلق باللاصق والأنف يعرف دماً غزيراً وحاسة البصر
معطلة بفعل العصابة الثقيلة، وقام آخرون بدق المسامير في كفيه
ليلصقوا بدنه على الصليب الخشبي، بينما دق شخصان مسمارين،
واحد في رسغ كل رجل.

استفزت رائحة الدم المتفجر من الشرايين التي مزقتها المسامير
بارس كلب الرئيس فراح يتحفز للقفز تجاه الضحية.. ولكن
الرئيس كان يناضل بكل ما استطاع من قوة من أجل تهدئته لكي
لا ينجس فمه بدم هذا الكافر كما همس في إذن وزيرة الخارجية.
لقد أضاف نباح الكلب المزعج وحراكه الشرس عطلاً جديداً
فقد تسبب متضامناً مع صخب الجمهور وأصوات الموسيقى

المتصاعدة والتصفيق المزعج لجوقة العسكريين في تعطيل حاسة السمع عند الرجل الذي يستعد للقاء ربه بتلاوة كل خزين عقله من الآيات التي حفظها.. وبعد أن نجح الرئيس في تهدئة كلبه تناول مكبر الصوت ليقول بعد أن خف صخب الجمهور والموسيقى وتضاءل حماس التصفيق العسكري بعض الشيء:

- انظروا ايها السيدات والسادة فنحن نصلب بأربعة مسامير وليس بثلاثة كما فعل الكفار مع مخلصنا يسوع، انهم صلبوه بثلاثة مسامير صنعها أولاد قابيل ليزيدوا من عذابه فقد تركوا المسمار الرابع بعيداً عن مكان الصלב حيث كان الغجري الملعون الذي صنع المسامير قد باع المسمار الرابع عدة مرات طمعاً في ثمنه، أما نحن فان قيمنا الراسخة تأبى أن نترك مسماراً يطوف في الارض تائهاً يطارد العجر والناس الآخرين ويلحق اللعنات بالجميع كما فعل الغجري بمسمار الفادي، سنصلبه بأربعة مسامير وليس بثلاثة. صفق العسكريون تصفيقاً حماسياً شديداً جعل الرئيس يلتفت اليهم ويهديهم إبتسامة عريضة طوّلت من موجة التصفيق.



جحظت عينا سلمان وتحقق من دنو موته ليس بفعل الصלב على الرغم من شدة الآلام التي لم تدع مكانا من جسمه لم تتناوله،

ولكن بفعل الاختناق الرهيب، فهو سيختنق لا محالة..لقد دفع جسمه إلى الأمام يريد هواءً يدخل رئتيه، ولو نفساً واحداً، إلا انه قفز من فراشه مدركاً أن الاختناق حقيقة وليس كابوساً..انه يختنق فعلاً وهو هنا على السرير الحديدي في الغرفة السجن بعيداً عن بوش وعن عبد الرحمن وعن پروين وعن كل البشر، عيونه تكاد تقفز إلى حيث لا رجعة، التنفس صعب فيما كان الظلام دامساً لا يقطعه غير نباح كلب يبدو أنه قريب من غرفته، لقد عرف السبب إنه الفانوس الذي ما فتئ يبث سمومه النفطية في الغرفة منذ أمد طويل..على الرغم من انه وصل إلى الشباك لكنه كان عصياً على الفتح ليجلب نسمة طيبة تنعش النفس المحطمة بالسموم والكوابيس وغدر الزمان، ضرب زجاج الشباك بيده فشر انه جرح جرحاً بليغاً.. ترى ماذا يفعل أين يذهب؟

- حرس..حرس..أكاد أموت.. أنا أختنق.

وهرع الحرس إلى قرب الباب الحديدي وكلمه من ورائه:

- ملعون الوالدين تريد تهرب؟كسرت زجاج الشباك تتصور

هذا يساعدك على الهرب؟

- أرجوك الفانوس يقتلني انا أختنق.. ساعدني.

اقترب الحرس من الشباك لينظر داخل الغرفة.. لاحظ الدخان الأسود يخرج من زجاج الشباك المكسور، لم ير شيئاً مما في الداخل، صاح بأعلى صوته:

- سهيل.. ناظم.. مزبان.. فاروق.. أسرعوا.. أسرعوا السجين يختنق داخل الغرفة ربما أراد الانتحار.

مضت دقائق كأنها دهر إلى أن سمع طقطقة الأقفال. فتحوا الباب ودخل إثنان من الحراس كلاهما مدجج بالسلاح من قمة رأسه حتى أخمص قدميه.. بينما طوّق الباقون الغرفة الكثيية التي تلفظ كل شيء حي. كان الحراس يتحسبون لإحتمال أن يكون الرجل قد رسم مخططاً للهرب. ولكنهم لاحظوا انه كان قد فقد آخر قدرة على المقاومة.. سقط على الأرض كخرقة خلقة، فسحبه الحراس خارج الغرفة التي تعذر عليهم بلوغ عمقها.. لم يتمكن الشاب الذي تبللت يده بسائل لزج من معرفة طبيعة السائل، فسأل سؤالاً لا يدري على من يطرحه:

- بماذا كان يريد الانتحار؟.. ربما سيسممني هذا السائل الذي كان يشرب منه.

وعندما أحضروا مصباحاً يدوياً لينظروا ماذا يجري.. وجدوا وجه سلمان مسوداً لا يكاد يعرفه الحراس الذين ألفوا منظره.

كانت كفه تنزف فالجرح الذي أحدثه تهشيم الزجاج بليغ، وعلم الحارس أن ماعلق بيده دم وليس مادة سامة.. إستخدم أحدهم قطعة من الكارتون لتحريك الهواء الساكن، فبدأ يستعيد وعيه. سارع آخر بربط الجرح بهدف إيقاف النزيف. دخل الغرفة شخص ثالث مجازفاً فأخرج الفانوس وأطفأه..فتحوا الباب على سعتها ليخرج الدخان الأسود الثقيل..إستمرت العملية أكثر من ربع ساعة، بللوا وجه الرجل الذي مازال ممدداً على الارض الترابية الجرداء التي يتناثر عليها بحر الغنم والماعز وروث الحمير وأعقاب السيكاير فسعل وعطس ثم سعل وتواصل السعال.

لم يرغب سلمان بالبقاء مستلقيا، فنهض، ومع نهوضه عاد التيار الكهربائي. مازالت غرفته معتمة لا يرى شيا مما بداخلها بدأ أذان الفجر يرفع..طلب من أحد الحراس أن يدخل الغرفة لينظف المصباح الكهربائي الذي تراكم عليه السخام..صارت محتويات الغرفة واضحة بعد أن مسح زجاج المصباح، الجدران الخضراء صارت سوداء ومحتويات السرير ومنضدة الكتابة علاها السخام.. كان المصحف داخل كيس ورقي.. والاوراق التي كتب فيها السيناريو الملعون محفوظة داخل ملف من الورق المقوى، لم يفتح شيئا من هذه الاشياء لفحصه ولكنه متأكد من ان ضررا لم يلحقها..

دخل إلى الحمام.. نظر بالمرآة القديمة المخدشة المكسورة التي علتها طبقة خفيفة من السخام فلم ير شكل ومعالم وجهه بوضوح، حمل ملء كفه ماءً ليغسل سطح المرآة فزادت سوءاً، استعمل الصابون لينظف المرآة التي صار ملمس سطحها دهنيًا زلقًا، وعقب محاولتين أخريين استطاع أن يعيدها سيرتها الاولى، فرأى الوجه المسود، بدا وكأنه زنجي، تذكر انه كان يحرق سدادات القناني الفلينية ليصنع منها فحمًا أسوداً يسود به بشرة وجهه ليرضي معلم التعبية في مادة الغش والاختفاء بدرس مهنة الميدان عندما كان طالباً في الكلية العسكرية قبل أربعين سنة، وهاهو يحمل الوجه المسخم ذاته، ولكنه سُخِّمَ بالنفط لا بالفلين المحروق.

غسل رأسه ووجهه وتمخط، كان مخاطه اسوداً شديداً السواد، استنشق ماءً وتغرغر، طلب من السجناء بعض الملح ليغسل أسنانه التي علتها طبقة دهنية سوداء، هو لم يستعمل الفرشاة منذ أختطف.. رجا السجناء أن يسحب الحصى النايلوني إلى الخارج ويغسله.. قلب الملاعة على الوجه الذي لم يسود ومد جسمه المنهك الذي كان على وشك أن يكف عن الحركة تماماً، ثم راح يغط في نوم عميق لم يحل دونه النباح المتواصل للكلب .

في الوقت المعلوم سمع صوت سيارة خارج الغرفة، وقفت السيارة وأطفئ محركها.. قرععت الأقفال ثم فتحت الباب ليدخل الإثنان في زيارة صارت روتينية..لم ينهض سلمان من سريره كالعادة وظل مستلقيا على ظهره فوق الفراش..تلفت الداخلون يمئة ويسرة ينقلون الانظار بين الرجل المستلقي غير مبال بالداخلين والجدران السوداء والأرض الجرداء والزجاج المكسور واليد والضماد الوسخ الذي على اليد:

- سلمان ماذا جرى؟..

استفسر عبد الرحمن الذي إستسلم لفعل الدهشة وظل واقفاً يتأمل كل شئ.

- انه اللعنة التي حلت ببلادنا منذ قرن.

- من فضلك لا تتفلسف أفهمني ماذا حصل؟ هل أقدمت على الانتحار وفشلت؟.

- الم يخبرك رجالك؟

- كلا..ماهي اللعنة التي حلت بالبلاد؟ أقصد ماذا حصل في غرفتك بالضبط؟

- اللعنة التي لم يسلم منها عراقي منذ اكثر من مائة عام وستظل تطاردنا وتقتل ابناءنا وترمّل نساءنا وتمزق وطننا، علينا شرّها الوبيل ولغيرنا نفعها العميم.

- الله اكبر.. قل لي يا أخي ماذا حصل؟..

قالها و كان قد فقد آخر شحنة صبر يتحلى بها.

- انه النفط لعنة الله عليه وعلى من اكتشفه وعلى من استخرجه وعلى من صدره وعلى خيرِه وشرّه، ماذا كسبنا من وراءه منذ اكتشف في بلادنا غير الأذى والفساد والإستعباد والإستبداد والهيمنة الأجنبية وصراع الأخوة وغدر الزمان وتكالب الأعداء وخيانة الأصدقاء؟.

- سبحان الله هل تنوي الانتقام مني بمقدماتك السخيفة المطولة؟ الا تنوي إعلامي بما حصل؟.

- عندما قررت ان أخلد إلى النوم ليلة أمس بعد أن أجهدت عقلي في كتابة السيناريو، كانت الكهرباء مستمرة ولم أكن أعرف مستوى إنارة الفانوس. قررت إخفات ضوءه بخفض فتيله، فالكهرباء على وشك الإنقطاع.. يبدو انني رفعت الفتيلة بدلا من خفضها، ثم نمت.. لقد سرّع الفانوس حرق النفط اللعين وراح

ينشر لعناته وشروره في الغرفة الضيقة فملت حصتي منه وكان ما ترى، أو بالأحرى ما لم تر، لأنك لم تر حالتني عندما إستيقظت وأنا في الرmq الاخير.الم اقل لك شره علينا وخيره لغيرنا؟

-!!

ساد صمت إنتظر سلمان خلاله قرار عبد الرحمن، فالسيناريو أنجز والصحة ساءت والخطر حل ورحل، ماذا بقي غير التحرير وإطلاق السراح؟

- انقلوا الاخ سلمان إلى غرفة أخرى لحين تنظيف الغرفة ..غيروا فراشه بأخر نظيف، واجلبوا دشداشة غير هذه لتغسلوا بقعة الدم التي عليها، أريد انجاز تنظيف الغرفة خلال نصف ساعة..

وتلفت فرأى الملابس التي كان سلمان يرتديها عندما اختطف.

- أباعمار أرجو أن تفرغ جيوب بدلتك ليتمكن الأولاد من غسلها.

أشاع هذا الأمر الفرحة والأمل في نفس سلمان وظن أن صديقه القديم سيطلق سراحه، وبرر ظنه ذاك لنفسه:والا لماذا يريد أن يعيد للبدلة بهاءها الذي سلبه السخام؟إنهم لم يقرروا قتله اذاً ولكن متى سيطلقون سراحه؟

وشعر بكآبة جديدة تغمر روجه..فراح يتساءل مع نفسه:

- أهذا كل ما في الامر؟..تلك اذاً كانت كل القرارات التي
تمخض عنها عقل عبد الرحمن؟، تنظيف جدران وفراش وبدلة..

نهض وهو لا يقوى على النهوض ولا على المسير.خرج
بصحبة الرجلين، لقد إرتكب الجميع خطأ جسيماً لا يغتفر،
فالجميع نسوا أن يغطوا عينيه، انه يتمشى مع عبد الرحمن في
ساحة دار ريفي لم يكن يسمح له الجلوس في مرحاضه من دون
رقابة وعصاة تغطي العينين، وتلفت يمنة ويسرة. لاحظ عبد
الرحمن قيام سلمان بممارسة عملية إستطلاع ميداني سريع فشعر
بالندم والغضب والإحراج والخوف والإرتباك فاخذ يتلفت يمنة
ويسرة يريد ان يدقق بنفسه المعلومات التي قد يتوصل اليها أسيره
من هذا الإستطلاع المشؤوم.ولكنه حاول الظهور بمظهر الواثق
المطمئن فراح يتهمك:

- هل انت الآن شمال بغداد على مسافة 100 - 120 كلم؟

فهم سلمان القصد ولكنه في الحقيقة لم يتوصل إلى شيء، لا
توجد مأذنة أو برج أو خزان ماء ولا طائرة إير فرانس أو أي شيء
مرتفع يمكن رؤيته من داخل البيت، كل مارآه هو ساحة بيت ريفي

مساحتها حوالي أربعمائة متراً تقف في وسطها سيارة سوني بيضاء، الباب في سياج لا شك انه المحاذي للطريق، الجانب المقابل يحوي أربع غرف مثل غرفته، وفي الجانب الأيمن غرفته وغرفة اخرى تشبهها، وعلى اليسار حظيرة حيوانات مهجورة ومرحاض ليس فيه باب وإنما قطعة خيش تلعب بها الريح. هكذا إذا كان يجلس في ذلك المرحاض على الطبيعة!!! لقد توصل إلى ان غرفته ملاصقة للجدار القريب على الشارع، أي ان شباك غرفته يطل على الخارج..ربما تنفعه هذه المعلومات الأولية على الرغم من فقرها وبساطتها، ولو انها تعززت مستقبلاً لسهل عليه تصميم خطة للهروب.

- ماذا يشغل بالك؟.. قال عبد الرحمن الذي كان القلق يسيطر عليه، فهو يعلم ان سلمان يملك ذكاءً يجعله قادراً على الاستفادة من نتف المعلومات التي سيحصل عليها من إستطلاع الفقير لطبيعة المكان.

- لاشئ غير صحتي المتدهورة.

- نسيت أن أسألك.. ماهذا الجرح في كفك؟

- لقد تأخر الحرس في فتح الباب كنت على وشك الموت فضربت زجاج النافذة بيدي..كنت أريد أن أبعد وجهي عن الجحيم.. تمنيت أن أحصل على نسمة واحدة، نفْس واحد من هواء نقي.

- والآن هل عادت لك صحتك؟ هل نستطيع ان نتكلم حول الموضوع الأهم؟

- السيناريو؟

- وهل ثمة ماهو أهم منه؟

- أنجزته البارحة وبسبب الإرهاق الفكري والتعب البدني حصل الذي حصل.

- هل ستوزني به كخلاصة أم تسلمه لي كاملاً؟

- أوجزك به لانني أحتاج إلى نقله إلى أوراق أخرى أكثر ترتيباً فهو الآن مسودة غير صالحة للتسليم.

- إذن ستكمله اليوم أو غداً؟

- كلا.. غداً على أقل تقدير. هل أستطيع أن أوصي الحرس لجلب بعض الادوية؟

- لماذا الحرس سأجلبها غداً معي، ماذا تريد منها بالضبط؟

- أريد مسحوقاً فواراً للمعدة واقراص لوقف الإسهال وورق عريض مع علبة صمغ وشريط لاصق.

لم يسأله عبد الرحمن عن حاجته إلى هذه الأشياء المتبينة، ولكنه أوعده بجلبها غداً، وإنصرف على أمل استلام السيناريو غداً.

كان بإمكان سلمان تسليم السيناريو في تلك الساعة ولكنه كان ينوي نقل نصه باللغة الكردية إلى صفحات المصحف، فهم سوف لن يسمحوا له باستصحاب نسخة من السيناريو معه فيما لو أطلقوا سراحه. لذا لابد من احتفاظه بنص السيناريو فلربما احتاج اليه في موقف ما.. إنه عمل خطير ولا يمكن السماح بتسربه، ومن يدري فلربما طلبوا منه أداء اليمين على عدم إفشاء السر كما أدّاه عندما كتب السيناريو هين الرئاسيين.

وما أن عاد إلى الغرفة عقب تنظيفها وتم إحكام إقفال الباب حتى شرع بكتابة نص السيناريو على صفحات المصحف بعد آخر فقرة من مذكراته.. لم يكن قد أنجز مهمته عندما حان وقت إدخال صينية الغداء، فترك عمله إلى حين الانتهاء من الغداء، لقد غلبته الحماسة في انجاز المهمة لذا أثر أن لا يقل اليوم، لابد من انجازها قبل حلول الليل، من يدري ربما سيأخذون أوراقه منه قسراً فلم التراخي والتأجيل؟

وقبل الغروب كانت أسطر المذكرات والسيناريو قد تمددت بين أسطر سورة البقرة بدأت من أسفل الآية الخامسة وانتهت بنهاية الآية 245 أي قبل أن تبدأ آية الكرسي مستغرقة ثلاث وثلاثين

صفحة بواقع أربعة عشر سطراً في كل صفحة..وتساءل: ترى هل كان التوقف قبل بداية آية الكرسي فألاً حسناً؟.

وعندما عاد ليراجع ماكتبه..تضرع الى الله أن يوصل رسالته بسلام إلى ذويه الذين سيعملون جاهدين على إنقاذه فسجّانه معروف لديهم، يمكن الوصول اليه بسهولة ويسر إذ كتب اسمه وعنوان منزله ومعلومات وافية عنه ضمن المذكرات المدسوسة بين الايات القرآنية..

نام مبكراً آملاً أن يجلب له عبد الرحمن ورق التغليف الذي سيغلف به أخطر مصحف بالكون كما كان يراه، ليبعث به إلى أهله.

لقد تحقق الطموح الأول في عملية التسريب الخطيرة، فقد جلب له سجانه ورق التغليف والصمغ والشريط اللاصق.. سلمه وعد المستلزمات مع الأدوية المطلوبة. سأله عبد الرحمن:

- ماذا تفعل بالورق والصمغ؟

- لا أظنك قاس القلب إلى درجة انك تمنع أسرتي من الشعور بأني على قيد الحياة.. مجرد شعور.

- هل جنت؟ تريد أن تكتب لهم رسالة؟

- أبدأ على الإطلاق.. كل ما أريده هو أن أرسل لهم هذا المصحف لتطمئن قلوبهم بذكر الله فهو تعالى يقول: ألا بذكر الله تطمئن القلوب.. خذ المصحف وأفحصه بنفسك وفتشه على مهل.. سوف لن أكتب حرفاً واحداً غير إسمي على الغلاف.

- عذراً لا أستطيع لمسه لأنني فقدت وضوئي فالسكّري يجبرني على كثرة الإدراج.. إفحصه يا وعد..

- انه ملئ بكتابات كردية لا أفهمها..

صرخ الشاب كمن لدغته عقرب موجهاً الكلام إلى خاله.

- أبا غيداء.. ألم تتذكر ان تلك الكتابات كانت على المصحف يوم جلبتموه لي وقلت لك يومها يبدو ان المجاهدين فيدراليون فهم مزيج فيدرالي من عرب وأكراد، بدليل ان كردياً كان يستخدم هذا المصحف الذي ترك عليه ملاحظات بالكردية تسهّل عليه القراءة وفهم المعاني. بالله عليك الا تتذكر ذلك؟

- بلا أتذكر.. ولكن ليس بيننا كردي واحد.. وعد لمن كان هذا

المصحف؟

- للمرحوم عواد.

- رحمه الله فقد كان نعم المجاهد البطل، إستشهد عندما كان يزرع عبوة ناسفة على الطريق العام لتدمير عربات الاميركان..

قال عبد الرحمن.

- هل كان المرحوم كردياً؟..

سأله سلمان متظاهرا بالجديّة.

- كلا ولا أظنه يعرف كلمة من الكردية غير هربجي.. وكاكه..

أجاب عبد الرحمن.

- مثلي..قضيت فترة عدة أشهر من خدمتي اعمل في إستخبارات الفرقة السابعة وقبل ذلك في معسكر اللاجئين الإيرانيين الذين كانت بينهم نسبة عالية من الأكراد، ولم أتمكن من معرفة كلمة واحدة من الكردية.

- عموماً كيف سترسل المصحف إلى عائلتك؟ومن هو المغفل الذي سيجازف بتسليمه اليهم؟.

- لن يسلمه أحد من جماعتكم..كل مافي الأمر يسلم أحد رجالك المصحف إلى أي سائق سيارة أجرة قادمة من بغداد ومتوجهة إلى الحلة، ويطلب منه تسليمه إلى أبي هلال مسؤول الجباية الذي يقف في باب المرآب الموحد ليسلمه بدوره إلى

أختي أم عواطف التي هي جارة الرجل.. فقط وكان الله يحب المحسنين.

نظر عبد الرحمن إلى صهره الذي كان يتابع تبسيط سلمان للأمر ويقلبه على وجوهه المختلفة فلم يجد ان في الأمر خطورة.. أعاد تقليب المصحف فلم يعثر شيئاً دُسَّ بين أوراقه، لم يفته ان يفحص الجلد فوجد انه لم يتعرض إلى فتح أو تلاعب.. فالتفت إلى خاله:

- لا أظن أن في الأمر ما يمنع.. إلا اذا كان لك رأي آخر.

- حسنا غلفه وأكتب الاسماء التي ذكرتها على الغلاف..

فعمل سلمان على إقتطاع الورق بالشكل المناسب، كان يعمل بهدوء تام لكي لا يثر الريبة في نفسي الرجلين، أنجز التغليف والتصميغ ثم وضع قطعاً من الشريط اللاصق فوق حافات الورق المصمغة زيادة بالاطمئنان.. وكتب على الغلاف الابيض:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمانة الله ورسوله.. كتاب الله الكريم.. ألا بذكر الله تطمئن القلوب:

يسلم هذا المصحف إلى الحاج فخري أبي هلال في مرآب
الحلة الموحد ليوصله إلى اختي أم عواطف زوجة الاستاذ عبد
اللطيف منصور لتبعث به إلى ابني عمار مع الشكر والامتنان..
المخلص: سلمان نوري (أبو عمّار)

أنجز سلمان المهمة، ثم قبّل المصحف وسلمه إلى وعد الذي
إستقبله بكلتا يديه وقبله ووضع على جبينه ثم وضعه على منضدة
الكتابة..

- طيب..نأتي على المهم..أو قل على الأهم..هل أنجزت نقل
السيناريو إلى المبيضة؟

- بالتأكيد..وهل عندي في هذا الفراغ القاتل عمل غيره؟..تفضل
بإسم الله وعلى بركة الله دمروا سدوماً وتليها عمورة انشاء الله.

ومديده ليسلم الاوراق الى عبد الرحمن.

- انشاء الله..

قالها عبد الرحمن بهدوء وهو يستلم الاوراق.

- حسناً أين المسودات؟

- ها هي..وأخرج سلمان كل الاوراق التي تحوي افكاره
المتناثرة وتخطيطات ورسوم لصناديق وطائرات وعمارات

وانفجار نووي على شكل عش الغراب وغير ذلك من التفاهات
ليثبت لسجانه انه كان يكتب مسودةً نقل محتوياتها إلى المبيضة
التي تحوي النسخة المنقحة من السيناريو.

- ماذا بقي معك من أوراق تحوي معلومات مكتوبة عن هذا
الامر؟..

- لاشئ.. وهذه كل القرطاسية التي زودتموني بها.. ليس
معي الآن أية ورقة عدا الاوراق التي كانت بجيبي يوم خُطفت.
وهاهي.. تفضل إطلع عليها.. وأخرج من تحت الوسادة أوراقاً
بيضاء عليها ملاحظات بسيطة ودفتر صغيرا يحوي أرقام هواتف
واوراق النقدية.

وبعد صمت إستمر نصف دقيقة كان عبد الرحمن خلاله يتهيأ
للرحيل قابضاً على الغنيمة الي كان يحلم بها.. واصل سلمان
الحديث بأسلوب فيه تحد وإستخفاف وإثارة:

- الا ترى ان عليكم إجتثاث شجرة جفنة سدوم قبل أن تدمروا
سدوماً نفسها؟

- ماذا تعني بشجرة سدوم؟

- جفنة سدوم، شجرة رديئة كانت تنبت قرب مدينة سدوم
ثمرها أصفر كروي شهبي ناعم الملمس ولكنه مر كالحنظل وهي

تحمل عناقيد منه. اذا ضغطت بأناملك على هذا الثمر فسينفجر ولا يبق في يدك غير القشرة. لقد وصف النبي موسى عليه السلام أعداء الله ونجاستهم بانهم يتظاهرون بالتقوى والعفة ولكنهم بالحقيقة هم ثمار شجرة جفنة سدوم.

- ماذا تقصد؟.. بوضوح أكثر.

- الا ترى ان في الوطن ثمة من يتطلب اجتثاته؟

لم يهتم عبد الرحمن كثيراً بالشجرة وصفتها والشريحة التي ضربت بها مثلاً. كانت الزيارة قصيرة هذه المرة.. خرجا وكانت الرزمة التي تضم المصحف بيد وعد ومبيضة السيناريو ومتعلقاته بيد عبد الرحمن، وأنظار سلمان تشيعهما الى حيث إختفيا قبل ان يعاد إغلاق الباب.



كان أبو هلال يقف عند باب مرآب الحلة الموحد الذي هو مسؤول الجباية فيه، تحت وهج الشمس الحارق، يستظل من الشمس بقطعة من الكارتون المقوى، يستخدمها أحياناً كمروحة يدوية .. نادى سائق سيارة جي أم سي تشتغل على خط بغداد- الحلة وهو يدلف من باب الدخول على الرجل ليسلمه رزمة:

- أبا هلال:المجاهدون بعثوا اليك بهذا الظرف أعتقد أن فيه مصحفاً وطلبوا مني إبلاغك بالحضور مع سلاحك إلى عويريج قرب معمل الإسفلت غداً بالساعة التاسعة صباحاً حتماً وخلافه سينفذ بك حكم الاعدام.

لم يعتد الرجل الصارم هذا النوع من المزاح..لذا لم يتصور بادئ ذي بدء انه مزاحاً خصوصاً وان صاحبه كان يتصنع التجهم والجدية:

- حقاً ما تقول؟ولماذا أنا بالذات؟

- تفضل هذا المصحف وإسمك مكتوب عليه إقرأ..وأشار باصبعه إلى اسم الرجل الوجل.نادى الجابي على حفيده الذي يعاونه في وظيفته وطلب منه أن يقرأ ما على الظرف..التفت الرجل الذي زال بعض قلقه إلى السائق:

- الظرف ينضح بالذي فيه، فأنت سائق شربت ماء الجريكان منذ طفولتك ماذا ننتظر منك غير الكذب والازعاج.. نسي أبو هلال ان سلمان نوري مفقود منذ أكثر من ثلاثة اسابيع..وكمن يتذكر فجأة أسرع نحو الهاتف ليخبر أهله ان أخا أم عواطف بعث له برسالة، بلغوها لترسل من يستلمها فوراً..وماهي غير

عشر دقائق حتى كانت جارته مع زوجها وابنها عند باب المَرَّاب يستلمون المصحف الرسالة ويتلقون التهاني:

- أبا هلال على ماذا التهاني هل عاد سلمان حتى تهتني؟

- ان شاء الله يعود ونشرب الببسي ونأكل الكيك. ألا ترين أين كنا وكيف أصبحنا؟

لم يجرؤ أحد من الثلاثة الفرحين على فتح الرسالة، فالأمر واضح وصريح، عليهم أن يسلموا الطرد إلى عمار على وفق ما مكتوب عليه، لذا اتجهت سيارتهم إلى حي الضباط فوراً.

كانت لينة وحدها في الدار. تلك الفتاة كأما تختلط عندها الدموع بالضحك في مثل هذه الظروف، فسارعت إلى تمزيق الغلاف، ظهر انه مصحف لم تهتم بأمر الطهارة، فهي لا تصلي أصلاً، لذا لم تكن على وضوء.. قلبت أوراق المصحف بسرعة بحثاً عن الرسالة، ولكن ليس بين أوراقه شيء، هوت إلى الأرض لتلتقط الظرف الذي مزقته بتهور، فتشته فلربما كانت الرسالة ملتصقة به بسبب الصمغ.. ليس فيه شيء، أخذ زوج عمته المصحف، قبله كأنه يتوسل اليه أن يخرج المُنْخَبَّأً.. شعر الجميع ان الرسالة هي المصحف، وان الأب اختار هذا النوع من الرسائل لانه لا يستطيع

أن يقول شيئاً، وربما لان سجانیه لم يسمحوا له بتعبير أكثر من هذه الرسالة الرمزية لتطمئن العائلة، فالحمد لله على سلامته المهم انه مازال حياً وهذا يكفي في الوقت الحاضر.

توقفت سيارة حكومية تقل مدير المجاري الذي إندفع نحو باب دار جاره المفقود وكرشه يترجرج أمامه:

- أبشري عمو سمعت أن خبراً ورد من الوالد؟

وأخبرته أن ما جاء منه مصحف، وهذا خطه على الظرف وليس في المصحف أو الظرف أية رسالة.

- عمو هل تأكدت من خط الوالد أنت تعرفينه بلا شك؟

- نعم عمو بالتأكيد هو خط والدي وربما بنفس قلم السوفت الأسود الذي يحمله دائماً بجيبه.

كانت الفرحة ناقصة، لذا لم تجد العمة ومن معها ما يغريهم على البقاء، إنصرف الرجل الذي لم يترك عبارة من عبارات التهئة الا وقدمها للواقفين عند الباب، ربما كانت فرحته أكبر من فرحة ذوي المفقود.. فهناك حاقدون عليه حاولوا اختلاق وترويح إشاعة مغرضة تتهمه ببيع الرجل وقبض ثمنه، وها هو صك براءته بتوقيع

سلمان شخصيا. لذا غادر نحو بيته وهو يتسم ويفرك يديه فرحاً
وسروراً.

ما أن اجتازت مقدمة سيارة پروين عتبة باب الدار حتى جاءت
لينة تهوّل نحو أمها لتبشرها بالفرحة الناقصة التي تحتاج إلى عقل
مرتاح ليفهم مغزاها. إستلم عمار المصحف لحين إكمال الأم
وضوءها في صنوبر ماء الحديقة تمهيداً لتسلم المصحف:

- اين الرسالة لينة؟

- هذا كل ما جلبته عمتي سليمة.

قلّب المصحف وجعل ظهره إلى الأعلى وراح يحث أوراقه
على إسقاط ما بداخلها ولكن لينة التي كانت تراقبه بإستخفاف
لا ينقصه الفرح والسرور قالت:

- اللي قبلك كان أشطر كما يقول المصري.

وعندما جاء دور الأم المتلهفة التي شعرت بشئ من السعادة
المشوبة بالقلق، فقد إستلمت المصحف وقبلته ثم إصطحبت
ولديها نحو الداخل من غير أن تخرج حقيبتها من السيارة، كانت
تقلب أوراق المصحف لا إراديا علّ ما كتبه سلمان يظهر.. ولكن

مالفت انتباهها تغير في طبيعة الكتابة..دققت جيداً إنها كتابة
بالكرديّة وراحت تقرأ ثم توقفت فصرخت بالولدين والدموع
تتقافز من عينيها بذات القوة التي تقافزت يوم تلقت خبر الاختطاف:
- الرسالة..هذه هي الرسالة سلمان كتب الرسالة باللغة الكرديّة
بين سطور المصحف..

كانت قد وصلت غرفة المعيشة فحثت الخطأ نحو اقرب
كرسي:

- نظارتي اين نظارتي؟ أين الحقيقية ؟ عمار إسرع السيارة في
الحقيقية داخل النظارات..

فهم الولد الممتلئ فرحاً مطلب أمه التي بدأت تقلب الكلام.
لقد تضاعف فرحه لنجاح أمه في فك اللغز الغامض والعثور على
السر الهام وكما غادر مهرولاً عاد مهرولاً.. بدأت الام تقرأ الرسالة
المدسوسة منذ البداية وتترجم لولديها، وفهموا الأمر على حقيقته
وتلك هي المرة الأولى بعد أكثر من ثلاثة اسابيع من التخبط في
بحر المجهول وما يعجّ به من اشاعات وتقولات..ونسوا الغداء
وهل ثمة غداء الذ من هذه الرسالة المنتظرة؟ لقد أذهلهم ما
سمعوا لأكثر من سبب، فهل يعقل ان اللواء عبد الرحمن تركي

هو الذي خطف أباهم وهو زميل وصديق قديم له طالما حدثهم عنه؟.. ثم هذا المكتوب في الرسالة؟ انه أمر خطير وقد يعرض حياة الوالد للخطر حقاً لذا يجب أن لا يعلم بالأمر أحد حتى العمّة التي تبكي أخاها العزيز ليل نهار.

- لا بل حتى لبنى لا أريدها تعرف التفاصيل، فلربما فلتت من فم زوجها الثرثار المهذار بعض الكلمات الخطيرة التي تسبب الكارثة الحقيقية فيقتل أبوكما الذي مازال مكان وجوده مجهولاً بالنسبة لنا..
- أماء اكتبى الترجمة سأجلب لك ورقاً من المكتبة.

وقبل أن يعود أخوها وردت إلى بال لينة فكرة، ماذا لو ان أباهما سرّب المصحف وان هناك من تتبع أمره ربما للإدعاء بعبقريّة أمام قاداته بأنه اكتشف مؤامرة سلمان أو لأنه يريد أن يبتز أسرتهم، أو غير ذلك من احتمالات.. هذا المصحف مطلوب وان جارهم عبد المنعم شاهد المصحف وقلبه بيديه فلماذا لا يظن أنه سيكون مطلوباً؟.

كانت الام أوسع تصورا:

- ليس هذا فقط، ربما سيأتي قائد الشرطة ويطالبنا بالمصحف لأنهم بحاجة إلى معلومات، وان الأمور الخطيرة التي ذكرها

أبوكم برسالته ستتشر على أوسع نطاق وبالتالي سنعرض حياته للخطر لاسمح الله.

- إذن لابد من جلب مصحف مشابه وكتابة عبارات بالكردية تتضمن تفسير البعض آيات القرآن لإظهار ان العبارات مكتوبة من قبل شخص بسيط يريد أن يفهم بعض الآيات بالكردية..
قال عمار.

- عمار..إبني إذهب الآن إلى السوق وإجلب مصحفاً مشابهاً لهذه النسخة تماماً لنهيئ نسخة مزورة نقدمها لمن يرغب الاطلاع عليها من شرطة ومسؤولين وغيرهم.

- ولماذا الشرط، يجب ان يكون شبيها لهذا المصحف؟

- لقد رأى جارنا عبد المنعم المصحف..وقد تستحضره الشرطة كونه الشاهد الرئيس على الحادث فلا بد أن يرى المصحف الذي رآه عندنا نفسه عند الشرطة..

وبعد أقل من ساعة كانت الأم تترجم تفسير بعض آيات سورة البقرة بالإعتماد على الجزء الاول من التفسير الكبير للفخر الرازي ولكن بأسلوب مبسط جداً يوحي بان قارئ هذه النسخة

من المصحف كردي بسيط وساذج ويحاول أن يتعلم المعاني من خلال الكتابة على صفحات المصحف.

وفي الصباح التالي كان قائد الشرطة شخصياً قد حضر إلى الكلية طالباً اللقاء بالأستاذة پروين فتاح فاستدعاها العميد:

- دكتورة لقد ذهبت إلى المنزل و لم أجد احداً..فقد سمعت من السيد عبد المنعم مدير المجاري ان رسالة وصلتكم من الأستاذ سلمان هل لي أن أطلع عليها؟..سألها قائد الشرطة.

- بكل سرور ولكنها ليست معي انها في البيت.

- لطفاً..ما ملخص الرسالة دكتورة؟

- يؤسفني ان أقول لك انها ليست رسالة بمعنى الرسالة، فانك سوف لن تستفيد منها في مجال عملك إطلاقاً..فهي مجرد نسخة من المصحف الشريف ليس فيه أي شيء على الاطلاق.

- وكيف وصلكم من فضلك؟

- لقد جاء به سائق سيارة أجرة إلى عامل في المرآب الموحد كون هذا العامل جار أخت سلمان وهكذا وصلنا المصحف ظهر أمس.

وعندما توجهت إلى الدار وسلمت المصحف إلى ضابط الشرطة كانت على قناعة تامة انها قامت بما يفترض بها ان تقوم

به، وحال مغادرة الضابط نحو المرآب الموحد ليلتقي بالجاني والسائق فإنها أقفلت الباب وأخرجت عدة العمل وباشرت بإكمال الترجمة التي عكفت عليها حتى ساعة متأخرة من الليل بعد أن طلبت من ولديها أن يتركاها لوحدها ويتفرغا لمذاكرتهما.

عادت پروين صحبة ابنها ظهر اليوم الثالث منذ ورود الرسالة، ولم تبد عليها الحماسة لإكمال الصفحات القليلة المتبقية والتي هي نص السيناريو. بعد أن انتهوا من تناول الغداء جلب عمار المصحف المخفي في مكان لا يعرفه غير الثلاثة ومعه عدة الترجمة من أوراق وأقلام ونظارات وقدمها لأمه، وإذا بها تتراجع.. تبادر الى ذهنه للوهلة الأولى ما أدهشه فذهل.. فهل يعقل ان أمه بهذه السن مازالت تطمئ؟ والا ما مبرر تراجعها ومحاولتها عدم لمس المصحف؟.

هم إذاً في موقف حرج.. فلا بد من إنجاز الترجمة بأسرع وقت لمعرفة ما يجب عليهم فعله.. لقد إتضحت الصورة وتوصلوا الى معرفة الشخص الذي يسجن أباهم وعرفوا عنوانه ولكن المشكلة هي ثمة حوالي خمس أو ست صفحات لم تترجم حتى الآن.. وربما تشمل تلك الصفحات معلومات تجعل القرار على شاكلة غير التي قد يولد فيها الآن.. واستدرك: ان مدة الطمئ هي ثلاثة

أيام، فلماذا لا يتريث ثلاثة أيام حتى تطهر أمه ثم يرون ماذا يفعلون.
وأعاد المصحف وباقي الأوراق إلى المخبأ السري.

إنقضت الايام الثلاثة ولا يبدو ان أمه متحمسة للعمل..انه
يستحي ان يطالبها بإنجاز الترجمة ولا يجرؤ على مفاتحة شقيقته
بالأمر..لقد كانت الايام الثلاثة طويلة جداً وثقيلة جداً ولا يستطيع
تحمل ثقل يوم إضافي فوق ذلك..وعلى الرغم من إنقضاء يومين
آخرين لم تكن بادرة أمل قد لاحت في الأفق..وفي اليوم السابع
وبعد الغداء طلبت منه أمه أن يأخذها إلى شارع أبي القاسم
للتبضع..وما أن ترجلت من السيارة حتى إختفت وسط الزحام..
تابعها بنظره فعثر عليها متلبسة بالتسلل إلى عيادة طبية إختصاص
نسائية، مما جعل شكوكه تقوى.

- المجدد بشأن النمرة؟

سأل عمار زميلته نضال..

- ألم يقرر الزملاء تسميتها بالمعزى فلماذا تخرج على
الإجماع؟..لقد طلبوها اليوم إلى التحقيق بخصوص قضية كسر
رجل علياء وربما سأكون مطلوبة أيضا لهذا التحقيق فقد تسببت
في أذيّتها وأذيّة جارتها.

- تحقيق الشرطة أم تحقيق الكلية؟

- لا.. تحقيق الشرطة طبعاً فتحقيق الكلية سيبيح ولو أني أعتقد ان موقف العميد سيغير الموازين. فهو مصر على ترقيتين قيد راقية ومن تثبت مقصريته.

- وكذلك تحقيق الشرطة.. فحتى لو لم يكن هناك فساد إداري ورشاوى، فثمة تأثيرات من هذه الجهة أو تلك.

- حسناً ماذا لو قلت لك ان مذكرة توقيف صدرت بحقها؟ فالتقرير الخاص بكسر ساق علياء بين أوراق التحقيق.

- عظيم جداً.. يعني ان الأمور تسير بالشكل الصحيح.

- نعم فقد كان الطرف المقابل محامي ضليع هو والد المرحوم شاكراً فما هو رأيك؟.

- طبّال والعريس ابنه كما يقول المثل، فماذا سيفعل؟ ساعد الله قلب هذا الرجل كيف وجد الجرأة على مراجعة نصوص محاضر التحقيق وقلبه ينزف على ولده البكر الرائع؟.. وانت الم يستدعونك؟
- لحد الان لا.

(انا لله وانا اليه راجعون..تنعى رئاسة جامعة بابل شهيدها
الاستاذ الدكتور راغب سليم ابراهيم عميد كلية الهندسة الذي
اغتالته إيادٍ غادرة وهو يغادر الحرم الجامعي عصر يوم الاثنين
2005 / 5 / 2..تغمد الله الفقيد بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته
وألهم أهله وذويه وزملاءه وطلابه الصبر ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم)..توقفت سيارة عمار عند مدخل مرآب الجامعة ليقرأ
مع أمه بصمت وألم هذا النعي المفجع..لم يستطع سائقو السيارات
المعقبة الإنتظار أكثر، فراحوا يطلقون صيحات الإستهجان
والإستنكار من منبهات سياراتهم مطالبين عماراً الذي خلق إختناقاً
مرورياً في مدخل مرآب الجامعة بافساح المجال لهم.

هرع المسؤول الأمني لتنظيم حركة السير والسيطرة ومعه
رجلان ليعيدا النظام فالخوف من تسلل سيارة مفخخة أمر قائم..
حل الإشكال بتحريك سيارة عمار فإندفع سيل السيارات دون أن
يفرغ راکبوها أنفسهم لحظات لقراءة يافطات النعي..

- صار عدد تلك اليافطات كبيراً جداً وخاصة عند مداخل
الجامعة والكليات، لقد كانت تلك اليافطات تتدافع وتتزاحم

ويركب بعضها فوق بعض كثرة ..لذا فان من يحرص على قراءتها
كلها يقدم دليلاً على عدم شعوره بأهمية الوقت..
قال عنصر الامن الذي نظم حركة السير.

في نادي الطلاب..كان الجميع يحتسون الشاي، بينما كان
صوت عبد الباسط عبد الصمد المنطلق من شريط مسجل قديم
يجر الايات والكلمات جراً وتلك كانت ظاهرة غريبة.. فصوت
فيروز هو الذي تعودوا على سماعه صباح كل يوم قبل أن يتوجهوا
للقات الدراسية.لا بد ان تلك التلاوة من مستلزمات الحزن على
العميد الفقيد.. لم يكن العم أبو جاسم واقفاً خلف أباريقه كالعادة..
وكذلك الصبي الذي يساعده.. كان قرّاش مكتب معاون العميد هو
الذي يقوم بمهمة تهيئة الشاي للطلاب.. قام عمار ليستفسر من
القهواتي الجديد عن سبب الغياب غير المؤلف لأبي جاسم:

- عمك حسوني إنطاك عمره، ما تسمع تلاوة القرآن؟!!

- لا حول ولا قوة الا بالله..كيف ومتى؟

- أمس عندما خرج من الكلية باتجاه بيته سقط على أرضية الشارع وفي رأسه إطلاقه مسدس.

- وهل عرفوا القاتل؟

- وهل توجد في البلد حكومة لتعرف القاتل؟

عاد إلى كرسيه وبيده قدحاً من الشاي يشم فيه رائحة الرجل الطيب الخدم الذي كان يرفّه عنهم عندما يستعصي عليهم أمر إستيعاب بعض الدروس بأشعاره التراثية وأهازيجه الفارغة من المعاني أحيانا وينشّط أدمغتهم باقداح الشاي التي يقدمها (وير) أي مجاناً عندما يشعر بان زبائنه فرحون جداً أو مكتئبون جداً.. ولكنهم يرفضون هذا الكرم فعائلته المسكينة بحاجة الى أي مبلغ..

- ترى كيف سيكون حال تلك العائلة المكونة من بنات أمّيات إنتظرن الأزواج طويلاً ولكن الخاطبين لم يهتدوا إلى عنوان بيتهن الخرب القابع وسط كومة من أزال المدينة مترامية الأطراف..وها هو المعيل الوحيد الطيب قد رحل.

قال ساهر مخاطباً زميله عمار.

تواصلت تلك التداعيات المؤلمة حتى عاد الزميلان إلى طاولة تقديم الشاي ليستفسرا من البائع الجديد عن طريقة مساعدة العائلة المنكوبة.. هل يجمعون مبالغاً من الطلاب كمرتب شهري لهم أم بماذا ينصح؟

- سمح لي معاون العميد وفقه الله وأطال عمره أن أتفرغ لبيع الشاي بدلاً من المرحوم تأميناً لمصدر رزق عائلته.. فان له علينا جميعاً حقوق وإن الله تعالى يحاسب على عشرة ساعة كما يقولون.

دخلت النادي مجموعة من الطلاب وقد بدا عليهم الإرتباك والتوتر، توجه أحدهم نحو ساهر :

- سمعت آخر الاخبار؟

- لم نعد نعرف أي الاخبار هو آخرها وأهمها، فسئّلها متواصل والحمد لله.. هل إستجد شيء الآن.. في هذه اللحظة أي: عاجل.. عاجل كما تسميه الفضائيات وكما كان المرحوم واش يزودنا؟

- رئيس الجامعة.. إغتيال قبل وصوله سيطرة الآثار قادمًا من بغداد.
- نهض الجميع الذين هزّهم الخبر.. لم يعد أحد يهتم بكيف ومتى.. فكل شيء بات ممكناً والفاعل مجهول دائماً.
- بالله عليكم هل ترون أن هذا المسلسل الذي لا تبدو له نهاية بعيد عن هذه اللقطة الباغية راقية؟..
- قال ساهر بانفعال وامتعاض وتشنّج وغضب.
- إن وراءها من يقتل ويهرب الآخرين دون أن يتمكن أحد من العثور على دليل ضد الرأس المدبّر..
- قالت إحدى الطالبات المتأثرات بما حصل. بينما حافظ عمار على صمته فلربما يكون هو أكثر هؤلاء عرضة للمراقبة والرصد.
- سيّشيع جثمان العميد عصر اليوم من مبنى الجامعة ولمسافة كيلومتر واحد حيث ينقل الجثمان إلى بغداد.. لا بد لنا من المشاركة..
- إقترح ساهر.
- ولا شك ان جثمان رئيس الجامعة سيّشيع غداً.
- قال عمار.

- ومن يدري جثمان من سنشيع بعد غد؟..
تساءل طالب من كلية أخرى جاء يزور ساهرا.

جلست الأسرة تخطط لإنقاذ الأب المخطوف:
- الآن أنجزت الترجمة.. فكيف ترون أن نتعامل معها؟..
تذكروا إننا يجب ان لا نرتكب أي خطأ مهما كان طفيفاً..
قالت پروين.

- نسلّمها إلى موقع رفيع في الشرطة؟
قالت لينة مستفسرة..
- لا.. لا.. فلا ثقة لي بالشرطة إطلاقاً مهما كانت مواقعها
رفيعة..
أجابها عمار. فابتدأ الام رأياً ثم سفّهته:

- أمامنا الأميركان.. هل نسلّمها اليهم؟ لا أظن هذا معقولاً..
الم يقل زوج عمّتك أن الأميركان يطلقون سراح عناصر

متورطة بقتل الأبرياء مقابل رشوة رخيصة جداً مقدارها مائتا دولار؟ إنهم أكثر فساداً من أفسد عناصر الشرطة.. وحتى لو انهم إهتموا بالأمر فسينشطون لإلقاء القبض على المدعو عبد الرحمن لأنه يهدد أمن وسلامة بلدهم. لاضمانة في أنهم سيراعون سلامة والدكم.. هذا رأي مرفوض إنسوا الأميركيان فانهم حتى لو تمكنوا من إنقاذ سلمان فإنهم ربما سيجبرونا على التعامل معهم كعملاء وجواسيس.. لا لا هذا طريق لا أريد أن أسلكه أبداً.

- اذن أمامي حل.. ان نسلم الاوراق إلى السفير السعودي.

استرعى الاقتراح اهتمام الأم.. التي رأت فيه اقتراحاً سليماً، فهو سيضمن تسريب خبر القنبلة إلى واشنطن كما يضمن التزاماً سعودياً بتحرير سلمان على أيدي القوات الاميركية.. فاستفسرت:

- هل للسعودية سفارة عندنا في بغداد؟

- حتى لو وجدت فلا شك انها خاضعة لمراقبة جهات عديدة، ربما من بينها خاطفو والدي. أرى أن لا نتعامل معها بل مع سفارتهم في عمان أو دمشق أو بيروت.. وسأشرح لهم سبب

اختياري ممثلة بعيدة عن بلدي، وأشترط عليهم العمل على إطلاق سراح والدي، ماذا تقولين؟

- اعتقد ان هذا هو الحل الامثل..على أن تضيف شرطاً يلزمهم بأن لا يجرو أي اتصال معنا لا بطريقة مباشرة ولا غير مباشرة لا قبل شروعهم بالتنفيذ ولا بعده.

كانت فرصة ثمينة أن يحصل عمار على ثلاثة أيام فراغ بين الإمتحانات ستمكنه من الذهاب إلى عمان حيث سينجز المهمة الخطيرة ويعود على أن يبات هناك ليلة واحدة فقط..

بات ليلته في الفندق تبعاً عقب سفر قطع خلاله ألف كيلومتر بشكل متواصل، كان قلقاً خشية أن تسرق الأوراق التي بحوزته، ولكنه في الصباح الباكر إطمأن إلى أن أحداً لم يتعقبه، وان يداً لم تمتد الى حقيبته..

في السفارة طلب مقابلة السفير.. تردد الموظف المسؤول في تنفيذ طلبه كونه عراقي كما أفصح لعمار.

- رجاءً أبلغه اني قادم من العراق خصيصاً لمواجهة الأمر ليس
ثمة أخطر منه على الاطلاق، واني تركت كليتي وامتحاناتي النهائية
لهذا الغرض، لذا ليس أمامي طويل وقت، وانا ملزم بالعودة هذا
اليوم حتماً لاداء الامتحان.

- قد احصل لك على موافقة مقابلة السكرتير .

- الموضوع الذي أنا قادم من أجله من العراق يفترض أن
يعرض على وزير الخارجية مباشرة وفورا.. إما أن أقابل السفير
أو أعود الى بلدي دون ان أقدم الخدمة التي تحملت عناء الف
كيلومتر من أجل تقديمها.. وغداً ستشعرون بالندم.. أبلغ السفير
حتى أنصرف..

- تلمح إلى عمل ارهابي على ما يبدو؟..

استفسر الموظف المسؤول مندهشا.

- عمل ارهابي أخطر بكثير مما حصل في 11 أيلول وستكون
بلادكم مصدر هذا العمل..

هزت الكلمات الرجل الذي حاول بكل مايملك من ذكاء وديبلوماسية اشباع فضوله عن طريق جرجرة عمار للإفصاح عن المزيد. ولكنه عجز..فإستأذن منه وعاد اليه بعد ربع ساعة ليستصحبه إلى مكتب السفير مباشرة..جرى تفتيشه للمرة الثالثة.. وكان التفتيش هذه المرة أكثر تشدداً:

- بسبب عراقيتي أم انكم تفعلون ذلك مع الجميع؟
- لا أخي الكريم..هذه أمور روتينية أرجو أن لا تزعجك.
- هل سأتمكن من الإنفراد بسعادة السفير؟
- سأكون حاضرا كوني أنا الذي أقدمك وكذلك سكرتير سعادتة.

رأى أن يقبل ويكف عن الإشتراطات الثانوية في هذه المرحلة..إذ انه أثار الريبة في نفوسهم وغيرَ برامجهم وجعلهم يتحسبون لأمر خطر ستبدو مهما كبروها وعظموها تافهة قياساً لما يحمله من خطر حقيقي..وبعد

أن تناول القهوة لاحظ أن الجميع ينتظرون شروعه بالكلام المفيد بصبر بدأ يعد تنازلياً.. وقبل أن يفتح شفتيه، أخرج المصحف من الحقيبة التي نبشها المفتشون نبشاً، ثم أخرج الأوراق ووضعها بجانب المصحف على المنضدة الصغيرة التي أزاح عنها فنجان القهوة. ثم بدأ يعرف السفير بنفسه وأسرته وما حل بأبيه.

بدأت علامات وجه السفير تتغير ولكن بهدوء دبلوماسي مصطنع.. كان الموظف الذي صحبه أقل دبلوماسية منه ففغر فاه.. أما السكرتير فقد مد عنقه حتى بدا وكأنه يريد أن يخترق أعماق عمار ليصل إلى كل التفاصيل دفعة واحدة..

نهض عمار ليسلم المصحف إلى السفير وأراه الصفحات الخطيرة .. ثم قبله ووضعها على جبينه وسلمه بكلتا يديه. نهض السفير ليستلم المصحف. راح يقلب الصفحات التي أشار إليها الفتى من غير أن يفهم منها كلمة واحدة.. وسارع إلى تقليب صفحات أوراق الترجمة التي خطتها والدته بيدها. لم يكن السفير

صريحاً جداً مع الفتى وكان كمن يبخسه بضاعته فهو قد تلقى كل ذلك الفيض من الخطر الهائل ببرود مصطنع واعداً انه سيتخذ الإجراء المناسب..

أحس عمار انه لم يوفق تماماً في مهمته.. ولكنه إقنع تماماً ان السفير سوف لن يهمل هذا الأمر الخطير إطلاقاً فهو سيتحمل مسؤولية كبرى . طلب من السفير أن يشمل البحث عن عناصر الخطة النووية العمل على إطلاق سراح والده وأن لا يتصلوا بهم وأخبره كمن يحذره:

- سيادة السفير نحن الان نعقد اتفاقاً، فإذا ما حققتم غايتكم ولم يطلق سراح والدي فليس أمامي غير ان أعود اليك معاتباً كون الإتفاق لم يطبق كما يجب.. انهم لو علموا بوجودي الآن هنا، أو أن واحداً منهم نجا فسيقتلون والدي حتماً ولا أظنك ستتحمل تبعية ذلك أمام الله وضميرك على الأقل، لذا أرجو ان يكون محور الخطة اطلاق سراحه.

توجه إلى الفندق ليستصحب حقيبة أغراضه بعد أن دس جواز سفر أمه الذي وضع القنصل عليه تأشيرة السفر

إلى السعودية لأغراض العمرة لتكون ذريعة لدفع أي شبهة
يصنعها فضولي محتمل ممن سيعرفون بوجوده في سفارة
السعودية بعمان.

وفي مساء ذلك اليوم كان عمار يضع رأسه في حجر أمه
وهي تغطي رأسه . كان يفكر مسترخياً لفعل الأنامل التي اشاعت
في بدنه الإحساس بالأمان والراحة لينام هادئاً استعداداً لاداء
الإمتحان بكفاءة.

ليلة الحرية

لجنة التفكير التي وجد سلمان نفسه غائراً في قعرها أتعبته، وراح يطرح على نفسه أسئلة كثيرة: هل يا ترى وصل المصحف؟.. هل إهتدوا الى الرسالة التي تتحصن بسورة البقرة؟.. هل إهتموا بقراءتها وفهم مضمونها؟.. هل وضعوا خطة للتحرك الآمن من أجل انقاذي؟.. هل ستكون الخطة كفوءة وحائزة على شروط النجاح؟..

شعر انه إرتكب خطأ فادحاً عندما تركهم يخططون لإطلاق سراحه.. وراح يلوم نفسه على تسرعه: كان عليّ ان أرسم لهم الخطة وهي الإستفادة من العامل المعلوم في المعادلة ولو ان عنوانه لديهم.. الا ان الأمر لا يقبل أي خطأ أو سوء تقدير.. فكيف سيتصرفون؟.. هل سيتصلون بالشرطة مثلاً؟.. ومن يضمن ان الأمر سيقى سرياً؟.. ثم من يضمن ان الشرطة سيتحركون؟.. فهم يخافون مافيات الإرهاب والمخدرات وغيرها.

دفعه شعور خفي لأن ينهض.. يتمشى، فأشراك أهله معه في أمر كان عليه أن يتحملة وحده قد لا يأتي بالنتيجة المرجوة.. أو على الأقل كان يفترض أن يعطيهم التعليمات الكافية ليضمن سلامتهم خوفاً من أن يتصرفوا بلا روية..

جعلته حركته اللا إرادية يسرّع خطاه في غرفة طول ضلعها لا يزيد على أربعة أمتار، ربما إرتفعت درجة حرارته، تحسس جبينه، شك انه أصيب بحمى. الندم يطغى على مشاعره، فعمله كان متسرعاً غير متقن.. فجأة قفزت أمامه صورة عبد الرحمن:

- ماذا لو أنه في لحظة ذكاء طارئة، فتح الطرد وأخرج المصحف وطلب من كردي أو من يجيد اللغة الكردية أن يترجم له ما بين سطورة الايات؟.. يا الله.. كم الأمر خطير.. كيف راهنت على غبائه؟ هل صرت في تلك اللحظة أغبى منه؟..

أخرجته قرقرة الاقفال من لجة تفكيره، واتجه بجسمه ونظره صوب الباب.. دلف صاحبه وسيماً مُعَطِّراً جسمه وملابسه، تعلو شفثيه إبتسامة ألفها سلمان، خلفه وعد بيده جريدة ملفوفة على شيء كبير، ربما تحوي طعاماً، وضعها

على المنضدة الخشبية وفتحها، كانت تحوي كمية كبيرة من الكباب المشوي والخضرة والطماطم المشوية وخبز تنور أبيض حار لم يذق مثله منذ أسابيع.. فاحت رائحة الكباب المشوي اللذيذ وانتشرت في أجواء الغرفة، شهية أخرى غير شهية الطعام انفتحت في نفس سلمان، هي شهية الإستطلاع، فلا بد ان هنا سوق قريب، ينبغي بذل المحاولات للتعرف على ذلك. فالطعام وصل إلى هنا حاراً.. ترى أي سوق هو الذي يقع قرب هذا المكان الذي لا تعرفه خرائط الحرس الوطني والشرطة التي تتنعم بمكاسب ضخمة ولا يموت أفرادها الا بالسيارات المفخخة وسكاكين الذبّاحين أو على الفراش؟ قد تخبره الجريدة بشئ مما يبحث عنه.. فربما كتب عليها إسم المشترك الذي اشتراها مثلاً..

قطع عليه عبد الرحمن سلسلة أفكاره وهو يدعو الى تناول طعام الفطور، لم يستطع حتى من معرفة إسم الجريدة فهذه صفحة داخلية ولا بد له من إرتداء نظاراته لقراءة الإسم في أعلى الصفحة.. وعندما أكملوا أجهز وعد على الجريدة يجمع مافضل من أكل ليطويها عليه بشدة:

- هل بالامكان ابقاء الجريدة لأقرأها فيما بعد؟..

صفن وعد ونظر صوب خاله الذي لم ير مانعاً في سبيل تحقيق رغبته، فجمع الشاب بقايا الأكل بيديه وحملها خارجاً.. بينما حمل سلمان الجريدة التي عليها بقع سمن وصبغة حمراء من مخلفات الطماسة.. ورتبها ووضعها داخل المنضدة الخشبية.. وعاد يتقدم إلى سجان به طلبات جديدة:

- اشكرك على الكباب اللذيذ.. ولكن في بعض الأحيان يقدمون لي طعاماً أتأذى منه فيما بعد.. ولقد حاولت في أكثر من مرة استفراغ ما في معدتي، فشلت مرات ونجحت في أخرى.. أطمح أن تجلب لي غداً دواءً طارداً.. انه متوفر في الصيدليات.

- وعد.. غدا تجلب هذا النوع من الدواء؟.

- ان شاء الله.

- هل أنا مسجون لأغراض سياسية؟..

- كلا بالطبع.

- اذن لماذا انا محروم من الاطلاع على أحوال العالم؟ تصور لو كنا قد تبادلنا المواقع، فتصير أنت السجين وأنا السجان.. فهل

تظن اني سأحرمك من مشاهدة التلفزيون والإستماع إلى الراديو
وقراءة الصحف؟..ستكون مخطئاً بحقي إن ظننت ذلك..ألا
تراني بحاجة ماسة إلى هذه الامور؟

-

- طيب..الى متى سأظل سجين هذه الغرفة؟

- سجين هذه الغرفة لا أدري..كل ما أدريه انك ستكون معنا
إلى أن ترى القيادة رأيها بالسيناريو، فإذا وافقوا عليه ستبقى معنا
إلى أن ينفذ خشية أن تبوح بالسر، وهذا أمر منطقي ومن حقهم أن
يفعلوا ذلك..

- وإذا لم يوافقوا عليه؟

- هناك ثلاثة احتمالات..الأول:انهم سيحصلون على سيناريو
آخر أكثر إقناعاً وأسهل تنفيذاً..والثاني:انهم سيطلبون من القيادات
الأدنى إعداد سياريوهات أخر عندها ستقوم بإعداد سيناريو غير
الذي بعثناه اليهم وعلى وفق التوجيهات التي سيزودونا بها أو
انهم سيرسلون لنا ملاحظات يطلبون تعديل السيناريو المنجز
بضوئها إن رأوا ذلك وهو الاحتمال الثالث.

- يعني في كل الاحتمالات سأبقى هنا دهرأ؟..حسنا لو فرضنا انهم قبلوا بالسيناريو الذي تم اعداده من قبلي وجرى تنفيذه بعد أكثر من أربعة أشهر من الآن..فهل سيطلق سراحي؟

- بالتأكيد ماذا نريد منك أكثر من ذلك؟

- وكيف ستطمئن إلى انني سوف لن أشي بك بعد أن تطلق سراحي؟

نظر اليه عبد الرحمن مندهشاً..ولكنه بادر الى تبديد ما يعتقده تكوم فجأة في ذهن الرجل:

- احسك ندمت لأنك تعاملت معي مباشرة ودون وسيط..

- لم أفكر بذلك لأنك تعرف ان الهدف نبيل وان مقاتلة أميركا الباغية شرف للجميع الا اذا كنت خائناً وعدواً للوطن والدين..
اليس كذلك؟

وسرعان ما إستطرد:

- بالمناسبة فانك وبسبب تقصير حقيقي مني أعترف به الآن امامك..لم تُحطُ علماً بما يجري في العالم..لقد نشرت

جريدة نيوزويك الاميركية تحقيقاً عن تدنيس القرآن الكريم في
معسكر غوانتانامو.

- انهم دنسوه سابقاً هنا في العراق وداخل حصونه المنيعه التي
استباحوها: أعني المساجد.

- انهم ألقوا المصحف الكريم في المرحاض يامسلم..ولا تر
معي ان تدمير أميركا هدف نبيل ؟

- الا لعنة الله عليهم من سفلة مجرمين..نسأل الله أن يسلط
عليهم تسونامي يغطي كل مساحة الولايات المتحدة لاتبقي عليهم
ولا تذر.

- آمين رب العالمين، اللهم أرنا فيهم قدرتك، خذهم أخذك
القرى وهي ظالمة..ولكن لا بد أن نعمل ولا نكتفي بالدعاء..وها
نحن بفضل الله نتقدم في عملنا.

قدّر سلمان بعد وصول الحوار إلى هذه المرحلة ان عبد
الرحمن لم يفكر في أنه سيفشي بالسر لاحقاً لذا فإنه بهت عندما
استفزه بسؤاله الذي لا مبرر له، لقد أشعره بالخطر، لا فائدة من

الندم، فهو الآن تقدم عدة خطوات نحو الموت.. ماذا سيفعل هذا الرجل غير أن يقتله لمنعه من أن يشي به؟.

- ليحضر أحد الحراس ...

أمر عبد الرحمن ابن اخته، توترت اعصاب سلمان برهة من الزمن، فماذا يريد من الحرس عقب هذا الحوار الذي ما كان ينبغي أن يدور بينهما. دخل الحارس الغرفة وقد سلّم سلاحه إلى زميله، فالتعليمات تأمرهم أن يدخلوا على المسجونين بلا بنادق خشية من أن يستولي سجين عليها..

- إجلب لي راديو ترانسستور من النوع الجيد إن توفر عند أحد أفراد المجموعة.

كان صوت المذياع يلعلع في الغرفة بعد ذلك الأمر بدقائق.

وما أن غادروا وأعيدت الاقفال سيرتها الأولى حتى هجم على الجريدة يبحث في كل سطر وفي كل عبارة ويقرأ كل كلمة، كانت صفحة داخلية من جريدة الصباح تحمل تاريخ 5/5/2005 ليس فيها ما يهمه إطلاقاً غير خبر عن توزيع

رواتب العسكريين، فاليوم المقرر لراتبه الذي سوف لن يستلمه هو 8/5/2005 وعرف من الخبر، أنهم سيصرفون للعمداء أقرانه، نفس الراتب الضئيل الذي استلموه سابقا، وهو راتب لا يساوي ما يتقاضاه عامل تنظيف في بلدية من الدرجة العاشرة. بحث في الأخبار فلم يجد شيئا يستوقفه فكلها أخبار لم ير فيها غير دعاية لوزراء ومسؤولين لايهمه أمرهم ولا تعنيه مشاويرهم. وسرعان ما راح ينقل مؤشر الراديو من إذاعة الى أخرى، يريد أن يعوّض نفسه عما فاته من أخبار، و لم يجد إذاعة غير إذاعة بغداد، وكأن العالم ساكت، وهي وحدها تحكي .

كان وعد قد جلب الدواء الطارد في اليوم التالي.

- هل تتذكر عندما كنا في الجبهة في الثمانينات وقت كانت مديرية التوجيه السياسي توزع على الجنود في المواضع الدفاعية أجهزة راديو مجانية لا تستلم غير بث إذاعة بغداد وصوت الجماهير؟..

سأل سلمان.

- انت تعلم علم اليقين ان الغاية من تلك الراديوات كانت
تحصين الجنود ضد السموم التي كانت تنقلها الاذاعات المعادية.
أجاب عبد الرحمن.

- رائع..اذن أنت تحصنني ضد السموم الفكرية عندما جلبت
لى راديو لا يستلم غير بث إذاعة بغداد.

- إطلاقاً والسبب هو أولاً: انني سحبت هذا الراديو من أحد
الحراس ولا علم لي بحالته الفنية، وثانياً: أنا اعتبر ماينطلق من
إذاعة بغداد ووسائل الاعلام الرسمي أكاذيباً وسموماً حقيقية والا
فلماذا أقاتل السلطة ومن ورائها الاميركان؟..أنت واهم في هذا
الاستنتاج.

- ربما السبب ضعف البطاريات..

قال وعد.

- ومع ذلك فسنجلب لك راديو جديد يشغل على البطاريات
والكهرباء لتسمع كل إذاعات العالم وحسب ما يروق لك. هل في
بالك طلب آخر؟

- لا..شكراً..

لاحظ انهما نسيا أوتناسيا موضوع التلفزيون لذا رأى أن يكف
عن المطالبة به. إذ لو كان مسموحاً به لجلبوه له عندما عرض
الفكرة يوم أمس.

- هل عنكم طبيب هنا في المنطقة؟

- كلا..مم تشكو؟

- منذ ليلة أمس وأنا أحس بوخز في أسفل الجهة اليمنى من
بطني..هنا بالضبط..وأشار إلى موضع في أسفل بطنه ليس بعيد
عن نهاية فخذه الايمن.

- هل هو القولون مثلاً؟

- ربما يكون القولون الصاعد..عموما أتمنى أن لا يكون بداية
التهاب للزائدة الدودية لأنه لو حصل وأنا في هذا المكان النائي
والبعيد عن أي مساعدة طبية فستنفجر وسأموت هنا، ستكون أنت
مسؤولاً عن موتي..

قالها خالطاً الجد بالمزاح.

- انما الأعمار بيد الله ..

- وأنعم به رباً ولكن الإهمال أمر يفاقم الحالة سوءاً .. بالمناسبة
فانا منذ البارحة لم أكل شيئاً مخافة أن يكون حدسي صحيحاً.

- عموماً فان الحراس مبلغون .. إذا ما حصل لك مكروه
فسيصلون بي فوراً.

- وماذا تستطيع فعله اذا ما تدهورت حالتني مع بداية الليل مثلاً ..
- سلم أمرك إلى الله تعالى.

- ولعزرائيل.

فرح سلمان وهو يتوصل إلى ان الثقافة الطبية للرجلين
متواضعة ولا يعرفان ان خطر الإصابة بالتهاب الزائدة الدودية
يتلاشى تقريباً بعد الثلاثين. لذا فإن الخطأ ستسير على الوجه
الذي رسمت له، وسوف يتناول كِسْر الخبز التي كان يخفيها
اسفل فراشه منذ يومين ليتعشى بها الليلة خلافا لعاداته المجافية
لوجبة العشاء، ليصنع في جوفه كمية كبيرة من الطعام يتقيؤه
صباحاً قبل مجيئ عبد الرحمن ..

مع تباشير الفجر، جاءت أولى نوبات الغثيان فضرب الباب الحديد بكلتي يديه.. وقاء ما طفا إلى زردومه عند عتبة الباب.. بعد أن تخلص مما في جوفه، فتحت الباب.. وضع الحارس الأعزل يده على فمه ليتقي رائحة القيء الذي افترش مساحة عدة أشبار عند العتبة حيث كان الرجل يتظاهر بمزيد من الغثيان.. بينما ظهرت علامات التقزز على الحارسين اللذين في الخارج.

- ألم يكن بمقدورك فعل ذلك في الحمام؟

قال الحارس من غير أن يرفع يده عن فمه وأنفه.

- لم أستطع بلوغ الحمام.

- وماذا كنت تفعل قرب الباب بعيداً عن الحمام؟

- كنت أريد نسمة من الهواء النقي.. هويبييع،

وفشلت المحاولة حيث كان مفعول الجرعة الطاردة قد انتهى على ما يبدو.

- وماذا أستطيع فعله في هذا الوقت المبكر؟

- ألا تستطيع استدعاء الشيخ عبد الرحمن؟

- بهذه البساطة؟ تتكلم عنه وكأنه كان يلعب وأياك دعبل !!
- عموماً سأنتظر وربما أخذ الله أمانته قبل مجئ الشيخ. المهم
انني أبلغتك خطورة حالتي.
- ليس بيدي شيء أعمله.. عندما تنهض نظف المكان فسوف
لن يستطيع الشيخ دخول غرفتك وهي بهذه الحالة.
خرج الحارس وأعيدت أقفال الباب الى أماكنها.. انهم بلا شك
سيصلون بالرجل.. تناول جرعة أخرى بعد أن أضاف إلى خزينه
الجوفي كسرتين جديدتين ستتحوّلان إلى قيء جديد يستقبل به
عبد الرحمن.. وقاء بصوت عال، فناداه الحارس من وراء الباب:
- يا رجل إذهب إلى الحمام وتقيأ وانشاء الله تبقى تقيأ حتى
الغد. لا تنس ان تنظف المكان.

صبح توقعه فقد جاء عبد الرحمن قبل الموعد المعتاد بساعتين..
وجد الرجل القادم ما يسيء، فثمة بقع من القيء عند مدخل الغرفة
بينما كانت محتويات صينية الفطور لم تمس.. منعت حالة الغرفة
عبد الرحمن من الدخول، لذا أمر بوضع كراسي للجلوس قرب

السيارة طالبا من الحرس اخراج سلمان من غرفته، جلس الثلاثة، وكان سلمان منتفخ الاوداج جاحظ العينين أصفر الوجه يرتعش، لم يضعوا العصاة على عينيه.. قذف بآخر ما كان في جوفه قرب قدمي عبد الرحمن.. فهرول نحو الحمام. سارع إلى شرب كمية كبيرة من الماء ثم أعقبها بجرعة طاردة، وعاد محاولاً إظهار بعض الهدوء والاستقرار.

- هلا تحسنت حالتك؟

- من ناحية الغثيان.. ربما، أما من ناحية الألم فالألم مستمر منذ أول أمس، كان وقتها خفيفاً أما الآن فإني اشعر به كالخنجر يحز أسفل بطني.

ولم يمض طويل وقت حتى فعلت الجرعة الطاردة فعلها فقد كانت تتصارع مع كمية الماء الكبيرة التي أقحمها في الجوف الفارغ عنوة.. فتدفق الماء من فمه كالشلال، نهض عبد الرحمن متراجعاً بضع خطوات إلى الخلف بينما إستمر سلمان مقرصاً محنيا رأسه إلى الارض.

- ننقله إلى المستشفى؟..

قال عبد الرحمن مخاطباً صهره..

- هل ترى ذلك ممكناً؟

- لا بد من ذلك.. قد ينفجر الأعور ويموت.

- إلى مستشفى المحمودية؟

- ماذا جرى لعقلك.. هل جنت؟

- سنستصحبه إلى بغداد وعليك أن تتصل بالدكتور بدري

وسنرى ماذا يشير علينا...

وبعد أن عاد وعد من خلوته حيث كان يتكلم بالموبايل، دخلا

مرحلة الهمس قرابة دقيقة. ثم قال عبد الرحمن بصوت ملئ بالثقة:

- هيبى نفسك أبا عمار للذهاب معنا.

كان سلمان متهيئاً منذ يوم أمس والتهيؤ عنده هو أن يضع

هويته مع نقوده والقصاصات الورقية وما كان معه ساعة إختطافه

في جيب الدشداشة، هذا كل مافي الأمر، وهو ما فعله، لذا فهو

الآن جاهز. ركب وعد السيارة وجلس خلف مقودها بجانبه خاله،

فيما إضطجع سلمان في المقعد الخلفي.

- هل نستصحب أحداً من الحرس؟ قال وعد لخاله الذي بدا عليه التردد لحظة من الزمن، ولكنه حسم أمره لاحقاً:
- لا.. لا فسلحك يكفي.

إنطلقت السيارة خارجة من الباب الحديدي الواسع. كان سلمان متحمساً لمعرفة المكان الذي قضى فيه أسابيع من عمره بعيداً عن العالم، الا ان تكريس حالة المرض الخطير في ذهنيهما أهم، فتظاهر بالتماوت وهو مضطجع في المقعد الخلفي.

بعد عشر دقائق بلغوا الطريق العام، بينما قطع خاطفوه ذلك الطريق بنصف ساعة، أحس ان السيارة إتجهت يساراً.. فهم إذاً متجهون إلى بغداد فعلاً..

- من ذا الذي سيجري لي العملية الا يحتمل أن يكون مضمداً بسيطاً أو ربما حلاق أو قابلة مأذونة؟.. وكيف سيجري فحصي قبلها لتشخيص مرضي الوهمي.. وما هي التحاليل التي ستجرى لي؟ وهل سيخدروني أم لا، قد يبقرون بطني كما تبقر بطون الذبائح المسلوخة ثم يقولون: رحمه الله وبذا يتخلص مني عبد الرحمن، وتهداً نفسه التي أجبتها بخطر وشايتي به. كان يجتر مخاوفه.

رأى نفسه ثانية غارقاً في لجة بحر من الاسئلة أنقذه منها صوت
عبد الرحمن:

- أبا عمار نحن الآن في عويريج اذا كنت تستطيع الجلوس فلا
بأس..أجلس بالشكل الذي يريحك.

أيقن انه لو لم يضطجع لأمره بذلك، بدليل انهم سمحوا له
الان بمتابعة معالم الطريق..

- ترى كم كان البيت الريفي الذي سجت فيه يبعد عن الشارع
العام؟.. انه خلف المنطقة الصناعية بلا شك ولكن ماذا يفيدني
هذا الاستنتاج الضعيف؟. كان يحاور نفسه.

أجرى عبد الرحمن اتصالا..تكلم خلاله مع الدكتور بدري
الذي يبدو انه متوجه الان إلى المستشفى.

إذاً هو الدكتور المعني على ما يبدو، خاطبه بكنيته أبو راوية
عرض عليه الأمر وأخبره ان الحالة خطيرة وتتطلب تدخله
لإحتمال وجود ضرورة لإجراء عملية جراحية، كان يحاول أن يتم
الأمر خارج المستشفى ولكن الطبيب كان مصراً على إحضاره إلى
المستشفى لعدم تيسر مستلزمات إجراء العملية خارجها، قال له:

- أبا راوية العزيز، يمكننا تأمين المخدر والمستلزمات
الآخري..

وإستمر النقاش على تلك الوتيرة، فأغلق عبد الرحمن التلفون
والتفت إلى صهره:

- لابد من التوجه إلى المستشفى، انه الآن في طريقه إليها.

- أي مستشفى؟

- مستشفى اليرموك.

التفت عبد الرحمن نحو أسيره المتمارض:

- أبا عمار سندخلك المستشفى ونسلمك إلى رجل مؤتمن
سيهتم بك .

- وبعد العملية؟

- سنستصحبك بالتأكيد.

- إلى سجنني؟

- ربما سيكون سجنك هذه المرة في بغداد ليتمكن الطبيب

من زيارتك عند الحاجة إلى أن يزول عنك الخطر، الا ترى اننا

نجازف من أجل سلامتك؟ لو كان الأمر مع آخرين لتركوك تموت
ثم يدفنونك في مكان لا يعرفه غير الله والدفانون.

دلفت السيارة لتدخل مستشفى اليرموك فتصدى لها رجال الحماية،
كلمهم عبد الرحمن بهدوئه المعهود وإسلوبه المؤثر في الكلام:

- عندنا حالة خطيرة..مصران أعور..الدكتور بدري ابراهيم
مدير وحدة الجراحة أوعز بادخاله المستشفى، هل تحتاج لأن
تتصل به؟ معي موبايل.

- تسمح بتفتيش السيارة؟

- طبعاً طبعاً..السيارة ومن فيها.

وبعد انجاز عملية التفتيش سمحوا بدخول السيارة.ضحك
وعد مستخفاً بالتفتيش:

- تفتيش فاشل لا قيمة له..لم يكتشفوا مسدسي..فعن أي شيء
كانوا يفتشون؟

ما أن وقفت السيارة حتى ترجل وعد وسحب كرسيّاً متحركاً
كان في الممر القريب وبالتعاون مع خاله أنزلا سلمان الذي بدا

وكأنه على وشك الموت، فأجلساه على الكرسي الذي شرع وعد بدفعه صوب الداخل.. في الممر الطويل، كانا يبحثان عن الدكتور بدري بينما راح سلمان يدقق في وجه كل من يرتدي صدرية بيضاء ويحمل سماعة، وكأنه هو أيضاً يبحث عن شخص ما.

أمر الدكتور بدري ادخاله إحدى الردهات لإجراء الفحوصات والتحليل، وعندما تحسس منطقة الزائدة صرخ سلمان متصنعاً الألم.

- كم مرة تقيأ مريضكم؟

- كثيراً..

أجاب عبد الرحمن.

- مالون القيء آخر مرة؟

- لم أره.. سلمان مالون القيء الذي القيته آخر مرة؟

- ألم تكن شاهداً على حالي.. هل كنت أستطيع التمييز بين

الليل والنهار لأميز لون القيء؟

طلب الدكتور إرسال العينات إلى المختبر ومن ثم إجراء

الفحص بالسونار.. خرج عبد الرحمن مع صاحبه الطبيب

الذي لم يكن بوضع يسمح له بكشف حقيقة المريض، فصاحبه شاهد على ما أصابه، حتى تلك اللحظة لم يسأله أحد عن سنه، ربما تصوره اربعينيا.. تولى وعد مهمة إرسال العينات إلى المختبر.. رأى سلمان ان الساعة المقررة لتنفيذ الخطوة التالية قد حلت، لذا سأل معيناً تقرب منه ليساعده على تعديل جسمه.

- الست الحاج محسن.. ابو علي؟

- لا بويه أنه خادمك راضي..

المهم انه عرف اسمه فهو لن يغدر به.. دس في يده الفي دينار وقال له، أنا قد أموت الآن.. أريدك أن تطلب من الدكتور سردار فرهاد المجيء لأبلغه بوصيتي، فأنا عمه.

هرع الرجل يبحث عن الشخص المقصود.. وقبل أن يأتي وعد حضر الدكتور سردار الذي لم يصدق ما يراه بعينه. فزوج خالته التي يئست من الحصول على خبر عنه مريض وفي المستشفى الذي يعمل فيه ماشاء الله!!.

رتل أميركي مؤلف من عشرين سيارة همر وعشر سيارات هامفي محملة بالجنود المتحفزين، ترافقه ست ناقلات أشخاص وأربع دبابات تجوب شوارع السيدة ذلك الحي السكني الذي غالبية سكانه من الضباط.. ثمة طائرتان مروحيتان من نوع بلاك هوك. كانت مفاجأة لأهل الحي. سرعان ما لاحت بالأفق مروحيتان جديدتان التحقتا بالسابقتين فتصاعدت الضوضاء القادمة من الارض ومن السماء، استدار الرتل فدخل الشارع المقابل لجامع الامام علي، وفي نقطة محددة من الشارع توقف فانتشرت ألياته. قفز جنود مخصصون لواجب الهجوم على ما يبدو، ومن غير أن يسألوا احداً من الناس الذين أخذوا يركضون في شتى الاتجاهات.. توجهوا صوب دار اللواء الركن عبد الرحمن تركي الذي كان قبل ثلاث سنوات محمياً حماية مشددة وكان يقبع على الرصيف أمام سياجه كرفان واسع مخصص لعدد كبير من جنود الحماية. تقافز الجنود المهاجمون عبر أسيجة الدور المحيطة بدار اللواء ثم اقتحموها عنوة بينما كانت الرشاشات المثبتة على السيارات تدار بإتجاهات مختلفة، لم تترك نقطة من محيط المنطقة دون أن توجه نحوها.

فوجئت زوجة اللواء بما حصل وعقدت الدهشة لسانها فلم
تستطع أن تقول شيئاً البتة، قال لها المترجم:

- أين الجنرال؟

- أي جنرال؟

- اليس هذا منزل الجنرال عبد الرحمن تركي؟

- نعم هو منزل اللواء الركن عبد الرحمن تركي.

- اين هو؟..

وقبل أن تجيب بلا أدري تشظت الابواب وتناثر الأثاث،
إمتلات أرضية المطبخ بالقدور والأواني وآلاف الشظايا
الزجاجية ولم يسلم البراد والمجمدة وحتى فرن الطباخ من
التفتيش العنيف، فتطاير اللحم المجمد قطعاً والقي بما كان
مشروما منه على الارض وسال زلال البيض ساحباً القطع
الصفراء نحو باب المطبخ، صارت أرض المطبخ المفروشة
بطبقة من زلال البيض والعصائر والمعجنات زلقة مليئة بقطع
البلور والصيني والكريستال الثمين، البطانيات هي الاخرى

تطايرت ومعها الوسائد، مزقت حشوات الأرائك والأسرة بالحرايب بُعثرت الكتب التي كان ثمة شخص ذو ملامح عربية يقرأ محتوياتها بعناية، لفت انتباهه وجود كتب عسكرية:

- لماذا توجد هذه الكتب في بيتكم؟

- هذا ليس بيت بائع طرشي أنه بيت قائد في الجيش العراقي؟ ماذا تتوقع ان تجد من كتب.. الحياة في أمريكا مثلاً؟.

كان جواب السيدة صلباً شجاعاً على الرغم من هول المفاجأة.
سكت الرجل الذي عكف على جمع الكتب والكراسات العسكرية وكل الاوراق التي رابه أمرها أو شك في طبيعة مضمونها ووضعها في كيس قماشي كبير.. تأكدوا من أن البلاط لا يخفي شيئاً تحته، كانت أوراق من المصحف تداس بارجل الجنود.

- الا يدفعك دينك ان كان لك دين لاحترام كتاب الله الكريم؟..

قالت سيدة الدار للرجل الذي ظنته عراقياً.. فنهض يجمع الأوراق التي استبيحت حرمتها.. ربما مجاملة أو تماهياً مع مشاعرها المحتدمة، وقد يكون بسبب شعوره بحرمة تلك الاوراق

فعلا، فوضعها على منضدة سلمت حتى تلك اللحظة من التكسير، ثم وضع عليها أحد الكتب ضمانا لعدم تطايرها. كسروا الخزانات الخشبية وبعثروا محتوياتها الثمينة، كانت علبة مجوهرات شيماء محطمة وملقات على الارض وقد إختفت محتوياتها.. علبة مجوهرات الأم كانت بيد جندي آخر يتفحصها، الملابس الداخلية الرجالية والنسائية تطايرت في شتى الأنحاء. لم يعد أمر المبالغ النقدية بالدولار والدينار التي يحتفظون بها ذكراً يهملها بعد أن رأت كل شئ في بيتها يتحطم ويتشظى ويتناثر ويمزق وبعثر فيتحول البيت إلى موقع قمامة..

كانت الطائرات التي تحلق واطئاً تضاعف من حالة الرعب..

- ناد على زوجك بالتلفون..

أمرها المترجم الذي قوّت لهجته شكوكها في انه عراقي.

- موبايله عاطل منذ ثلاثة أيام أصيب بفايروس، هاهو.. إستلمه ضابط أمريكي وتأكد منه فتبين أنه غير صالح للاستعمال.. وضعه بجيبه ثم جاءه جندي بتلفونها الخاص الذي كان بحقيبتها فأدخله في الجيب الثاني.

- اليس معه موبايل آخر؟

- كلا.

- بلا شك فهو سيتصل بموبايلك وسنعرف.

وبحركة دراماتيكية سريعة باغتوها بتكبير يديها ثم أدخلوا رأسها داخل كيس أسود واقتادوها نحو إحدى سياراتهم.. ثم إنطلقوا مغادرين البيت. كان إتجاه انصرافهم غير الذي جاؤوا منه.

سارعت إحدى الجارات للإتصال بشيماء بنت عبد الرحمن المهندسة في أمانة بغداد بهدف تحذيرها، فلربما توجهوا للإلقاء القبض عليها، كونهم ذاهبون جهة مركز المدينة.. فوجئت بصوت رجولي يرد، فقطعت الإتصال وكررت بعد أن تأكدت من صحة الرقم، وإذا بالصوت الرجولي يرد.. تمهلت قليلا.. إنه صوت عبد الرحمن:

- ألو عمو أبا غيداء؟

- نعم تفضلي.. من المتكلم؟

- أنا جارتكم نبيلة بنت العميد أحمد. الأميركان داهموا بيتكم وقلبوه رأساً على عقب كسروا وحطموا ومزقوا كل شيء،

ثم أخذوا خالة أم شيماء معهم..فكرت في الاتصال بشيماء لتأخذ حذرهما لأنني أخشى أن يكون الأميركان قد توجهوا نحوها لالقاء القبض عليها.

طار صواب الرجل، وضافت به الارض على سعتها.أعادت الكف المرتعشة الهاتف إلى جيب الدشداشة. شرد ذهنه بعيداً لا يدري ماذا يفعل، ولمن يمنح الأسبقية في التفكير، للزوجة مجهولة المصير، أم لمصيره المجهول، أم لابنته التي قد تدهم القوات الأميركية دائرتها الحكومية، أم لسجينه؟..وفجأة وجد الحل، إنطلق صوب السيارة التي تقف في مرآب المستشفى، كان يريد أن يهرول، ولكن الوقار الذي يفرضه عليه زيه يمنعه من ممارسة الهرولة، سرّع مشيه، إتسعت خطاه دون أن يرى أمامه شيئاً غير سيارته.تعلقت عباءته بشرك أسلاك شائكة كثيف، تعرقل مسيره برهة ولكنه أثر أن يتركها بدلاً من أن يضيع الوقت في تخليصها من الشرك، محاولا التظاهر بالوقار، وفي الساحة التي يفصلها عن المرآب سياج معدني مشبك تعرض أكثر من مرة لخطر الدهس.. طارت كوفيته من فوق رأسه..صاح به الشرطي منبهاً إياه:

- غترتك عمي..

بينما صرخ شخص ساخرًا:

- هدموك!!..

وتلك صيحة تطلق عادة وراء الجبان الهارب من المواجهة.
لقد تخلصى عن بعض ملابسه.

فرح أحد العاملين بخدمة مرضى المستشفى بحصوله على
العباءة التي خلّصها من الشرك.. وتضاعف فرحه عندما عثر على
الكوفية ملقاة على الأرض على بعد أمتار:

- أفضل لو كانت يشماغ فأنا لا أرتدي الكوفية البيضاء.

ثم راح يهزج فرحًا:

- ماتت أختي من نصيبي ثوبها مكدر عليّ.

ما أن بلغ عبد الرحمن السيارة، حتى عاد له بعض صوابه
فمفاتيح السيارة مع وعد.. ضرب أعلى نقطة بالسيارة بقبضته
بقوة.. تقدم نحوه شرطي مُستَفَز إرتاب بأمره:

- هل نستطيع مساعدتك يا حاج؟

- ابني مات أثناء إجراء العملية.

قالها متلعثما.

- لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم..

وربت الشرطي الذي إنقلب إرتيابه إلى مواساة على كتف عبد الرحمن.

وصل وعد يلهث وقد إستفزّه منظر خاله المتجرد عن نصف ثيابه دون ان يفهم شيئاً عما حصل، ففتح باب السيارة ليندفع عبد الرحمن الى داخلها، دون ان يتذكر أي منهما ان أسيرهما الذي يحمل السر الخطير بقي لوحده داخل المستشفى.

كان الدكتور بدري قد لمح من بعيد منظر الرجلين الفزعين.. إرتبك وهو يرى ما حصل دون أن يخمن تبريراً له، سقطت سماعة الفحص التي كان يعلقها على كاهله ولم يشعر بها فحملها أحد المراجعين وتبعه ليسلمها له.. كان الطبيب الكهل السمين يحث الخطى لاهثاً ليصير قبالة سيارة صاحبيه، ربما شعر بخطر مجهول فامتقع لونه، همس عبد الرحمن بأذنه فتوجه فوراً نحو سيارته وعندما بلغها تذكر المفتاح في الحقيبة والحقيبة في الغرفة بالطابق العلوي.. لا بد له من التصرف الحسن فهو طبيب

ذو مكانة مرموقة هنا له طلابه ومراجعوه.. إستلم السماعة
من المراجع وتوجه إلى غرفته بتؤدة وأناة مصطنعتين فلربما
إنقلبت الأمور ضده وحصل مالا يحمد عقباه،. خلع صدريته،
همس بأذان طبيبتين وطبيين، بدا عليهم الارتباك والتوتر وهما
يلاحظان حال الدكتور

إنطلقت السيارة بسرعة إبتدائية عالية جداً إصطدمت
بكرسي للشرطة عند الباب فحطمته.تقافز المسؤولون عن
أمن المستشفى، صدمت السيارة حافة الباب الحديدي فإنكسر
مصباحها الأيمن، هدأ الشرطي زملاءه واخبرهم ان الرجل
تعرض إلى مصيبة.

- كيف تريدونه يتصرف وقد مات إبنه هنا قبل قليل،
شاهدت الدكتور بدري يواسيه ويخفف عنه، ربما هو من
أجرى العملية.

- لا يجوز أن تتكلم عن أمهر جراحي العراق هكذا..

قال له زميله منتهرا إياه. صارت السيارة على الطريق العام فوجد
وعد الفرصة ملائمة ليستفسر من خاله:

- ما الخبر؟ إلى أين نتجه؟

- الأميركان داهموا البيت ودمروا كل شئ فيه، إعتقلوا أسماء،
لا شك انهم يبحثون عني الآن، وربما ذهبوا لإعتقال شيماء..

- كيف ومتى حصل ذلك.. ثم لماذا؟ هل اخطأنا في ترتيبات
الأمن؟

- حصل قبل ساعة.. أما كيف فالصورة محطمة للأعصاب.. أما
لماذا فأنا أظن إنهم أسروا أحد رجالنا واعترف عليّ.. ولكن من هو
إذ لم أبلغ باختفاء أي من رجالنا.. كيف بتصورك علموا بأمرى؟

لم يكن لدى الشاب الذي لم يكن أذكى من خاله وليست له
تجربة بحجم تجربته أي جواب.. ولكنه كان يريد أن يعرف شيئاً
واحداً فقط:

- إلى أين ستتجه؟

- إلى السيدة.

- تريدنا أن نذهب إلى الموت بارجلنا؟

- أنت تقف بسيارتك في مكان بعيد، وسوف أذهب بسيارة
أجرة لأشاهد عن كثب ماذا جرى.

وما أن وصلت سيارتهما قرب جامع الإمام علي حتى ترجل
عبد الرحمن وأوقف سيارة أجرة، وأمر سائقها بالتوجه إلى
الشارع المقابل للجامع، وضع يده على فمه لكي لا يراه أحد
من الجيران والمعارف.. كان حشد من الجيران منهمكين في
ترتيب بعض أمور البيت.. تبرع السائق لإخباره بالأمر من غير
أن يطلب منه ذلك:

- هذا بيت قائد كان في الجيش السابق يقال إنه الآن إرهابي..
داهمه الأميركان قبل أقل من حوالي ساعة ثم اعتقلوا زوجة الرجل
وذهبوا..

كانت آخر كلمات السائق تتردد في اذن عبد الرحمن: وذهبوا..
وذهبوا.. وذهبوا.. قرر النزول ليستكري سيارة أخرى تعيده إلى
المكان الذي ينتظره فيه وعد فقد شاهد بعينه وسمع بإذنه وفهم
كل شيء.. تذكر انه لا يحمل نقوداً فالمسائل المالية مناعة بصره..

شعر بدوار..ماذا سيقول للسائق المنتظر الذي لم يمنعه من الإنطلاق غير إستلام الأجرة.

- أخي آسف لم أحمل معي نقوداً ولم أنتبه لذلك إلا في هذه اللحظة.

- ألا تستحي..تخدعون الناس بمظاهركم، رجل يبدو عليك الإحترام الذي لا تستحقه وتسرق أجرة السائق.

استصحب الدكتور سردار زوج خالته سلمان إلى غرفته في دار الأطباء، وهياً له الحمام، كان يريد أن يزف البشري لخالته، ولكن سلمان بادره برجاء أن لا يخبر أحداً لحين وصوله البيت لأشياء في نفسه..ثم طلب له قدحاً من الحليب المحلى بالسكر وما أن فرغ منه حتى أتاه بصحن حساء ساخن وهياً له بعضاً من ملابسه . وبعد دقائق كانت سيارة سردار تطوي الطريق المؤدي الى الحلة.

سرعان ما إستسلم سلمان للرقاد.بينما راح سردار يراقب الرجل الغافي عميقاً وهو يمرر لسانه على شفثيه ربما ليرطبهما،

ربما يحلم.. ألا أن كلباً شارداً من موت محقق في الجانب الآخر من الطريق حاول العبور من أمام سيارتهم، فضغط سردار على موقف السيارة بشدة. إستدارت السيارة نحو يمين الطريق، فأفاق الرجل النائم الحالم مذعوراً:

- عويريج؟

- كلا.. مازلنا في الدورة.. وقد إعترض طريقنا كلب لم أشأ دهسه فمعدرة لإيقاظك..

تنبه سردار إلى أن رتلاً أميركياً طويلاً مكوناً من عشرين سيارة همر وعشر سيارات هامفي وست ناقلات أشخاص وأربع دبابات وسيارة مكشوفة، كانت السيارات مشحونة بالجنود المتعبين، شاهد في بدن السيارة المكشوفة امرأة مكبلة اليدين وقد أدخل رأسها في كيس أسود، ومعها ثلاثة رجال مثل حالها، بينما حلقت فوقهم أربع طائرات مروحية. كانت أول سيارات الرتل تطلق صفارة التنبيه للسواقين ليفسحوا لهم في الطريق قد يكون الرتل متجهاً نحو معسكر له خارج بغداد. ترك سردار الطريق لينزل بسيارته على التراب إمتثالاً للإنذار الذي يفتح

الجنود النار على من يخالفه..ناوله قنينة عصير بارد ريثما يمر
الرتل المزعج الذي بدا طويلاً جداً..قال الرجل الذي لم يخف
خوفه من اجتياز منطقة عويريج:

- سبحان الله صرنا نطمئن عندما نرى رتلاً عسكرياً للغزاة
الأميركان!!الى أي حال سيئٍ ومزِرٍ وصلنا إذاً؟

وبعد أن أفرغ آخر جرعة من العصير في جوفه عاد إلى النوم
لا ارادياً..لم يشأ سردار حرمان الرجل المرعوب من الأمان الذي
بدأ ينعم به الآن...ولو في عالم الأحلام.وعملاً بالتعليمات
الأميركية فقد ترك سردار مسافة أمان بينه وبين آخر سيارة في الرتل
الامريكي تزيد على مائة متر، ثم إنطلق يسعى..وبعد مسير بضع
مئات من الأمتار تصاعد أمامه وبعيداً عنه عمود هائل من الدخان
والتراب والحطام والأشلاء..وإنهم الرصاص من كل جانب..
وتوالى الانفجارات الرهيبة، إستدارت بعض السيارات المدنية
وهربت من الجحيم، بعضها أفلت بينما إصدمت أخريات بما
أمامها وما خلفها من سيارات، ثمة طرفان يتقاتلان بالسلاح،
الأميركان وجهة مجهولة كانا يتبادلان الرصاص والمقذوفات..

فيما راح سواق السيارات المتصادمة يتبادلون الشتائم، إذ لا يجروء أي منهم على النزول لمعرفة ما أصاب سيارته من أضرار، المهم أن الكل يتحين الفرصة لينهزم بعيداً عن جحيم الحرب التي وجدوا أنفسهم منزجين فيها رغماً عنهم والتي بدأ وطيسها يزداد حماوة، الرصاص يئز ولكنه لا يدري من أين يأتي وإلى أين يذهب. ربما ليس في المنطقة من لا يشعر بالخوف.. تذكر ان بجانبه عسكري محترف، لم يعد من حقه أن ينام ويستمتع بأمان وجاره يموت من الخوف. قرر أن يوقفه أملاً في إبعاده، إرشاده، وإلهامه، ويعلمه ويلقنه، ماذا يفعل، فهو الآن مرتبك خائف وجل مذعور، أنزل زجاج النافذة التي على يساره على الرجل يستيقظ من غير إزعاج، سمع صبيّاً في حوض الحمولة في الشاحنة التي على يساره يكلم سائقها:

- مع الأميركان امرأة قتلت.

- مجنونة؟

- كلا.. إنها مدنية.

- ربما هي مترجمة عندهم.

- كلا انها مقيدة اليدين، ورأسها داخل كيس أسود.عراقية
بالتأكيد.

لم يَعْرِ سردار الحوار اهتماماً، إنه الآن في ورطة لم يجد نفسه
في مثلها من قبل، والتفت إلى سلمان النائم قربه، ومع التفاتته
تطايرت الزجاجة الأمامية للسيارة نثارا وشظايا ملأت حجره،
التفت بشدة نحو الزجاجة، ولما نظر صوب سلمان، كان القميص
الذي أعاره إياه قد إصطبغ بلون الدم.. شهق شهقة تنم عن شعور
بخيبة كبير وفشل أكبر، فهو لم ينجح في إنجاز مهمته ليصنع الفرح
والسعادة لخالته المنكوبة.. لاحظ أن الابتسامة التي ألفها في وجه
الرجل الذي أحبه منذ الطفولة، ظلت مرسومة على الفم الذي
أطبق إلى الأبد، فستراه پروين مبتسماً كعهدّها به..

كانون الاول/ ديسمبر 2005